



جامعة آل البيت  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
قسم اللغة العربية وآدابها

" أدب النساء الصوفيّات في العصر العباسي دراسة موضوعية وفنيّة "

" Sufi women's Literature of the Abbasid  
period Athematic, Artistic study "

إعداد :

**محمد عايد صالح العكيدي**

الرقم الجامعي :

١٣٢٠٣٠١٠١٨

إشراف :

**الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها

الفصل الدراسي/ الأول

٢٠١٦-٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِينَ وَالْقَاتَاتِ  
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ  
وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ  
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

صدق الله العظيم

الأحزاب: ٣٥ .

## تفويض

أنا، **محمد عايد صالح جاسم أفوض** جامعة آل البيت بتزويد نُسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

## الإقرار

الرقم الجامعي: ١٣٢٠٣٠١٠١٨

أنا محمد عايد صالح جاسم

كلية: الآداب والعلوم الإنسانية

التخصص: اللغة العربية وآدابها

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي الموسومة بـ:

### "أدب النساء الصوفيّات في العصر العباسي، دراسة موضوعية وفنّية"

بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، وأقر كذلك بأن رسالتي هذه غير منقولة، أو مستله من رسائل، أو أطروحات، أو كتب، أو أبحاث، أو أي منشورات علمية تم نشرها، أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين بخلاف ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: ..... التاريخ: / / ٢٠١٦م

" أدب النساء الصوفيّات في العصر العباسي دراسة موضوعية وفنّية "

" Sufi women's Literature of the Abbasid period  
Athematic, Artistic study "

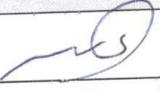
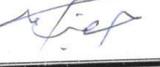
إعداد :

محمد عايد صالح العكدي

الرقم الجامعي :

إشراف :

الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي

التوقيع	أعضاء لجنة المناقشة
	د. عبد الرحمن محمد الهويدي ( مشرفاً ورئيساً )
	د. مها عبد القادر المبيضين (عضوا)
	د. محمد موسى العبسي (عضوا)
	أ.د. حسين يوسف خريوش (عضوا/ خارجياً)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ ٢٠١٦/١١/٠٤ .

## الإهداء

إلى من قال فيهما الحق: (( وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي

أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا )) (الإسراء: ٢٤).

إلى والدتي العزيزة... أطل الله عمرها وأمدّها بالتقوى والعافية .....

إلى والدي .... رحمه الله تعالى وغفر له، دائماً تمنى هذه اللحظات.....

إلى من هم سندي ... إختوتي وأختواتي.....

إلى من صبرت معي، تحمّلت بعد السُّبُل، عن الأهل، وعاضدتني

وساندتني..زوجي المخلصة الغالية.

إلى أولادي: مصطفى، عبد الرحمن، نجين، وصغيري بيان،....

إلى أشخاص في قلبي، فطوى فراق البعد بيني وبينهم.....

وخاتمة أولئك :

جدّي..... وإلى شيوخى .... أمدهم الله من نُورِهِ، وسقاهم من يدِ حَبِيبِهِ، نَبِينَا مُحَمَّد

( عليه الصلاة والسلام).

أهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

## الشكر والعرفان

لا يسعني بعد التوكل على الله وانجاز هذا البحث، إلا أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم العرفان من بعد شكر الله تعالى، إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي

الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة، وقدم لي النصح والإرشاد في فترة الإعداد فله مني كل الشكر والعرفان.

كما وأقدم شكري إلى الدكتور: أمين يوسف عودة، لما أعانني به. ولا يفوتني أن اتقدم بجزيل الشكر أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة كل من :

١-الأستاذ الدكتور: حسين يوسف خريوش.

٢-الدكتور: محمد موسى العبسي .

٣-الدكتورة: مها عبد القادر مبيضين.

كما وأشكر أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الآداب؛ قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة آل البيت لما أبدوه من جهد أسهم في إثراء هذه الدراسة.

وشكري لمن أعانني ولو بدعوة صاقة.

**الباحث**

## قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الآية القرآنية
ج	تفويض
د	الإقرار
هـ	قرار لجنة المناقشة
و	الإهداء
ز	الشكر والعرفان
ح	فهرس المحتويات
ي	ملخص الدراسة بالعربية
٢-١	المقدمة
١١-٣	التمهيد:
٦-٣	١- بين الزهد والتصوف
٧-٦	٢- مفهوم التصوف
١١-٧	٣- أوليات الأدب النسوي الصوفي
١٢	<b>الفصل الأول: مضامين الشعر النسوي الصوفي</b>
١٢	المبحث الأول: المقامات
١٣-١٢	- مفهوم المقام
١٧-١٤	١- مقام التوبة
١٩-١٧	٢- مقام الفقر
٢١-١٩	٣- مقام الزهد
٢٥-٢١	٤- مقام الصبر
٢٧-٢٥	٥- مقام التوكل
٣١-٢٧	٦- مقام الرضا
٣٢	المبحث الثاني: الأحوال
٣٣-٣٢	- مفهوم الحال
٣٦-٣٣	١- حال المحبة
٣٨-٣٦	٢- حال الرجاء
٤١-٣٩	٣- حال الشوق
٤٣-٤١	٤- حال الخوف
٤٤-٤٣	٥- حال السكر
٤٦-٤٥	٦- حال الغيبة
٤٨-٤٦	٧- حال الأانس
٥٠	<b>الفصل الثاني: أشكال النثر النسوي الصوفي ومضامينه</b>

الموضوع	الصفحة
١- العبارات	٥٥-٥٠
٢- الوصايا	٥٧-٥٥
٣- الرؤى	٦١-٥٨
٤- الحكايات	٦٧-٦١
<b>الفصل الثالث: أساليب الأدب النسوي الصوفي وصوره</b>	
٦٨	
<b>خصائص اللغة الصوفية</b>	
٦٩	
١- اللغة الدينية	٧٣-٦٩
لغة المصطلحات الصوفية ولغة الحب الصوفي	٧٦-٧٣
٢- لغة المصطلحات الصوفية	٧٩-٧٦
٣- لغة الحب الصوفي	٨١-٧٩
<b>خصائص الصورة والإيقاع في الأدب النسوي الصوفي</b>	
٨٤-٨١	
١- التشبيهات	٨٦-٨٤
٢- المجازات	٨٩-٨٧
٣- الاستعارات	٩٢-٨٩
٤- الكنايات	٩٤-٩٢
٥- التكرارات	٩٥-٩٤
٦- الإيقاع الشعري والإيقاع النثري	١٠٣-٩٦
<b>الفصل الرابع : ملحق بنصوص الأدب النسوي الصوفي</b>	
١٠٤	
١- شعر النساء الصوفيات	١٣٢-١٠٤
٢- نثر النساء الصوفيات	١٨٢-١٣٣
الخاتمة	١٨٣
ثبت المصادر والمراجع	١٩٠-١٨٤
الملخص باللغة الإنجليزية	١٩٢-١٩١

## ملخص

أدب النساء الصوفيّات في العصر العباسي، دراسة موضوعية وفنية.

إعداد الطالب: محمد عايد صالح

إشراف الدكتور: عبد الرحمن الهويدي

تأتي هذه الدراسة محاولة لفهم الأدب الصوفي النسوي في العصر العباسي، لبيان التشكيل الموضوعي والفني لأدبهن، في مدى تأثير الوازع الديني في نفسياتهن، ومعرفة الأسباب التي جعلتهن، أكثر ارتباطاً بالزهد، بعيداً عن الدنيا ومتاعها. وتنطلق الدراسة في ذلك كله من خلال جمع أدبهن. مستعينا بالمصادر القديمة، مثل كتاب "صفة الصّوة" لابن الجوزي، وكتاب "ذكر النسوة المتعبّدات الصوفيّات" لأبي عبد الرحمن السّلمي، فضلا عن العديد من المصادر التي تناولت التراث النسوي الصوفي.

وتقع الدراسة في أربعة فصول، يتناول الفصل الأول منها مضامين الشعر النسوي الصوفي، وتتاول الحديث عن المقامات والأحوال، في شعر النساء الصوفيّات، فضلا عن قيمتها القدسية في ذواتهن. بينما تتاول الفصل الثاني، الحديث عن أشكال النثر النسوي الصوفي ومضامينه، تنظيراً وتطبيقاً، والوقوف على ملامحها، ومضامينها، ودلالاتها، وأبعادها، والإمام ببعض خصائص الآثار النثرية الصوفيّة.

والفصل الثالث، يحاول الباحث من خلاله، أن يبرز الخصائص الفنيّة التي استخدمت، في أدب النساء الصوفيّات، وتقوم الدراسة كذلك على التنظير والتطبيق، ومدى توظيف النساء الصوفيّات لتلك الخصائص الفنية، بما يوحي بالعاطفة المسيطرة عليهن.

أما الفصل الرابع، فجمع فيه الباحث النصوص التّطبيقية وسواها، من أشعار وأقوال، للنساء الصوفيّات، في العصر العباسي.

الكلمات الدّالة: ( أدب عباسي، نساء الصوفيّات، شعر نسوي، نثر نسوي ).

## المقدمة :

الحمد لله المعبود بحق والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

وبعد :

فإن استكمال البحث في الأدب الصوفي يتطلب الوقوف على أدب النساء الصوفيات، ودراسته دراسة توازي تلك التي نالها أدب الرجال الصوفيين، لأن هناك عدداً غير قليل من النساء الصوفيات اللواتي برزنَ إلى جانب الرجال، وكان لهنَّ الفضل الأكبر في هذا الأدب العفوي الذي يميل إلى السهولة والوضوح، و يغلب عليه طابع الحب الإلهي والزهد في الملذات، ويعبر عن أحوال التصوف ومقاماته، كالخوف والرجاء والأنس والتوكل والرضا والصبر وسواها. ومن تلك النساء العابدات، آمنة الرملية وثوية بنت بهلول وعائشة الدينورية وأشهرهن رابعة العدوية، وغيرهن.

بعض هؤلاء النسوة الصوفيات عشن بعيداً عن بيئة اللهو والإقبال على الدنيا وملذاتها، واتخذنَ طريق العبادة بقيام الليل وصيام النهار، متأثرات بأحوال المتعبدين والمحبين على اختلاف مشاربهم الروحية من خوف وطمع وحب وشوق. ونجد أن بعضهن قد اتخذن من مجالس الوعظ مقاماً لهنَّ، فضلاً عن اتصالهنَّ بكبار زهاد عصرهنَّ، وهذا دليلٌ على أن بعضهنَّ كان لهنَّ شأنٌ ليس بالهين، وبسبب هذه المجالس وتلك اللقاءات حفظ الناس ما كان يصدر عنهن من مقولات وأشعار، وتناقلوها لماً رأوا وأحسوا بقيمتها من خلال تأثرهم بها ورغبتهم وسعيهم للوصول إلى مثل حالاتهن، مما ساعد على إيصال تراثهن الأدبي الصوفي إلينا.

إن أهمية هذا الموضوع تكمن في كونه لم تُخصَّص له دراسة مستقلة؛ ذلك أن أغلب الدارسين وجَّهوا عنايتهم إلى دراسة الشعر الصوفي الذي خلقه الصوفيون، ولا توجد دراسة موسَّعة خاصَّة بتراث النساء الصوفيات، إلا دراسة يتيمة و بعنوان " الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيَّات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب التسوي الصوفي " لأمين يوسف عودة، تناولت بعض المقطوعات الشعرية لرابعة العدوية وغيرها.

ويقتضي البحث في هذا الموضوع أن يتمَّ جمع ما يمكن من أشعار النساء الصوفيات، وأقوالهن، وتصنيفها قبل البدء بدراستها، ولا سيما التي قيلت وأسندت إلى كبار النساء العابدات الزاهدات الصوفيَّات، إلى جانب بعض النصوص الأدبية لنساء عابدات مجهولات الأسماء، فمن

المنظور الواقع، هو استحالة الإحاطة بكل تلك الأقوال، إلا أن ما تم جمعه يمكن أن يكون لبنة في صرح التراث الصوفي، وخطوة في الاتجاه الصحيح، لإثبات النصوص الشعرية والنثرية. إنَّ النساء الصوفيّات كان لهنّ ثقل في إثراء المجتمع بإبداعاتهنّ، ولا ننسى الفضل، لمن نقل هذا الخزين الأدبيّ الكامن في نفوس صفوة من العابدات النَّاسكات.

وقد ارتأيت أن توزّع الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. خصص الفصل الأول لمضامين الشعر الصوفي النَّسوي، وعني الفصل الثاني بأشكال النثر الصوفي النَّسوي ومضامينه، وجاء الفصل الثالث لدراسة لغة الأدب الصوفي النَّسوي وصوره وإيقاعاته. وأخيراً اهتمَّ الفصل الرابع بإثبات مجموع النصوص الشعرية والنثرية.

## تمهيد:

### ١\_ بين الزهد والتصوف :

يرى غير قليل من الباحثين، أن الزهد مرحلة انتقالية أدت إلى ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري، ومنهم ابن الجوزي، الذي فرّق بين الزهد والتصوف حيث يقول: "الصوفية من جملة الزهاد...إلا أنّ الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وتوسّموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتدائها الزهد الكلي"<sup>(١)</sup>. حيث يتدرج ابن الجوزي في الوصول إلى نشأة التصوف مروراً بالزهد.

وينطلق فيصل بدير من فكرة أنّ التصوف وليد الزهد يقول: "إنّ الزهد هو الأب الشرعي للتصوف، فقبل نشأة التصوف مرّ بمراحل متعددة قبل أن ينمو ويزدهر، ذلك أن أي متصوف قبل دخوله هذا الاتجاه أو الظاهرة كان في البداية زاهداً، ثم حدث أن أخذ التصوف قواعده وأصوله وأهدافه ومصطلحاته...فالزهد هو المعرفة الضرورية التي لا بد منها لقيام التصوف، خاصة وأن موضوع الزهد لم يلق اختلافاً بين الصوفية، وإنما كان اختلافهم حول الموضوعات التي ينبغي أن يزهد فيها، كاختلافهم حول موضوع الزهد في أمور الحلال"<sup>(٢)</sup>.

ويرى محمد عبد المنعم خفاجي: "أنّ الزهد هو أول حركات التصوف في الإسلام، وقد انتشرت حركة الزهد في عصر الرسول وبعده، وبخاصة بعد ثراء المسلمين وحكمهم للعالم القديم المعروف آنذاك. وفرق بين التصوف والزهد، فالتصوف زهد في الدنيا لكسب رضا الله، والزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة، والتصوف دخول في جمال الملائكة الأعلى وروحه ورحمته، والزهد دخول في مجال التقوى خوفاً من عذاب الله ونقمته وجبروته، والتصوف فلسفة روحية في الإسلام والزهد منهج عملي من مناهج بعض المسلمين وله نظائر في الديانات القديمة..."<sup>(٣)</sup>.

وقد عُنِيَ الصوفية بتقعيد مفاهيم الزهد وحاولوا ربطه بالتصوف، ومنهم الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١٢م) الذي أورد بعض أقاويلهم ثم حاول أن يوفق بينهما فقسّم الزهد إلى درجات، لما فيه من تفاوت بحسب تفاوت قوته، الدرجة الأولى: من زهد في الدنيا وهو لها مشتته، وميلان القلب إليها، فهو يجاهد النفس ويكفها ويذيب نفسه ثم كيسه، ويسمى المترهد، بينما الزاهد يذيب كيسه ثم نفسه، فهو لا زال على خطر، فربما تغلبه نفسه إلى الدنيا بقليل أو كثير. والدرجة

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١) تلبس إبليس دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٦٣.

(٢) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٩-١١.

(٣) خفاجي، محمد عبد المنعم: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، ص ٧.

الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً لاحتقاره إياها، فضلاً عما طمع فيه، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، فهو لا يرى محالة زهده ويلتفت إليه، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه؛ ويظن في نفسه أنه ترك شيئاً له قدر، لما هو اعظم قدراً منه، وهذا أيضاً نقصان. والدرجة الثالثة: العليا، أن يتزهد طوعاً، ويزهد في زهده، فلا يرى زهده، لتيقنه ان الدنيا لا شيء، فيكون كمن ترك خزفة لأجل جوهرة، وهذا كامل في المعرفة، آمنٌ من خطر الالتفات إلى الدنيا<sup>(١)</sup>.

وهناك عوامل قد ارتبطت بين كل من الزهاد والصوفيين، باعتبار أنهما حركتان، ولهما رواد، فنرى أن كليهما من الموالى ومتميزتان بالثقافة القومية لأوطانهم، والخلاف هو بين مؤيد الحركتين، والطبيعة لكليهما، أن الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية في العصر الأموي كانت من أهم الأسباب لقيام الزهد، وبسبب ظلم الأمويين للموالى فقالوا عنهم، أن لا فرق بين حكمهم وحكم سابقهم قبل الفتح العربي، فنشأت بوادر الزهد الفلسفي المنظم كما فعل أسلافهم ليكون نوعاً من المقاومة والمعارضة التي تتميز بالصمت، أضف إلى ذلك قيامهم بدراسة العلم وإتقانه، ومن جانب آخر، فقد كان الحكم والسياسة والحرب هي الغالبة على العرب، في العصر الأموي، فحين ازدهرت البصرة والكوفة بالزهد، كانت دمشق تنعم بالحكم والثروة، وعند انتقال الحكم من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي، نرى الوجهة قد تبدلت، فبدأت كفة الميزان بالرجوح في دمشق، فامتألت زهداً، فكانت العملية تناسبية بين الزهد، والحكم والثروة<sup>(٢)</sup>.

العامل الديني، يُؤدّي دوراً مهماً في كل المجتمعات، فتطور المدن وازدهارها كان نتيجة الانفتاحات على الشعوب الأخرى، لا محال أن تنتقل كل عوامل الترف والملذات معها، وهذا ما يولد تياراً معاكساً يحاول مواكبة الحدث ليغير مجرى الأنساق وراء الترف، والذي مثله الزهد فبابتعادهم عن مواطن الغلو إلى مواطن المناجاة والعبادة، كوّتوا ملاذاً آمناً لمن لحق بركبهم، فمن خلالهم نشأ الرجال المنشغلون بالعبادة، والزهد والورع، والبعد عن اللذات، داعين ببلاغة القول وابداع العمل في ترك الدنيا والرجوع إلى رب العباد.

كان المجتمع العباسي، في عصره الأول، وكذا الثاني، متأثراً بحركات الزندقة والشعبوية والمجون من جهة أخرى، كان هناك المتعبدون والنسّاك، الذين أحبوا حياة الزهد وانصرفوا عن كل ملذات الحياة ونعيمها، يذكر الدكتور شوقي ضيف بدايات بزوغ التصوف في العصر العباسي الأول، وانتشاره في العصر الثاني، فيقول: "فأخذت تنبتق بينهم مقدمات نزعة التصوف

(١) الغزالي، أبو حامد، (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م): إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥،

ص ١٥٨١.

(٢) منصور، أحمد صبحي، التمهيد لكتاب التصوف والحياة الدينية في مصر المملوكية، ٢٠١٤، مقال من موقع أهل القرآن، [http://www.ahl-alquran.com/arabic/show\\_article.php?main\\_id=12638](http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12638).

متمثلة في شيوخ كثيرين، في مقدمتهم إبراهيم ابن أدهم البلخي المتوفي سنة ١٦٠ هـ، ورابعة العدوية المتوفاة بالبصرة سنة ١٨٠ هـ، وشقيق البلخي تلميذ ابن أدهم المتوفي سنة ١٩٤ هـ، ويقال إنه أول من تكلم في التصوف وعلوم الأحوال... وينبغي أن لا نبالغ فنزعم أن التصوف نضج في هذا العصر، إنما أخذت مقدماته في البروز والظهور، أما تكونه التام فقد حدث في العصر التالي، أما في هذا العصر فقد تفتحت تباشيره الأولى<sup>(١)</sup>.

أما في العصر العباسي الثاني فقد كان التصوف قد عرف، وانتشر بين أوساط المجتمع العباسي، وربط ربطا وثيقا بالشرعية الإسلامية، بعد أن شكك في أصله وانبثاقه المستشرقون. يقول الدكتور شوقي ضيف: "وإذن فالتصوف إسلامي في جوهره وفي نشأته ونموه وتطوره، وهو الرأي العلمي الصحيح"<sup>(٢)</sup>.

بالرغم من وجود تقارب كبير بين حركة الزهد والتصوف وتداخلهما على مرّ العصور، فإن هناك مبادئ وركائز تدرج تحت اسم كل منهما، حتى وإن كان التصوف نابعا من الزهد، فإن ذلك لا يعني أن كل زاهد هو متصوف، لكن نستطيع القول إن كل متصوف هو في الأصل والبداية زاهد.

ولقد كان للزهد والتصوف أثر ملموس في مساعدة المجتمعات الإسلامية على تخطي الوضع الاقتصادي الذي تميز بالطبقية، فقد كانت هناك فروق واضحة بين طبقات المجتمع، من حيث الغنى والفقر، وكان الزهد في الدنيا بالتخلي عن ملذاتها، وفتنها مقنعا لكثير من الناس لحلّ مشاكلهم الاجتماعية والسياسية، التي كان سببها الانشغال الكبير بالدنيا، فانتشر الزهد والتصوف في المجتمعات الإسلامية، لما يوقر هذان المسلكان من حياة مستقرة بعيدة عن مشاكل الدنيا وفتنها والاتفات إلى ما هو أهم، وهو الاهتمام بالآخرة والعمل لها.

ولا شك أن لظاهرة الزهد، ومن بعدها ظاهرة التصوف في العصر العباسي، مرجعيات سلوكية ودينية سابقة، فقد كان أكثر الصّحابة والتابعين زهاداً في الدنيا، أي تخلّوا عنها اتباعاً، لما رأوا من ابتعاد النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) عن الدنيا وملذاتها، وتيقنهم بالرحيل عنها بالموت، واستعدادهم لملاقاة الله تعالى وهم راغبون فيه، تاركون كل شيء لوجهه الكريم، فأصبح هذا الاتباع خلقاً في نفوسهم ونهجاً لهم في الحياة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (( إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم حارّ ثم راح وتركها ))<sup>(٣)</sup>.

(١) ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، الطبعة ٨، دار المعارف، القاهرة، ص ٨٦.

(٢) ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، الطبعة ٢، دار المعارف، القاهرة ص ١٠٧.

(٣) الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبدالقادر عطا، دار الکتب العلمیة، بیروت، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٣٤٥.

إن هذه الصورة الموجزة الدالة تشير بدقة إلى معنى الزهد الذي يتمثل في صورة الراكب المرتحل إلى مستقره، وهو الآخرة، ولا شك أن المرتحل لا يأخذ معه سوى القليل أو ما لا بد منه من متاع الدنيا، وكذلك هو حال الزاهد، وحين نستعرض أقوال الصحابة الأجلاء وأفعالهم نجد الصورة المتجلية فيهم قد استوتحت معانيها من صفات الرسول وأفعاله فامتزجت في نفوسهم، وآثر أغلبهم الزهد في ملذات الحياة.

ويتفق التصوف مع الزهد من خلال ما ذكر سابقاً، فكلاهما مستوحى من اخلاقيات الكتاب والسنة العطرة، وهذا يظهر جلياً، عياناً، إذا أمعنا النظر فيمن يمثلون الطريق القويم والنهج الصحيح. ولكن التصوف يزيد على الزهد في كونه يتضمن رؤى جديدة، سيُشار إليها في تضاعيف المباحث المقبلة.

## ٢- مفهوم التصوف:

كثرت الأقوال وتعددت المعاني في اشتقاق (التصوف) فنذكر بعض ما قيل، في سبيل إيصال ما أُشير وذكره أكثر الباحثين سواء من الصوفية، أم من غيرهم، فاشتقت كلمة (تصوف) من الصفاء، وهناك من نسبها إلى (الصوف) مستندين إلى أن القوم كانوا يلبسون الصوف كثيراً، لزهدهم ونبذهم للنعيم الزائل، وأيضاً من (الصفة) ، لاتصافهم بمحاسن الأخلاق وأعلى الصفات وترك المذموم منها، وقيل من (الصف)، فكأنهم من الصف الأول لصفاء القلوب مع الله تعالى (١).

ومن معاني (التصوف) ما ذهب إليه معروف الكرخي (ت٢٠٠هـ/ ٨١٥م) بأنه الأخذ بالحقائق واليأس بما في أيدي الخلائق، وأبو سليمان الداراني (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م) التصوف أن تجري أعمال على الصوفي لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائماً مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو، و بشر الحافي (ت٢٢٧هـ/ ٨٤١م) يقول: إن الصوفي من صفا قلبه لله، وأيضاً ما قاله ذو النون المصري (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م): الصوفية قوم آثروا الله عزّ وجلّ على كل شيء، وفي موضع آخر يقول: هو من إذا نطق كان كلامه عين حاله، فهو لا ينطق بشيء إذا كان هو ذلك الشيء، وإذا أمسك عن الكلام عبّرت معاملته عن حاله، وكانت ناطقة بقطع العلائق الدنيوية عن حاله (٢).

ما جاء من معان وتعريفات لمفهوم التصوف، جاءت مرتكزة على حُسن التوجه بالقلب والفعل مع الله والله، لأنّ الرادع عندهم هو مراقبة الله لهم في كل حين فهم منشغلون بالله سبحانه

(١) القشيري، عبد الكريم هوازن (ت: ٤٦٥هـ-١٠٧٢م): الرسالة القشيرية ، تح: معروف زريق، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٦٤.

(٢) عون، فيصل بدير ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص١٨-١٩.

وتعالى. فقد عبّر أبو الحسن الحصري (ت ٣٧١هـ / ٩٨١م)، أنّ الصوفي من إذا فنى عن آفات الدنيا، لم يرجع إليها، ومن إذا ولى وجهه نحو الحق لم يتحول عنه، وليس للحوادث أثر فيه بحال.

فلا راحة له ولا سلوى له في الدنيا إلا بالله ومن سلم جميع أمره إلى ربه الذي يعلم ما قدر له، فماذا بعد الحق إلا الضلال، إذا وجد الصوفي ربه لم ينظر بعد ذلك إلى شيء سواه<sup>(١)</sup>. فنستخلص أنّ التصوف هو الاستسلام التام لله وحده، وإيثاره عن كل شيء مخلوق، والانفصال والبعد عن الدنيا وأحوالها، على الرغم من اختلاف بعضها في سبب التسمية، ومهما يكن من أمر، فالتصوف في مجمله يعني التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والعبادات، ومحبته الخالصة، وترك الدنيا وملذاتها، واتباع سنة نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام)، وللجنيد البغدادي إتحاف في هذا، حيث بين المعنى الحقيقي وتأصيله فقال: "الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه"<sup>(٢)</sup>.

### ٣\_ أوليات الأدب النسوي الصوفي:

لقد كان للمرأة دور واضح في الحياة الثقافية في تاريخ الإسلام، فكان منها المرأة الشاعرة والمرأة المحدثّة والمرأة الفقيهة والمرأة الزاهدة والصوفية.... وما وصل إلينا من أدب المرأة قليل جدا بالنسبة إلى أدب الرجل، عبر مسيرة الأدب العربي، وثمة نتائج تكمن وراء ذلك يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:  
أولاً: النظرة غير الصائبة إلى نتاج المرأة عامة، بوصفه باللين والضعيف أسلوبياً لا يرقى إلى نتاج قرائح الرجال.

ثانياً: الصفة الغالبة هي النظم الخفيف، أي السهل، متمثلاً بالمقطعات الشعرية أو النثرية، مما يقلل من مكانتها الأدبية.

ثالثاً: إن ما ذكر من تصانيف عن النساء، قد اقتصر على نقل أخبارهن، ومحاسنهن، وأحوالهن الاجتماعية، دون ذكر الجانب الأدبي أو الاهتمام به، بل واقتصر على ذكر القليل من القصائد الطويلة والمقطوعات الأدبية التي لا ترتقي إلى مرتبة القاعدة وامتدادها<sup>(٣)</sup>.

(١) عون، فيصل بدير، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ٢١.

(٢) السلمي، أبو عبد الرحمن (ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م): ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الطبعة ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٣.

(٣) الحلبوني، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الثالث +الرابع، ٢٠١٠م، ص ٩٠.

إن نظم الأشعار في الزهد والتصوف، يمكن أن يكون أحد موضوعات بروز المرأة في الجانب الأدبي في العصر العباسي، فلم يكن هذا الموضوع من نصيب الرجل فقط بل برزت فيه جملة من النسوة الزاهدات، اللواتي تركن أثرهن في الأدب النسوي على العموم والشعري الصوفي على الخصوص، فقد دخلت المرأة الموروث الصوفي، واحتملت أمر الزهد والتصوف، وكانت "المرأة العربية المسلمة في ميدان استتد به الرجال وانفردوا زمانا، حتى ليُظن أن علم التصوف والأحوال إنما هو علم الرجال؛ لأنه قائم على المجاهدة والمصابرة وقطع العلائق والتقلل من أسباب الدنيا، وكل ذلك مما لا تطيقه المرأة بطبيعة فطرتها وما جُبلت عليه"<sup>(١)</sup> فهي بهذا الدور إنما تضيف إلى الموروث الصوفي قدراً طيباً من أقوال القوم وتجلياتهم، جاءت على لسان هؤلاء العابدات، من كلامهن أنفسهن، أو من كلام سمعنه، أو روينه على رجال الصوفية ومشايخهم، مما لا نجده في تراجم هؤلاء الرجال من كتب التراجم والطبقات<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن زهد هؤلاء النسوة أو تصوفهن، محض تقليد أو تجريب، وإنما كان نابعاً من إيمانهنّ القوي الحق، وثبات شخصيتهنّ، فكنّ يُعبّرُن عن ذلك بطريقة أدبية، عن طريق الشعر والأمثال والحكم، من شدة حبهنّ الله وزهدهن في الدنيا.

وعن ميمونة أخت إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٠هـ/٧٨٦م) أنها كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلل والورع والتوكل... وذكر من بين عابدات بغداد عن زبدة أخت بشر الحافي (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م) أنها قالت: أتقل شيء على العبد الذنوب، وأخفه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟<sup>(٣)</sup>.

وقد أورد أبو عبد الرحمن السلمي كلاماً لبعض الصوفيات، ومنه:

تقول العابدة مؤمنة بنت بُهلول (القرن الثالث الهجري) - وقد سئلت: من أين استقدت هذه

الأحوال - : من اتباع أمر الله، على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

وجاءت امرأة إلى العابدة أم علي امرأة أحمد بن خضرويه البلخي (ت ٢٤٥هـ/٨٦٩م)،

فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: جئت لأتقرب إلى الله بخدمتك. فقالت لها أم علي: لما لا تتقربين

إلي بخدمة ربك؟<sup>(٥)</sup> وقدمت لها النصيح أن تتقرب إلى الله تعالى بخدمته، فتنال ما نالته أم علي،

(١) السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٩.

(٢) السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، من مقدمة المحقق، ص ٩.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/١٢٠١م): صفة الصفة، تحقيق: خالد مصطفى

طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢ م، ص ٥١٤.

(٤) السلمي، أبو عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٧.

وهذا الطلب أيضاً دليل حسن الطريق الذي تسلكه هؤلاء النسوة، وأنّ حالهن مبني على حق، وما يقمن به، امتثالاً لأمر الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

هذا ما كان من شأن بداية تصوف هؤلاء النسوة، وأسباب تصوفهن، أما ما ظهر من تصوفهن في الأدب فكان بدايته العصر العباسي، حيث "اتسعت حركة الزهد فيه نتيجة عوامل عدة، وأسهمت المرأة في هذه الحركة، وكان لها دور فاعل للغاية إذ نالت غذاءً روحياً هياًها للتعبير عن موضوع الزهد بتفرعاته وتشعباته"<sup>(١)</sup>.

ولعل رابعة العدوية المَعْلَم الأول الذي أدى إلى تحوّل مسار الزهد إلى مسار التصوّف، فأدى الاهتمام بمقولاتها وأخبارها إلى الحفاظ على جزء لا بأس به من المقطوعات الشعرية والنثرية والتي قالتها في مختلف الميادين، فهي تنقل الصورة المستخلصة لحالتها وما تروم إليه، كي تقتدي بها من تحب السير على خطاها<sup>(٢)</sup>.

ولدت رابعة العدوية في البصرة عام ٩٥هـ، فشهدت رابعة العدوية في هذه المدينة ألواناً من الصراع السياسي والمذهبي، كما تأثرت حياتها بالفوارق الاجتماعية التي كانت تفصل بين الطبقات في البصرة، وبسبب مرارة الفقر تقلّبت بها الأحوال وجرفها تيار اللهو والمجون حيناً من الدهر، حتى أفاق روحها مما غشيها من إثم، فاعتزلت الحياة والناس، فاعتكفت بنفسها تنشد الاتصال الروحي بالله، ولم تكن رابعة مجرد متسكة زاهدة، ولكنها تعتبر من أوائل الصوفيين الذين اختاروا لحياتهم الشظف والحرمان ليطهروا نفوسهم من شوائب الحياة المادية فنصّفوا وتستجيب للاتصال الروحي بالمحبوب وهو الله<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر عن رابعة العدوية، التي استغرقت في الحب الإلهي وملك عليها ذاتها ومشاعرها، أنها كانت إذا صلت العشاء، قامت إلى سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: "إلهي أنارت النجوم، ونامت العيون وغلفت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها إلي فأعزى. فوعزتك هذا دأبي ما أحبيبتني وأعنتني وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك، ثم أنشدت تقول:

(١) الحلبي، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، ص ٩٥.  
(٢) الأطرقي، واجدة: المرأة في أدب العصر العباسي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م، ص ٣٢٨.  
(٣) هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٩٠-٢٩١.

يا سروري ومنيتي وعمادي      وأنيسي وعدتي ومُرادي  
أنت رُوح الفؤاد أنت رجائي      أنت لي مؤنسٌ وشوقك زادي  
أنت لولاك يا حياتي وأنسي      ما تشنت في فسيح البلاد<sup>(١)</sup> "

وفي أبيات أخرى تقول:

أحبك حُبِّين: حُبُّ الهوى      وحبًّا لأنك أهلٌ لذاك  
فأمَّا الذي هو حُبُّ الهوى      فذكر شغلتُ به عن سواك  
وأمَّا الذي أنت أهلٌ له      فكشفتُ الحُجبَ حتى أراكا  
فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي      ولكنَّ لك الحمدَ في ذا وذلك<sup>(٢)</sup>

إن رابعة العدوية كان لها قدم السبق في التأسيس لأوليات الشعر النسوي الصوفي، وكان لها الأثر في النساء الصوفيات الأخريات فيما بعد، فمقولاتها الأدبية ذات النفس الصوفي، كانت بحق مفتاحاً يضيء للواتي قد شغفن المسير على ما سارت عليه رابعة العدوية.

ومن متعبدات النسوة نجد عثامة بنت بلال بن أبي الدرداء (ت ٩٣هـ) تقول:

أعشامُ ما لكِ لاهية      حلت بداركِ داهية  
إنك الصلوة لوقتها      إن كنت يوماً باكية  
وابكي القرآن إذا ثلّي      قد كنت يوماً تالية  
تثليته بنقُر      ودموع عين جارية  
لهفي عليك صباية      ما عشت طول حياتيه<sup>(٣)</sup>

كان لهؤلاء النسوة فسحة ليُبدن زهدهنّ من خلال الشعر يتغنين به، ويظهر ورعهن في الدنيا، وتعلقهن الشديد بدينهن، خاصة إن تعلق الأمر بشيء لا يستطعن نيله رغم إرادتهن الشديدة لذلك، مثل ما حدث مع عثامة بنت بلال، فقد كف بصرها وحال بينها وبين قراءة القرآن.

وريحانه الزاهدة ترى أن النفس ينبغي أن تُلجم عن مطاردة اللذات واستجلابها، فهي لا تقنع بحدٍّ معين، بل تطلب المزيد على الدوام، فإن اعتادت على الحرمان صبرت عليه، وهان كل شيء، تقول:

(١) الحريفيش، شعيب بن سعد المكي (ت ٨١٠هـ/٤٠٧م): الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الطبعة الأولى، المطبعة العامرة الشرقية، ١٣٠٨هـ، ص ١١٠-١١١.  
(٢) المكي، أبو طالب محمد بن علي عطية (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م): قوت القلوب في معاملة المحبوب، تح: محمود ابراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ١٠٦٨.  
(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٤٦.

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرت  
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تأقت وإلا تسلت<sup>(١)</sup>

وكانت دعوتها صادقة إلى الالتزام بقيام الليل، والتهجد فيه، وذكر المولى عز وجل،  
وطرد النوم لأنه ملهاة وخسران مبين، تقول:

اجعل لنفسك في الليالي نبهة يُنبهك من خلل المنام قياماً  
وأنس إلى طول الصلاة تجلداً واترك لذاذ النوم والأحلام<sup>(٢)</sup>

وقد بينت ميمونة السوداء عن مكاشفة القلوب، وأشارت إلى الخمر التي صارت عند  
شعراء الصوفية رمزاً عرفانياً قائماً بذاته، تقول:

قلوبُ العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون  
وأسنة بسرٍ قد تُتاجي وتغيبُ عن الكرام الكاتين  
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا  
فتسقيها تراب الصدق صدقا وتشرب من كؤوس العارفين<sup>(٣)</sup>

وتحمل هذه الأشعار في طياتها، الرقة في العبارة، والسهولة في التركيب، واستخدام  
العلوم الدينية، في بساطة تعبيرية تحدد خصائص المرأة بعيداً عن الإغراب والغموض<sup>(٤)</sup> وهو ما  
بيّناه في بداية الحديث عن ما يمتاز به الأدب النسوي الصوفي.

هكذا أفسحت المرأة لنفسها ولنظيراتها المجال في ممارسة الجانب الروحي من الدين  
الممثل في التصوف، وفي دخولها مجال الأدب الصوفي من جهة أخرى، فانفردت بعيداً عن ما  
ينجزه الشعراء والأدباء والمتصوفون الرجال بأعمالها الخاصة، التي تنوعت وتعددت غرضاً  
وصوراً و كانت زاخرة بالمعاني الدينية والروحية جاذبة لأرواح المحبين والعاشقين والسالكين،  
فكنّ مدرسة روحية يفقهها العامة والخاصة.

(١) النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م): عقلاء المجانين، تح: عمر الأسعد، دار  
النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) النيسابوري: المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(٤) الحلبوني، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، ص ٩٦.

## الفصل الأول

### مضامين الشعر النسوي الصوفي

#### المبحث الأول: المقامات

للسوفية مصطلحات خاصة قد تبدو للدارس في أول وهلة مصطلحات سهلة ومألوفة، ولكن لها في حقيقة الأمر مفاهيم ومقاصد قد لا تتبادر إلى الذهن بسهولة. ولا يستطيع الإلمام بها وإدراك أبعادها، إلا من له صلة معرفية وثيقة بمنظومة الفكر الصوفي على نحو عام، وبلغته ومفاهيم مصطلحاته على نحو خاص. سيحاول هذا المبحث تسليط الضوء على أهم المصطلحات التي تتناولها النساء الصوفيات، واستجلاء أثرها في أقوالهن الشعرية والنثرية. ولعل من أهم هذه المصطلحات مصطلح المقام الذي نجده عندهم في ترتيبهم للمقامات مثل مقام القناعة ومقام التوكل ومقام التسليم ومقام التوبة ومقام الإنابة ومقام الورع ومقام الزهد. فماذا يعني المقام؟ وما أهم المقامات التي يرتقن إليها؟

مما لا شك فيه أن أي مفهوم اصطلاحى، لا بد أن تكون له صلة بمعناه اللغوي. وقد وردت كلمة "مقام" في المعاجم اللغوية بعدة معان ذات صلة بمفهوم المصطلح الصوفي. وكلمة "مقام" مصدر ميمي من: قام يقوم. والمقام: موضع القدمين. والمقامة: المجلس، والقوم. وبالضم: الإقامة، كالمقام والمقام، ويكونان للموضع. قال تعالى: ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾<sup>(١)</sup>، أي: موضعاً. والمقام والمقام قد يكون كل واحد منهما بمعنى: الإقامة، وقد يكون بمعنى: موضع القيام<sup>(٢)</sup>.

#### مفهوم المقام:

وقد تداول الصوفية مفهوماً للمقام يتصل اتصالاً مباشراً بالمعنى اللغوي، ولكنه ينزاح عنه في الرتبة الوجودية، فإذا كان معنى المقام اللغوي يتصل بالموضع المادي الذي هو مكان الإقامة، أو موطن القدمين، فإن المعنى الاصطلاحى يتصل بالموضع المعنوي؛ أي بالرتبة المعنوية والمنزلة الروحية للصوفية، رجالاً ونساء، الذين يرتقون في سلم المجاهدات النفسية. يحدّد الطوسي (ت: ٣٧٨هـ) معنى المقام بقوله: "مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه

(١) الفرقان: ٧٦.

(٢) انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، مادة "قوم". محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧.

من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ (إبراهيم: ١٤)<sup>(١)</sup>.

أما القشيري (ت: ٤٦٥هـ) في رسالته، فقد جاء تعريف المقام على أنه: "ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشغول بالرياضة له، وشرطه: ألا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد"<sup>(٢)</sup>. يرتبط مفهوم المقام في هذا التعريف بموضع إقامة العبد، ومدى تحقيقه لشروط الارتقاء من مقام لآخر، والذي لا يتم دون أن يستوفي جميع أحكام مقام معين ليستطيع الانتقال إلى المقام الذي بعده.

وتعتبر المقامات عند الصوفية طريقاً موصلاً إلى معرفة الله تعالى، وقد وصفها ابن خلدون بالغاية المطلوبة لنيل السعادة، يقول: "ولا يزال المرید يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة"<sup>(٣)</sup>. ويتفق الصوفية مع ابن خلدون في رأيه بأن الترقى في المقامات ينتهي بصاحبه إلى توحيد الله تعالى ومعرفته، وطالما وصل صاحب المقام إلى هذا فإنه يكون قد تحقق له غاية السعادة والأمن والسلام مع نفسه ومع غيره<sup>(٤)</sup>.

والمقام هو: "الإقامة، كالمدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج، ولا يصح لأحد منزلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة"<sup>(٥)</sup>.

من كل ما سبق من تعريفات، نرى أن مفهوم المقام قد فارق معناه المادي كما تبيّنه اللغة إلى معنى أشمل له علاقة بالمنزلة والرتبة الروحية التي يرتقي إليها الصوفية بالمكابدة والانقطاع

(١) الطوسي، أبو نصر سراج (٣٧٨هـ/٩٨٨م): اللمع، تحقيق د. عبدالحليم محمود، دار الكتب الحديثية بمصر، ١٩٦٠م، ص ٦٥.

(٢) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٣٢.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٦١٢.

(٤) فهمي، مصطفى: ما بين الحال والمقام- وجهة نظر صوفية، الموقع الفلسفي للدكتور مصطفى فهمي، نشر

يوم: ٣ يونيو ٢٠١٢، <http://kenanaonline.com/users/Dr-mostafafahmy/posts/419690>

(٥) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٣٣.

عن الدنيا والزهد فيها لتحقيق السعادة المنشودة ، سعادة التوحيد والمعرفة . فالمقامات إذن سيرورة من الارتقائات المكتملة التي يبذل فيها الصوّفيّ جهداً مضمناً من أجل تحقيق مرامه الكبير.

## ١\_ مقام التوبة :

تحتلّ التوبة عند الصوّفيّة صدارة المقامات وبدايتها، وهو مقام يسعون إليه؛ لأثّه أصل كلّ المقامات وعتبتها، على الرغم من تنوع تعريفاتهم لها وأطنبوا فيها، فإنّهم قد اتفقوا على معنى الالتزام بالتعاليم الإلهيّة التزاماً غير مشروطٍ وبإقبالٍ وانقياد تامّين.

وجاء في كتاب اللمع: "التوبة الرجوع من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم"<sup>(١)</sup>، وفيه أيضاً: "التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى"<sup>(٢)</sup>.

ونجد الطوسي قد ربط في تعريفه التوبة بالعلم: فكل ما ذمه العلم، كان لزاماً على المرء الابتعاد منه، وما كان ممدوحاً وجب الرجوع له.

والتوبة عند القشيري هي: "أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقام الطالبين، وحقيقة التوبة في لغة العرب هي: الرجوع، يقال: تاب، أي رجع، والتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه"<sup>(٣)</sup>. والرجوع والانابة، هي قصد السالكين والتائبين لوضع أولى خطوات قبول ما حسُنَ من عمل.

وهناك من عرفها بأنها: "الندم على ارتكاب الذنوب وصون الجوارح عن الخوض في الباطل، ومن ذلك صون السمع عن سماع الباطل والتجافي عن سماع الشهوة وإخراج المظلمة وترك سماع الغيبة والنميمة، وهي أيضاً الرجوع عن الآثام إلى الطاعة للحق تعالى، وتوبة العوام هي عن سماع الذنوب والمعاصي، أما توبة الخواص هي عدم الغفلة واليقظة والذكر والسماع الدائم لأوامر الله ونواهيه"<sup>(٤)</sup>.

فالتوبة تعني دائماً الندم على فعل المعصية، وعدم الرجوع إليها، وصون الحواس عن سماع ما حرّم الله تعالى، وفي هذا التعريف نجد أن التوبة قسمان: توبة العوام من الناس وهي: التوبة عن سماع المحرمات والندم على ارتكاب الذنوب والمعاصي، والقسم الثاني: توبة

(١) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٧٨.

(٤) فؤاد، فاطمة: السماع عند صوفية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٣٢.

الخواص ويقصد بها النخبة من المتصوفين والعابدين الذين لا يغفلون عن الذكر وطاعة الله الدائمة واجتناب ما حرم.

وقد عرفها ابن قيم الجوزية بقوله: "وتوبة الخواص : من تضييع الوقت؛ فإنه يفضي إلى درك النقيصة ويطفئ نور المراقبة ويكدر عين الصحبة ليس مراده بتضييع الوقت ... والوقت عند القوم : أخص منه في لغة العرب ... والغالب على اصطلاحهم : أنه من الإقبال على الله بالمراقبة والحضور والفناء في الوجدانية ... فتوبة هؤلاء من إضاعة هذا الوقت الخاص الذي هو وقت وجد صادق وحال صحيحة مع الله تعالى لا يكدرها الأغيار"<sup>(١)</sup>.

وفي منازل السائرين: "لا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ثم رؤية علة تلك التوبة، ثم التوبة من رؤية تلك العلة"<sup>(٢)</sup>. فشرط التوبة هو معرفة السبب الذي أدى إلى التوبة أي معرفة الذنب المقترف، ثم التوبة من رؤية ذلك السبب أو العلة.

"والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب، وهي أن تنتظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وعودك على الإصرار على تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك"<sup>(٣)</sup>.

هذا التعريف يؤكد أن التوبة مرحلة بعدية تأتي بعد ارتكاب المعصية، وبعد معرفتها وذلك بالنظر إلى ثلاثة أشياء: الانخلاع من العصمة، والفرح عند الظفر به، والإصرار على تداركه.

"والتوبة في نظر ابن تيمية جاءت تأكيداً للمعاني التي حفلت بها الآيات القرآنية والأحاديث، يقول: إن العبد لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه لأنه -ولا يزال- محتاجاً إلى التوبة والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين يستغفر جميع الأحوال"<sup>(٤)</sup>.

وعن مقام التوبة في شعر النساء العابدات قد لا نجد الشيء الكثير، ذلك أن الشعر الصوفي للرجال كان أكثر وأوفر منه عن ذلك الذي خطته النسوة، ولكن تقصينا في البحث لنظفر بالقليل من شعر النساء الصوفيات، ولم تسعفنا المصادر إلا بالقليل الذي استوجب منا

<sup>(١)</sup> الجوزية، ابن قيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠١، ج ١ ، ص ٢٦٥

<sup>(٢)</sup> الهروي، عبد الله الأنصاري(ت٤٨١هـ/١٠٨٨م): منازل السائرين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٣.

<sup>(٣)</sup> المصدر السابق، ص ١٣.

<sup>(٤)</sup> انظر: حلمي، مصطفى: ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٤٩٢، ٤٩١.

الكثير من الجهد حتى نتبين حضور مقام التوبة فيه . وفي معرض الحديث في هذه المسألة ،  
نقف عند إمامة النساء الصوفيات، وسيدة الحب الإلهي، التي عرفت شهرة واسعة في التاريخ  
بعبادتها وزهداها وتصوفها ومحبتها للخالق، وهي رابعة العدوية، فها هي تخاطب " حبيبها "  
قائلة:

حبك الآن بغيتي ونعيمي      وجلاء لعين قلبي الصادي  
ليس لي عنك ما حبيت براح      أنت مني ممكن في السواد  
إن تكن راضيا عليّ فإني      يا منى القلب قد بدا إسعادي<sup>(١)</sup>

إنّ الشاعرة في هذه الأبيات تقابل بين حالتين، الأولى مسكوت عنها في الخطاب والثانية  
مصرّح بها . فأما المسكوت عنها فهي حالة ماضية قبل أن ترتقي إلى مقام التوبة . وأما  
المصرّح بها فإطارها الحاضر كما يبيّنه ظرف الزمان " الآن " ، حاضرها بعد التوبة و انقطعت  
سبلها إلا مع الله، مصدر سعادتها، فالتوبة عندها إذن هي انتقال من الصدى إلى الارتواء ومن  
الشفاء إلى السعادة.

و قد كانت رابعة تخشى الذنوب خشية بالغة، وقد سألتها رجل مرة عن التوبة قائلاً: "إني  
قد أكثرت من الذنوب والمعاصي، فهل يتوب عليّ إن تبت؟ فقالت وهو من نادر القول: لا، بل  
لو تاب عليك لتبت"<sup>(٢)</sup>. وتقول في هجران المعاصي هذا البيت:

أطاع الله قومٌ فاستراحوا      ولم يتجرعوا غصص المعاصي<sup>(٣)</sup>

ولعلها تريد بذلك أن هناك صنفا من الناس حرصوا من جهتهم على طاعة الله، فصرف  
الله تعالى قلوبهم عن الخوض في المعاصي، فاستراحوا من مقاساة الندم ومرارة الذنب.  
وتقول تحفة العابدة في مقام التوبة:

أجبتُ لما دعيت طوعا      ملّيتُ للذي دعاني  
وخفتُ مما جنيتُ قدما      فوقع الحبّ بالأمان<sup>(٤)</sup>

(١) الحريش، شعيب بن عبد الله بن سعيد، الرّوض الفائق، ص ١١١.  
(٢) كامل، مجدي: أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٢٣.  
(٣) الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن (٦١٩هـ/١٢٢٢م): شرح مقامات الحريري، تح: محمد أبو  
الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص ٣٤٧.  
(٤) اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي (٧٦٨هـ/١٣٦٦م): روض الرياحين في حكايات الصالحين، ط١، دار  
الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٤٩. (طبعة المكتبة التوفيقية، ص ١٣٤).

فالشاعرة هنا تصرح بقبولها دعوة الله لها طواعية دون اعتراض، لكنها في الوقت ذاته خائفة مما ارتكبته من أفعال قد تغضب المولى عز وجل عليها.

وقالت جارية (مجهولة) ترجو عفو الله عنها بعد توبتها مما ارتكبته من معاصٍ :

إلهي لا تعذبني فإنني      مُقرّ بالذي قد كان مني  
فكم من زلة لي في الخطايا      غفرت وأنت ذو فضل ومَنّ  
يظن الناس بي خيراً وإنني      لشر الناس إن لم تعف عني  
ومالي حيلة إلا رجائي      لعفوك إن عفوت وحسن ظني<sup>(١)</sup>

تصرّح الشاعرة في هذه الأبيات بتوبتها إلى الله عز وجل، وتطلب مغفرته وعفوه، فهي تقر بما ارتكبته، وتعلم أنها على خطأ، لكن حسن ظنها بالله ويقينها بعفوه ومغفرته وإيمانها الشديد به، يجعلها على يقين بقبوله لتوبتها، فالتوبة في حقيقتها قائمة على الندم الصادق، وبعدها يأتي رجاء قبولها .

وخلاصة ما تقدّم أنّ التوبة في شعر الصّوفيات كانت حاضرة حضوراً لافتاً، ندركه من خلال تصويرهنّ لحياتهنّ الماضية ، حياة الزّيغ عن طريق الله والمعصية ، وندركه من خلال ندمهنّ ومن خلال إشاراتهنّ بسعادتهنّ وهنّ يرتقين هذا المقام ويسعين للعبور منه إلى مقام أرفع في طريقهنّ إلى الحقّ واليقين .

## ٢ \_ مقام الفقر :

مقام الفقر من المقامات التي دعا إليها الصوفيون، وأقروا بمدى أهميتها لصالح قلب المؤمن، حيث أن الفقر أمر ضروري إذا أراد السالك السير في الطريق والإقبال على الله والوصول إلى منتهاه، لأن المرء إن شغل نفسه بأمور الدنيا سيلتهي عن أمور الآخرة التي تدوم.

وقد عرّفه إبراهيم بن أحمد الخواص (ت ٢٩١هـ/٩٠٣م): "الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقين"<sup>(٢)</sup>.

(١) اليافعي : روض الرّياحين، ص ١٤٤ .

(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٤ .

فالخواص يستعرض لنا هنا، الصّفات التي يمنحها الفقر للمرء والتي تجمله بها عن غيره، فقد اعتبرها رداءً للشرف وتاجاً، وغنيمة، ولباساً... وغيرها من الصفات الحميدة التي يمنحها الفقر للصوفي الزاهد بفقره عن ملذّات الدنيا ومتاعها.

أمّا في الرسالة القشيرية فقد جاء أنّ: "الفقر شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه لخواصه، من الأتقياء والأنبياء"<sup>(١)</sup>. وعرف آخرون على أنه: "اسم للبراءة من رؤية الملكة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، (سورة فاطر/ الآية ١٥)"<sup>(٢)</sup>.

من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أن الفقر صفة تحلّى بها الأنبياء، وهي ميزة تجمل العبد الصالح التقي وتطهره من دنس التعلّق المادي فيرقى بجوهره إلى القناعة والتلذذ بالقليل.

وقد قسم الصوفيّة الفقر إلى درجات ثلاث:

"الدرجة الأولى: فقر الزهاد: وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطاً أو طلباً، وإسكات اللسان عنها ذماً أو مدحاً، والسلامة منها طلباً أو تركاً، وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.

والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل: وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات.

والدرجة الثالثة: صحة الاضطرار، والوقوع في يد التقطع الوجداني والاحتباس في قيد التجريد، وهذا فقر الصوفية"<sup>(٣)</sup>.

وعموماً "الصوفية في ذكرهم لهذا المقام وحديثهم عنه إنما يتسقون تماماً مع آرائهم، فهم قوم فضلوا الله على كل شيء، لأنهم يذهبون إلى أنه سبحانه وحده هو الغني وما عداه فمحتاج إليه، وعندهم أن من يستغني بالله أو إن شئتم من يملكه الله فإنه يكون حينئذ مالكا لكل شيء"<sup>(٤)</sup>.

"والفقر عند الصوفية لا يقتصر على الناحية المادية فحسب بل إنه يتجاوزها إلى المعنى الروحي الذي هو أقرب إلى الافتقار لله، يقول إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ/ ٧٧٨م): طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر"<sup>(٥)</sup>.

(١) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٤٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥٢.

(٣) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٧٢.

(٤) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٣.

(٥) أنظر: عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٤.

فالفقر كما سبق الذكر لا يقتصر فقط على الجوانب المادية، بل يتجاوزها إلى معناه المعنوي الروحي في الحاجة الدائمة إلى الله والافتقار له، وهذا الفقر بنظرهم، أعظم وأفضل منزلة من الفقر المادي.

تقول رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مُبْلِغي      أَلزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟<sup>(١)</sup>

العابدة هنا تبين حقيقة الافتقار وبلوغ المراد، وتتحدث عن فقرها وقلة زادها، ولكن لا تشير إلى فقرها المادي، وإنما قلة زادها المعنوي، وتخشى أن لا يكفيها هذا الزاد للوصول إلى الله وبذلك تدخل النار، لكن رجاءها ومخافتها لله سبحانه عز وجل تجعلها مطمئنة برحمته لها.

تقول جارية من عاقلات مجانين البصرة:

إنَّ إلهي لغني حميد      في كلِّ يوم منه رزق جديد

الحمد لله الذي لم يزل      يفعل بي أكثر مما أريد<sup>(٢)</sup>

تكتفي هنا بغنى الله وحده، فهي لا تحتاج إلى الغنى طالما أن الله يكفيها، فله الحول والقوة لفعل ما يريد بها، ورزقها عليه، لا تخشى أن لا يأتي لأنه بيد الغني الحميد، فالفقر هو بمثابة عطاء من الله لهنَّ فيرضين به ويصبرن عليه.

### ٣ \_ مقام الزهد :

الزهد عند الصوفية هو الانقطاع عن الدنيا وما فيها، والنظر إليها بعين المقت، والصوفية يعتبرون الزهد "الأب الشرعي للتصوف، ومن غير الممكن أن يوجد التصوف دون أن تسبقه في ذلك حركة الزهد، فالزهد هو المعرفة الضرورية التي لا بد منها لقيام التصوف ونهضته، وهو شرط رئيسي وهام للتصوف، والصوفية بأكملهم يجمعون على ذلك<sup>(٣)</sup>.

للزهد أهمية كبرى عند الصوفيين لدرجة أنهم اعتبروه الأب الشرعي للتصوف، فكل متصوف هو في الأصل زاهد، وليس بالضرورة أن يكون كل زاهد متصوفاً، فالزهد شرط أساسي لا يصح التصوف إلا بوجوده.

(١) ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٨٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢١ .

(٣) أنظر: عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١٠٩.

وللزهد تعريفات كثيرة تختلف باختلاف وجهات نظر أصحابها نأخذ من بينها:

عرّفه الطوسي بقوله : "الزهد مقام شريف، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يُحکم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة"<sup>(١)</sup>.

وعرّفه ابن الجلاء (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م): "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الرسالة القشيرية: "الزهد أن تترك الدنيا، ثم لا تبالي بمن أخذها"<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الأنصاري للزهد درجات ثلاثاً وهي:

"الدرجة الأولى: الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة، والأنفة من المنقصة، وكراهة مشاركة الفساق.

والدرجة الثانية: الزهد في الفضول وما زاد على المسكة والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش، والتخلي بحلية الأنبياء والصديقين.

والدرجة الثالثة: الزهد في الزهد بثلاثة أشياء: باستحراق ما زهدت فيه واستواء الحالات عندك، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادي الحقائق"<sup>(٤)</sup>.

وقد فصل الطوسي الزهاد إلى ثلاث طبقات هي طبقة المبتدئين وهم الفقراء الذين ليس لديهم ما يحبهم في الدنيا ويثير رغباتهم في متعها. أما الطبقة الثانية فهي طبقة المتحققين في الزهد ، وهم من تركوا " حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا"<sup>(٥)</sup> بما في ذلك ما يعود به عليهم الزهد من شهرة بين الناس وحظوة. أما الطبقة الثالثة فهم من أدركوا أنه لو كانت الدنيا تعني عند الله شيئاً لما متّع بها الكافرين، فاختراروا الزهد نأياً بأنفسهم . وبهذا يتبين لنا أنّ الصوفيّة قد أجمعوا على الزهد في ما حرّمه الله ولكنّ تفرّقهم إلى درجات وطبقات كان في الزهد في أمور الدنيا غير المخصوصة بالتحريم .

(١) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٢.

(٢) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٠.

(٣) القشيري، أبو القاسم ، الرسالة القشيرية، ص ٢١٩.

(٤) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٣٠-٣١.

(٥) أنظر: الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٢-٧٣.

وقد ظهر كلّ ذلك عند الكثير من الصّوفيات العباسيات منهم رابعة العدوية التي كانت في الزهد مضرب المثل، ومقامها فيه هو المقام الأرفع، فكانت لا تأكل بالأسبوع، وتنسى الجوع، وكانت خلاله لا تجلس ولا يفتر ذكرها الله، تصوم وتصلي، فإذا خفعت من الجوع وانهارت ساقها وسرى التكسر في أعضائها فلا تتناول سوى الماء، ويحكى أن قطا دخل فقلب كوز الماء وبقي كبدها ظمئان مشتعلا من تأوه القلب كما يقول العطار، ويجيئها الهاتف يقول: لا تحزني إن شئت أن تكوني مولعة بالله فعليك أن تتخذي من ترك الدنيا صناعتك الدائمة، ولقد فعلت<sup>(١)</sup>.

وقد صاغت الزاهدات الشاعرات ذلك في أشعارهن، فها هي واحدة من عاقلات مجانيين البصرة تقول فيه:

زهد الزاهدونَ والعابدونا      إذ لمولاهم أجاعوا البطونا  
أسهروا الأعينَ القريحة فيه      فمضى ليلهم وهم ساهرونا  
حيرتهم محبة الله حتى      علم الناس أن فيهم جنونا  
هم ألبا ذوو عقول ولكن      قد شجاهم جميع ما يعرفونا<sup>(٢)</sup>

فهذه الأبيات تحكي عن زهد العابدة، من سهر وتجويع بطون، وعبادة وكلها لأجل الله وحده وهنا تذكيراً منها أن من ترونهم مجانيين هم أصحاب عقول ولكن أهمهم وأحزنهم ما عرفوا فلم يهتموا لظاهرهم لأن باطنهم منشغل بالله .

#### ٤ \_ مقام الصبر :

إن القرآن الكريم يزخر بآيات تدعونا إلى الصبر وتحثنا عليه وتبشّر الصابرين وتعدهم بحسن العاقبة ، قال تعالى: ﴿وَأصبر وما صبرك إلا بالله﴾ ( النحل ، ١٢٧ ) ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾ (آل عمران: ٢٠٠) وقوله تعالى أيضا: ﴿والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٦)، أمّا عن جزاء الصابرين فقد مدحهم الله بقوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾، (الرعد: ٢٤). وقد قدّم " سبحانه وتعالى الصبر على الصلاة والصوم والحج وغيرها، لأن هذه الفرائض بلا شك تقتضي الصبر الذي بدونه لا تكتمل عبادة الإنسان لله ولا يوفيه سبحانه دينه حق وفائه"<sup>(٣)</sup>.

(١) الحفني، عبد المنعم: العابدة الخاشعة- رابعة العدوية، ص ١٥٣.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٧٢١.

(٣) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٦.

يعتبر مقام الصبر من أهم المقامات التي يبذل فيها العابد جهداً معنوياً، وهو من أصعب المقامات التي يدركها، والصبر من المقامات التي يصل إليها الصوفي بما يبذل من جهد وتحمل، ويتوفيق من الله سبحانه وتعالى. الصبر عند الصوفية مقام شديد الأهمية لأنه على علاقة وطيدة بمقام الزهد، يجب على الصوفي فيه أن يتحمل ويبذل جهداً مضمناً للرقى إليه.

وقد اختلف تعريف الصبر داخل منظومة المصطلحات الصوفية، فهو يتعلق عند البعض بالبدن، وعند البعض الآخر برؤيته للدنيا، وآخرون يحدّدونه بمسألة الفناء في الله ومنهم من يراه في الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية. وفي كلّ الأحوال فإنّ مجموع هذه الاختلافات يشكل مقاما صوفياً ومرتبياً يسعى الصوفي إلى الارتقاء إليها.

فقد عرّفه أبو عثمان (ت ٢٩٨هـ) بقوله: "الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة"<sup>(١)</sup>. في حين جاء في اللمع أنّ "الصبر حمل المؤمن لله تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه"<sup>(٢)</sup>.

وأما في الرسالة القشيرية فنجد أنّ "الصبر تجرّع المرارة من غير تعبيس"<sup>(٣)</sup>. وقد نقل القشيري في الرسالة المذكورة تعريفاً لذي النون المصري (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) جاء فيه أنّ "الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرّع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر ساحات المعيشة"<sup>(٤)</sup>.

و جاء تعريفه أيضاً على لسان الهروي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) بقوله: "الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى، وهو أيضاً من أصعب المنازل على العامة، وأوحشها في طريق المحبة، وأنكرها في طريق التوحيد"<sup>(٥)</sup>.

فالصبر إذن، حقيقة من أصعب المقامات؛ لذلك فإن ما يبذله العابد من جهد في حبس نفسه وكتمها، تقبل قضاء القدر وتقلب الدهر بنفس راضية مطمئنة. وفي كل هذه التعريفات، نلمس معنى واحداً واضحاً وهو: تحمل الشدائد، وتجرّع مرارة الأيام، وتحمل أيام الشدة حتى يحل الرخاء، فينبغي على المؤمن العابد الثبات وتلقي البلاء بنفس راضية غير شاكية، ونلمس أيضاً في هذه التعريفات إجماع العلماء والصوفيين على ضرورة التحمل وضبط النفس على الألم

(١) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٧.

(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٦.

(٣) القشيري، أبو القاسم، الرسالة القشيرية، ص ٣٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(٥) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٤٩.

والمكروهات، وتلقي البلاء بصدر مفتوح متقبل لقضاء الله، والثبات وعدم الشكوى لأجل الله تعالى وهي التي تميز العابد الصابر من غيره.

والصبر درجات ثلاث:

"الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاءً على الإيمان، وحرماً من الجزاء، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً.

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً.

والدرجة الثالثة: الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وتذكر سوافل النعم.

وفي هذه الدرجات الثلاث نزلت: ﴿اصبروا﴾، يعني في البلاء، ﴿وصابروا﴾، يعني عن المعصية، ﴿ورابطوا﴾، يعني على الطاعة<sup>(١)</sup>.

وكغيرهنّ من أهل الصوّفيّة حفلت أشعار النساء الصوّفيات بمقام الصبر ، فأبدعن في صوغ أبياتهن الشعرية ونذكر منها بيتاً لريحانة تقول فيه:

واجهد وكذّ وكن في الليل ذا شجن يسقيك كأس ودار العزّ والكرم<sup>(٢)</sup>

بدا هذا البيت رسالة بانثّ إلى متقبّل مضمونه في النصّح والإرشاد والدعوة إلى بذل الجهد في الفرائض وقيام الليل، وهو في الحقيقة تصويراً دقيقاً لمقام الصبر عند الشاعرة ، هذا المقام الذي رقت إليه في تعبدها حتى صارت تدعو إليه وتبشّر بحسناته ، وأساسه المجاهدة والبذل والكّد في العبادة والتقرب، فالعبادة قد صبرت كثيراً والفوز بالوداد هو محصلة ذلك الصبر والتحمل.

وتروي تحفة المجنونة معاصرة لسريّ السقّطي، (ت ٢٥٣هـ/١٨٦٧م)، أيضاً قصتها مع الصبر عن بعدها عن محبوبها تقول:

يا سرور السرور أنت سروري يا حياة النفوس أنت حبوري

أنت ناري وجنتي ونعيمي وأنيسي وأنت نور النور

كم ترى يصبر المحب على البع د وكم يلبث الهوى في الصدور<sup>(٣)</sup>

(١) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٥٠.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ، ص ٧٢٥.

(٣) الحريفيش، الرّوض الفائق في المواعظ والرفائق، ص ٢٢١.

الشاعرة تستفسر في هذه الأبيات عن مقدار الصبر الذي يلزم المحب ليصبر على معشوقه، وفي هذه الأبيات تصريح واضح للعبادة عن صبرها لبعدها محبوبها عنها.

وقالت امرأة معاصرة لذي النون (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م):

أنت تدري يا حبيبي      من حبيبي أنت تدري

ونحول الجسم والدم      عُ يوحان بسري

يا عزيزي قد كتمتُ الـ      حباً حتى ضاق صدري<sup>(١)</sup>

فهذه العابدة صبرت حتى نال منها الصبر، ومن صبرها ذبل جسمها ودمها وباحا بسرها الذي لم تبح به، وهو شوقها لفراق حبيبها عنها.

وقالت جارية (مجهولة):

وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا      له مقلة عبرى أضر بها البكا

وجسم نحيل من شجى لوعة الهوى      فمن ذا يداوي المستهام من الضنا

ولا سيما والحب صعب مرأته      إذا عطفت منه العواطف بالقنا<sup>(٢)</sup>

وهذا مثال آخر أوردناه عن ما قالته النساء الصوفيات في الصبر، وفيه تحكي العابدة عن ما فعله العشق بها وبحالها، وكيف صبرت حتى ضمّر جسمها، وذبلت مقلة عينها، فكيف يصبر المحب عن فراق محبوبه؟

وقد أنشدت ريحانة في إمساك النفس عن الهوى قائلة :

صبرتُ عن اللذات حتى تولت      وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة      فلما رأّت عزمي على الذل ذلت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى      فإن طمعت تافت وإلا تسالت<sup>(٣)</sup>

لا شك أنّ هذه الأبيات توضّح ببساطة شديدة منهج صاحبتهن في ترقّي هذا المقام، ألا وهو منهج الإعراض عن اللذات والالتزام بذلك و ترويض النفس عليه، وهو ما يسمّيه الصوفية بالرياضات، فكانّ الصبر إذن بهذه الأمور مجموعة مقامات وحده لا مقاماً واحداً.

(١) ابن عربي : الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مجلد ٣، ص ١٩٧.  
(٢) اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي : روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص ١٠٠. (وفي طبعة المكتبة التوفيقية، ص ٨٦).  
(٣) النيسابوري، ابن حبيب: عقلاء المجانين، ص ٢٧٩-٢٨٠.

## ٥ \_ مقام التوكل :

إنّ محبّة الله والإخلاص له تترجم عند الصوّفيّة بالتوكل. ولكنّ التوكل عندهم مقام واجب على الخاصة بقدر وجوبه على العامة، فإذا كانت الدنيا مطمع المتوكلين على الله عند العامة فإنّ الصلاح هو مآمل الخاصّة منه.

ففي القرآن الكريم، يرتبط توكل الإنسان بعلاقته مع الله من محبة وقرب، وهذا ما تظهره الآيات مفسحة عن هذا الترابط، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣).

إلى جانب ما ورد في القرآن بمواضع كثيرة ذكراً خاصاً بالمؤمنين المتوكلين "يربو على التسعين ذكراً ... نجد أنّ الصوفية يذهبون إلى أن مسبب الأسباب وعلّة العلل وموجد الموجودات كلها هو الله، وأن كل ما عداه فأسباب وعلل ثانوية... ولهذا فإن على المرء بعد أن صفى قلبه أن يخضع جوارحه لأحكام هذا القلب وهي الأحكام التي ذهب فيها الصوفي إلى أنها توافق تماماً الطبيعة أي توافق حكم الله"<sup>(١)</sup>.

فالتوكل، من هذه الناحية، بالرغم من كونه مقاماً صوفياً إلا أنه لا يخص الصوفية وحدهم، بل هو مقام أمر الله به العامة من الناس، فالتوكل يجعل من المرء حسن الظن بالله، ومن ثم فهو يعقد النية ويتوكل على الله في كل أمور دنياه ودينه فإذا ما عزم المؤمن على أمر وجب عليه التوكل استجابة لأمر الله تعالى لأن العزم مرتبط بالحدوث بالتوكل والذي هو باب لتحقيق كل ما نسعى لنيله.

"وإذا كان الصبر موقفاً سلبياً يقفه الصوفي تجاه ما يحدث له، فإن التوكل غير ذلك تماماً، إذ إنه موقف يسلكه الصوفي تجاه الآخرين لأن التوكل يتضمن الفعل ولا ينبغي أن يفهم من هذا المقام أن الصوفية مجمعون على حقيقة التوكل، ذلك أن منهم من ذهب إلى القول بأن التوكل يعني طرح الأسباب جانباً، بينما ذهب آخرون إلى أنه الأخذ بالأسباب والاعتماد على رضاء الله وتأبيده في نفس الوقت"<sup>(٢)</sup>.

ويختلف مقام الصبر عن مقام التوكل، فالأول يعني الصبر على الشدة وعلى المصائب، والثاني يدخل في نطاق الفعل وعقد نية التوكل على الله دون سواه في قضاء أي حاجة.

(١) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٨.

وجاء في منازل السائرين أن: "التوكل كلة الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل العامة عليهم، وأوهى السبل عند الخاصة، لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه، وأياس العالم من ملك شيء منها"<sup>(١)</sup>.

وعرفه أبو تراب النخشي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ م): "التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن مُنع صبر راضياً موافقاً للقدر"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الرسالة القشيرية قول سهل بن عبد الله (ت ٢٨٣ هـ): "أول مقام في التوكل: أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالमित في يد الغاسل، يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا تدبير"<sup>(٣)</sup>.

فالتوكل يجعل من المرء خاضعاً لله لا يعترض على أوامره ونواهيه، وفي ذلك تشبيه له بالميت الذي ينقلب يميناً وشمالاً بين يدي غاسله دون حراك ودون أي اعتراض على أمر، كذلك المؤمن المتعبد عليه في توكله على الله أن يكون خاضعاً له، مستسلماً لأوامره لا يعترض على حكمه في شيء بعيداً عن إرادة النفس غير راجع إلى مشورة العقل فذاك هو عين التوكل.

وخلاصة هذه التعريفات أنها تجتمع على أمر واحد وهو الاعتماد على الله تعالى والأخذ بأسبابه، والخضوع له والتوكل عليه في كل فعل يقوم به المرء لدينه أو دنياه فنلمس ذلك التوكل في أقوال العابدات الصوفيات اللواتي يعظن ويطلبن من الناس التوكل على الله في كسب الخير والسير بطرقات الدنيا حتى يحين اللقاء معه سبحانه بعد الممات فلم يعرن أي اهتمام لطرق العيش وأسبابها فنرى مريم البصرية من أيام رابعة العدوية تقول: "ما أهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾"<sup>(٤)</sup>. (الذاريات: ٢٢).

ومن النماذج الشعرية للنساء المتصوفات في التوكل قول عابدة من بيت المقدس:

تزود قرينا من فعالك إنما	قرين الفتى في القبر ما كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل <sup>(٥)</sup>

(١) الهروي، عبد الله الأنصاري،: منازل السائرين، ص ٤٣-٤٤.

(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٨.

(٣) القشيري، أبو القاسم، الرسالة القشيرية، ص ٢٩٥.

(٤) السلمي، عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٣٣.

(٥) ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٨٣٢.

فهي هنا تظهر في وعظها ونصحها أن التوكل على الله ثم العمل هو ما ينفع الإنسان وهو في قبره، لأنه ومهما عمّر في هذه الدنيا يظل ضيفاً عليها فقط، وسيأتيه يوم للرحيل، والانتقال من الدنيا إلى الآخرة.

## ٦\_ مقام الرضا :

يعتبر مقام الرضا من أجلّ المقامات الصوفية وأعلاها ، ويرى أكثر الصوّفيّة أنه ليس من السهل على أيّ إنسان الوصول إليه.

وهو في اللغة، من مادّة رضيّ، والرضا هو الاستحسان واطمئنان النّفس وهو نقيض السخط. أمّا اصطلاحاً فهو سرور القلب بمُرّ القضاء<sup>(١)</sup>. وهو عند بعض الصوفية من الأحوال يهبه الله تعالى لمن توكل عليه وأخلص العبادة له سبحانه.

وقد تعددت تعريفاته عندهم ، وهو عند الطوسي " باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عزّ وجلّ"<sup>(٢)</sup>. فإذا امتلك الإنسان الرضا و وصل إلى مقامه فقد ظفر بباب الله الأعظم، ونال أفضاله الكثيرة التي لا تكون إلا للخاصّة من الأولياء. وقد نقل عن ابن عطاء رحمه الله (ت: ٧٠٩هـ ) قوله: "الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط"<sup>(٣)</sup>.

أمّا في " منازل السائرين" فتعريف الرضا هو أنه: "اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتبس متقدماً ولا متأخراً، ولا يستزيد مزيداً ولا يستبدل حالاً، وهو من مسالك أهل الخصوص، وأشقها على العامة"<sup>(٤)</sup>.

والرضا يعني الخضوع التام والقناعة بكل ما يأتي من الله خيراً كان أم غير ذلك، واليقين بأن كل ما يأتي للإنسان من الله هو فيه الصلاح له، حتى لو بدا له غير ذلك. قال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٤٧١هـ/١٠٧٨م)، التعريفات ، دار الفضيّلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٩٦.

(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٨٠.

(٣) الطوسي، المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٤) الهروي، عبد الله الأنصاري،: منازل السائرين، ص ٥١.

(٥) سورة البقرة، الآية : ٢١٦.

"والرضا هو ذلك المقام الذي يشير إلى عدم اعتراض المرء على كل ما يحدث له، بعبارة أخرى: أن الرضا هو موافقة العبد على قضاء الله وقدره بسهولة من غير تكلف أو استياء أو قنوط ذلك أن الصوفي يدرك حينئذ أن كل ما يحدث حادث بقضاء الله وقدره"<sup>(١)</sup>.  
إذن، يأتي الرضا بعد قناعة تامة من العبد بأن كل ما هو آت من الله فيه الخير والرشاد، والرضا يكون بتقبل قضاء الله وقدره، فالإنسان المؤمن يحمده الله في الشدة كما يحمده في الرخاء.

وللرضا ثلاث درجات وهي:

"الدرجة الأولى: رضا العامة: وهو الرضا بالله ربا، بسخط عبادة ما دونه، وهذا قطب رحى الإسلام، وهو يطهر من الشرك الأكبر، وهو يصح بثلاثة شرائط: أن يكون الله عز وجل أحب الأشياء إلى المرء، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة.  
والدرجة الثانية: الرضا عن الله عز وجل: وبهذا الرضا نطقت آيات التنزيل، وهو الرضا عنه في كل ما قضى، وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص، ويصح بثلاث شرائط: باستواء الحالات عند العبد، وبسقوط الخصومة مع الخلق، وبالخلاص من المسألة والإلاح.  
والدرجة الثالثة: الرضا برضا الله: فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضى، فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار، وإسقاط التمييز ولو أدخل النار"<sup>(٢)</sup>.

وكما أن كبار العابدات عرفن الرضا بكمال التعريفات لبلوغهن عالي الدرجات فعندما "سئلت رابعة العدوية (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م): متى يكون العبد راضياً؟ فقالت إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة"<sup>(٣)</sup>.

"والرضا من أجلّ مقامات رابعة، ومن لا يصل في معراجه إلى الرضا فما ذاق من لذة المحبة، إذ تقول:

من ذاق حبّك لا يرى مبتسماً من طول حزن في الحشا إشعال<sup>(٤)</sup>

ومن يبلغ إلى الرضا ويرتقي عنه إلى استعذاب الألم فهو المحقق، وكانت رابعة المحققة، فكم اشتاقت وكم تعذبت، وتقول: كم طالت بي الليالي والأيام بالشوق إلى لقاء الله، وتخشى أن يداخلها الشعور بالفرح فتقول: لا يكون حزني أن أكون محزونة، بل حزني أني ما كنت محزونة، وترضى أن تكون محزونة طالما أن حزنها له، وتكذب حزن سفيان الثوري

(١) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١٢٢.

(٢) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٥١-٥٢.

(٣) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٣٤٠.

(٤) القشيري، الرسالة القشيرية، ج ٢، ص ٦٢٤.

(ت ١٦١هـ/٧٧٨م) لأنه يطلب الدنيا ومسرور بها، وتستغفر ربها أن لا تكون مخلصه في استغفارها<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة الشعرية النسوية في الرضا ما قالته رابعة العدوية:

راحتي يا أخوتي في خلوتي      وحببي دائما في حضرتي  
لم أجد لي عن هواه عوضا      وهواه في البرايا محنتي  
حيثما كنت أشاهد حسنه      فهو محرابي إليه قبلتي  
إن أمت وجرأ وما تمّ رضا      وعنائتي في الورى وشقوتي<sup>(٢)</sup>

تذكر رابعة العدوية في هذه الأبيات مدى ولعها وعشقها لله، ومن شدة عشقها له فهي تشاهده أينما حلت وأينما ذهبت، وتذكر أيضا خوفها الشديد من إمكانية عدم رضا الله عليها برغم عشقها للمولى عز وجل.

تقول رابعة العدوية:

ليس لي عنك ما حبيت براح      أنت منى ممكّن في السواد  
إن تكن راضيا علي فإنني      يا منى القلب قد بدا إسعادي<sup>(٣)</sup>

تنشئ رابعة في هذين البيتين خطاباً توجّهه إلى " حبيبها " واصفة مكانته عندها مستعملة وصفاً بليغاً تضيق به المسافة بينه وبين سواد قلبها تعبيراً عن حبّ شديد تشعر به وتحسّه. وتتميّ خطابها بأسلوب الشرط الذي أفاد الإمكان بحيث تقيدّ سعادتها برضا المحبوب ، دون أن ننسى جملة النداء الواردة في الخطاب على سبيل الاعتراض الذي أفاد الالتماس الذي يحدّد طبيعة العلاقة بين العابدة و"حبيبها" علاقة تذلّل وتضرع من جانبها.

قالت حيّونة المَجْنونة-الأهوازية:

يا ذا الذي وعد الرضى لحبيبه      أنت الذي ما إن سواك أريد<sup>(٤)</sup>

إنّ هذا البيت لا يختلف في معناه عمّا عهدناه عند الصوفيّة ولكنّه في أسلوبه على غاية كبيرة من الطرافة، فعبارة " ما إن سواك أريد" تحتمل معنيين :

فالمعنى الأوّل ينشأ من كونها ظرفاً وإطاراً لا يرد إلا في تركيب لغويّ تلازمي يفترض جواباً له كقولك مثلاً: "ما إن أكلت حتى جعت من جديد". وهذا يعني أنّ حيّونة أخفت الجواب عن المتلقي وقدّرتّه ، ولكن ما تقديره؟ لا يمكن للمتلقي أن يدرك ذلك، فهو بذلك خطاب من

(١) انظر: الحفني، عبد المنعم: العابدة الخاشعة- رابعة العدوية، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) الحريفيش، الرّوض الفائق في المواعظ والرقائق، ص ١١١.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١.

(٤) النيسابوي: عقلاء المجانين، ص ٢٨٧.

القلب إلى القلب لا يستطيع أيّ طرف خارجيّ أن يدركه، وهو بذلك دعوة من حيّونة للائمها بالكفّ عن التّدخل بين محبّين ضاقت المسافة بينهما حتّى صاروا واحداً.

وأما المعنى الثاني فهو ببساطة وبلاغة شديدة يقوم على النّقي، أي أنّ الأداة " ما إن " هنا تفيد النّقي المطلق القاطع ، نفي لأيّ شراكة في حبّ العابدة لمحبوبها حتّى وإن كانت شراكة جسدها.

وتقول عابدة أخرى في مقام الرضا:

أحبك حبين حب الرضا      وحبّ لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حب الرضا      فذكر شغلت به عن سواكا  
وأما الذي أنت أهل له      فكشفك للحجب حتى أراكا  
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي      ولكن لك الحمد في ذا وذاكا<sup>(١)</sup>

تعدّد العابدة في هذه الأبيات أسباب حبّها للذات الإلهيّة وتفصلها وتجعل رضا الله أوّل الأسباب متقدّماً عن كون الله أهلاً لحبّها ، والتّقديم هنا ليس للمفاضلة وإنما لأنّ الأوّل يحقق الاستغراق الكلّيّ في الله الذي ينتج عنه تجلّي الذات الإلهيّة لها. وهذا يعني، بعبارة قليلة، أنّ الرضا هو طريق الحب، والحبّ طريق التجلّي. إنّ هذه الأبيات على قصرها ورغم أنها وردت على بحر المتقارب المعروف بسرعة نغمته فإنها تبدو من حيث بناؤها على درجة كبيرة من التماسك بين وحداتها وتحمل في معانيها أسلوب تفكير واستدلال ووعي تامّ بالعلاقات السببيّة أو المنطقيّة الكامنة بين مراقي التصوّف ومقاماته.

وهو ما نلاحظه أيضاً فيما يلي:

فقد قالت ريحانة في الرضا:

رَضِيهَا فَأَرْضِيهِ فَحَازَتْ مِنَ الرُّضَى      وَحَلَّتْ مِنَ المَحْبُوبِ بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ<sup>(٢)</sup>

(١) ابن الجوزي: صفة الصّفوة، ص ٩٢٧.

(٢) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.



## المبحث الثاني: الأحوال في شعر النّساء الصّوفيات

إن الحديث عن الأحوال لا بدّ أن يأتي في مرحلة لاحقة بعد المقامات؛ وذلك لأن الأحوال تعتبر حالات وانفعالات شعورية يحس بها المتصوف وهو يعرج بين المقامات، وفي هذا المبحث سوف نتطرق إلى الحديث عن الأحوال ومنزلتها عند الصوفي، لنقف عند كل حال منها، ونتعرف إلى النّساء العابدات الصوفيات وعلى أحوالهن الصوفية، ونستعرض أهم الأبيات الشعرية لهن. لكن قبل كل هذا سنقوم بتعريف الحال عند أكبر أئمة الصوفية، ونتعرّف إلى أقوالهم فيه.

### مفهوم الحال:

نستطيع القول إن الحال هو عبارة عن حالة معنوية يشعر بها العبد السالك أثناء سلوكه إلى الله تعالى، وقد جاء في الرسالة القشيرية تعريف الحال على أنه: "معنى يرد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم من: طرب أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو احتياج"<sup>(١)</sup>.

فهذا التعريف ربط لنا الحال بالقلب، والقلب كما يعرف هو خزّان الانفعالات وتقلباتها.

وورد في اللمع: "وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب: من صفاء الأذكار"<sup>(٢)</sup>.

وعرّفه الجنيد (ت ٢٩٨هـ) قائلاً: "الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم"<sup>(٣)</sup>. وفي تعريف الجنيد نلاحظ أنه جعل من الحال حالة تنزل على القلب لفترة معينة ثم تذهب ولا تدوم، وهذا ما يفرق بين الأحوال والمقامات، كون الأخيرة تعد منازل يرتقي إليها السالك بعبادته وتصوفه، بينما الأحوال هي ما يصاحب السالك من حالات شعورية في أثناء الترقّي إلى المقامات وهذه الأحوال تُوهب وهباً ولا تُكتسب اكتساباً، وهي تتغيّر وتزول وهذا على العكس من المقامات التي تكتسب اكتساباً، وتظلّ مرافقة للسالك .

(١) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٣٣.

(٢) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٦.

وفي معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ت: ٧٣٦هـ) أن: "الحال هو ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب، كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق، ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أو لا، فإذا دام وصار ملكاً سمي مقاماً"<sup>(١)</sup>.

وفي قاموس المصطلحات الصوفية: "الحال هو عبارة عن أمر يرد من حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية، يكيّف العبد بصورة ما هو منطبقٌ عليه"<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذه التعريفات كلها أجمعت على كون الحال هو ما يرد على القلب من انفعالات مختلفة، دون تعمل، تحدث تأثيرها فيه، وشرطها عدم الدوام؛ لأن أحوال المرء تتغير ما بين حزن وفرح وقلق وطمأنينة وشوق ... الخ.

"وسئلت إحدى العابدات وهي مؤمنة بنت بهلول: من أين استقدت هذه الأحوال؟ فقالت: من اتباع أمر الله على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتعظيم حقوق المسلمين، والقيام بخدمة الأبرار الصالحين"<sup>(٣)</sup>.

## ١\_ حال المحبة :

ورد ذكر حال المحبة في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، منها "قوله تعالى: ﴿سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾، [المائدة: الآية ٥٧]، وقوله في موضع آخر: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، [آل عمران: ٣١]"<sup>(٤)</sup>.

وعرفها أبو يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ) بقوله: "المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك"<sup>(٥)</sup>.

و"المحبه تعلق القلب بين الهمة والأنس، في البذل والمنع، على الأفراد، والمحبة أول أودية الفناء"<sup>(٦)</sup>. وجاء في الرسالة القشيرية تعريف المحبة على أنها: "غليان القلب وثوراته عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب"<sup>(٧)</sup>.

(١) الكاشاني، عبد الرزاق (ت: ٧٣٦هـ/١٣٣٥م): معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٨١.

(٢) حمدي، أيمن: قاموس المصطلحات الصوفية، ص ٥٤.

(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن: مصدر سابق، ص ٢٤.

(٤) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص ٨٦.

(٥) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي-الطريق والرجال، ص ١٢٦.

(٦) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٨٨.

(٧) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٤٨٦.

"وقالت عافية المشتاقفة، وهي إحدى العابدات من البصرة: "المحب لا يسأم من مناجاة حبيبه، ولا يهمله سواه، واشوقاه، واشوقاه، واشوقاه" (١).

إذن، فقد أجمعت هذه التعريفات على جعل المحبة مرتبطة بالعطاء أكثر من الأخذ، فالمحب يؤثر محبوبه على نفسه في كل شيء، وفي المحبة تجتمع كل مشاعر الشوق والولع والشغف للقاء المحبوب.

وقد ورد حال المحبة في شعر النساء الصوفيات كثيراً، حيث إنهن عبّرن في مواضع كثيرة عن شغفهن وولعهن بالله، ونورد بعض النماذج لذلك كقول نغله ذو النون عن جارية عابدة تقول فيه:

أحبك حُبِّين: حُبّ الودادِ      وحبًّا لأنك أهلٌ لذاكا

فأمّا الذي هو حُبّ الودادِ      فذكر شُغلتُ به عن سواكا

وأما الذي أنت أهلٌ له      فكشفتُ الحُجبُ حتى أراكا

فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي      ولكنْ لك الحمدَ في ذا وذاكا (٢).

تعدّد المتعبّدة في هذه الأبيات أنواع حبّها للذات الإلهية مفسّرة كلّ نوع منها متبّعة أسلوب " التوليد المعنوي" بحيث تتناسل المعاني من بعضها لتصبّ في نهاية الخطاب في نتيجة هي ملخّص حال المحبّة فيها ، ألا وهو الاعتراف لله و"حمده" عن هذا الحبّ، ونساء الصوفية عموماً أغلبهن كتبن عن قصص محبتهن لله، وجسدن هذه المحبة في صور مختلفة.

قالت رابعة العدوية:

راحتي يا إخوتي في خلوتي      وحببي دائماً في حضرتي

لم أجد لي عن هواه عوضاً      وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشاهد حسنه      فهو محرابي إليه قبلتي (٣)

(١) السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٤٠.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ٨٩٨.

(٣) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.

إنَّ الراحة الحقيقية عند رابعة تكون وهي في حضرة المحبوب، وفي خلوتها معه، ذلك لأنها لم تجد من يُعوّضها عن حبه فلا شيء يقارن به، ولا شيء يضاهي حسنه وجماله، وذلك هو الحب الحقيقي في أسمى معانيه، حين يتجرد المرء من ثوب المادة ويسبح في فضاء التأمل في لحظات خلوة مع الحبيب يستشعر فيها معاني العشق والشوق وهو في حضرة، فهي ساعة تغيب فيها كل المخلوقات ويبقى هو وحده الحاضر في قلب محبه.

وتقول في موضع آخر:

يا طبيب القلب يا كل المنى      جد بوصل منك يشفي مهجتي  
يا سروري وحياتي دائما      نشأتي منك وأيضا نشوتي  
قد هجرت الخلق جمعاً أرتجي      منك وصلاً فهو أقصى منيتي<sup>(١)</sup>

فرابعة هنا تعبر عن وجدها وشغفها بمحبوبها، وكيف أنها تجد راحتها حين تكون بخلوته، وكيف أنها هجرت كل الخلق لتجد الوصل من محبوبها، وذلك هو أقصى مناها، وفي المحبة يضحى العاشق ويتخلى عن أشياء كثيرة ليظفر بمحبوبه، فحتى يظفر بحب الخالق عليه ترك المخلوق وهجره، والانشغال فقط بمحبوبه.

ونجد في المحبة أيضا في قول عثامة بنت بلال:

لَهْفِي عَلَيْكَ صَبَابَةً      مَا عَشْتُ طَوْلَ حَيَاتِيهِ<sup>(٢)</sup>

لقد ربطت العابدة في هذا البيت الشعري المحبة في أوسع درجاتها وهي الלהفة، فحين تجتمع المحبة بالشوق مع عدم الصبر على فراق الحبيب يصبح العاشق مثلها ينتظر فقط ساعات خلوته بحبيبه، وهذا ما فعلته العابدة حيث جسدت هذا البيت في أحسن صورة.

وقالت رابعة الشامية:

حَيَّرْتَهُمْ مَحَبَّةَ اللَّهِ حَتَّى      عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ فِيهِمْ جُنُونًا<sup>(٣)</sup>

إنَّ هذا البيت من الأبيات القليلة التي نجدها عند النساء الصوفيات والتي تتحدّث عن الجنون عند الصوفيّة عامّة، فهي رابعة الشاميّة تفسّره بأنّه رتبة سامية من مراتب المحبة التي " حيرت " عامّة الناس وصعّب عليهم إدراك كونها فنعتوها بالجنون.

(١) الحريفيش : الروض الفائق ، ص ١١١ .

(٢) السلمي، أبي عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٤٦ .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفة، ٧٢١ .

وقالت ريحانة:

حسب المحب من الحبيب بعلمه      أن المحب بيبابه مطروح  
والقلب منه إن تنفس في الدجى      بسهام لوعات الهوى مجروح<sup>(١)</sup>

وقالت جارية سوداء:

لك علم بما يُجنّ فؤادي      فارحم اليوم ذلّتي وانفرادي<sup>(٢)</sup>

نلاحظ في أبيات ريحانة والعبدة والجارية حضور معجمين اثنين يلخّصان حال المحبة ويكشفان عن صورته عند الشعاعرات الصّوفيّات ، هما معجم الحبّ بعبارات من قبيل " حبّ " و"حبيب" و"عزيز" و"هوى" و"عواطف"، ومعجم الألم من مفرداته "دمع" و "لوعة" و"ضنا" وغيرها. وهو ما نجده عند الصّوفيّة الرّجال، بحيث يجوز لنا أن نقول في هذا المقام إنّ حال المحبة هو حال سواءً عند الجنسين لاشتراكهما في رهافة الحسّ وصدق العاطفة. أمّا عن علاقة هذه المعجمين، الواحد بالآخر فهي علاقة سببيّة، بحيث ينحدر الثاني من الأوّل ويعبّر عنه، فلو لا ما في الحبّ من ألم ما تحدّث فيه المتحدّثون دون أن ننسى ما فيه من سعادة أيضاً، وهو ما يتوافر عند الصّوفيّين.

فمما سبق، يتضح كيف كانت رابطة هذه المحبة قوية وممتينة بين العابدات ومحبوبهنّ الله، وكيف أنهن شغفن بالله، وملأن قلوبهن بحبه، ورأين أن العناية الإلهية دليلها هو حبّ الله تعالى لهن بأن كافأهن فجعل إخلاصهن وحبهن له وحده سبحانه.

## ٢\_ حال الرّجاء :

يذكر الطوسي (ت: ٣٧٨هـ) في كتابه اللمع: "والرجاء حال شريف، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ... فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمته: لعبد مريد، قد سمع من الله ذكر المنن، فرجاه، وعلم أن الكرم والفضل والجود من صفات الله فارتاح قلبه إلى المرجو من كرمه وفضله"<sup>(٣)</sup>.

وجاء في منازل السائرين في ذكر باب الرجاء أنه على ثلاث درجات: "الدرجة الأولى رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولد التلذذ بالخدمة، ويوقظ الطباع للسّماحة بترك المناهي.

(١) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصّفوة، ص ٨٦٢.

(٣) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص ٩١.

والدرجة الثانية رجاء أرباب الرياضات، أن يبلغوا موقفا تصفو فيه همهم، برفض الملذذات، ولزوم شروط العلم، واستقصاء حدود الحمية، والدرجة الثالثة رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الحق عز وجل، الباعث على الاشتياق، المنعص للعيش، المزهد في الخلق<sup>(١)</sup>.

ويذكر الإمام القشيري الرجاء في رسالته فيستفتحه ببيت شعري، يمهد به لذكر ما قيل في هذا الباب وفضائله، ثم يعرفه فيقول:

"هو تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل. وكما أن الخوف يقع في مستقبل للزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال وبالرجاء عيش للقلوب، واستقلالها. والفرق بين الرجاء وبين التمني، أن التمني: يورث صاحبه الكسل، ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعبارة صاحب الرجاء، فالرجاء محمود، والتمني معلول"<sup>(٢)</sup>.

فلما كان لا بد من الاجتهاد في التصوف، فإن الرجاء من بين الأحوال التي يرجو المتصوفون الظفر بها، وهو الذي يسمو بهم إلى كسب حب محبوبه الأعظم، فيكون لهم التلذذ والشغف في رجائهم للمولى دون ملل أو كلل.

تقول رابعة:

يا طبيب القلب يا كل المنى	جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائما	نشأتني منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا ارتجي	منك وصلا فهو أقصى منيتي <sup>(٣)</sup>

فضلا عما ذكرناه سابقا في موضع متقدم من هذا الفصل فإن هذه الأبيات أيضا تشي بحال الرجاء وتوضّحه عند صاحبه فهو يتمثل عندها في كونها تخشى هجر الله لها، فهي تتمنى وصاله لها دوما؛ لأنها لأجل هذا الوصال قد هجرت جميع خلقه، وهي بذلك جعلت حياتها مخصصة له وحده.

وقالت أيضا:

قد هجرت الخلق جمعا أرتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي<sup>(٤)</sup>

(١) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٣٤-٣٥.

(٢) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٣) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١١١.

وقالت جارية مجهولة:

ومالي حيلةٌ إلا رجائي لعفوك إن عفوتَ وحُسُنُ ظني<sup>(١)</sup>

يعكس هذان البيتان بلاغة واضحة وشاعريّة متدفقة عند قائلتيهما، فانظر إلى التشبيه البليغ الذي قام عليه البيت الأوّل وكيف ماهت به بين الدّات الإلهيّة ورجائها إلى درجة تجعلنا نفهم غاية الرّجاء عند الصّوفيّة وهي الوصول إلى مرجوهم والحلول فيه. هذا إلى جانب ما يظهره البيتان من تلازم دقيق بين أحوال مختلفة مثل حال المحبّة وحال الشّوق.

وقالت ريحانة في الرجاء:

بوجهك لا تعذبني فإني أوّمل أن أفوز بخير دار  
منجدة مزخرفة العلامي بها المأوى ونعم هي القرار  
وأنت مجاور الأبرار فيها ولولا أنت ما طاب المزار<sup>(٢)</sup>

في هذا البيت تقابل ريحانة بين عفو الله ورجائها بالجنّة ، ولكنّ الجنّة المرجوة عندها لا تستمدّ قيمتها إلا من مجاورة الله لأهلها وقربه منهم . وهو ما يجعلنا نحدّد مفهوم الرّجاء عند هذه المتعبّدة ومن ورائها بقيّة المتصوّفة ، ألا هو أملهم الكبير في جنّة القرب لا جنّة المتع والملدّات.

وقالت رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مبلّغي أللّزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟  
أحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي؟<sup>(٣)</sup>

في هذه الأبيات الشعرية اختلفت أنواع الرجاء بين من كتبت ترحو وصل الله وعدم هجره لها، وبين من ترحوه أن يرحمها ولا يعذبها رغم قلة زادها وكثرة ذنوبها، وبين من ترحو عفوّه لحسن ظنها به، فالرجاء هو سؤال الله مع خضوع النفس والقلب؛ لأنّ ذلك هو مفتاح استجابة الله وتحقق صدق هذا الرجاء.

(١) اليافعي : روض الرّياحين، ص ١٢٩.

(٢) النيسابوي: عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٨٥٩.

### ٣\_ حال الشوق :

يحملُ هذا الحال اسم مقام معروف هو مقام الشوق ولهذا يُسميه بعض الصوفية حال الاشتياق حتى يفتلوا بينه وبين مقام الشوق الذي يروم كل صوفي الارتقاء إليه متى كانت رحلته ، سالكا، من ذاته إلى الذات الإلهية، في حين أن الحال ناجم في اتجاه معكوس من الذات الإلهية المحبة الراضية إلى ذاته المشتاقه. وهو بذلك عندهم مرتبط بالمحبة لأنها متى تحققت وتعمقت واستولت على القلوب هيّجت رغبة جارفة في اللقاء وحنينا بالغا إلى المحبوب ونارا لا تتطفئ أبدا. مع العلم أن الفصل بين المحبّ والمحبوب هنا هو فصل منهجي لا غير لأنهما يتساويان في المعنى والحال، بحيث يتساوى الصوفي مع الله في ذلك ، فكلاهما في شوق إلى الآخر. فالله عبّر عن ذلك في خطابه إلى عبده والصوفي عليه أن يرتاد المقامات والأحوال.

"روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم): أنه قال: «ألا هل مشتاق إلى الجنة؟ هي ورب الكعبة ريحانة تهتز، ونهر مطرد وزوجة حسناء» وروي عنه عليه السلام أنه كان يقول في دعائه: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك». ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة، والشوق إلى لقاءه في الدنيا... والشوق هو لعبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه"<sup>(١)</sup>.

وفي حديث الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي عن حال الشوق عند الصوفية قال: "الشوق هبوب القلب إلى غائب، وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة، فإن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه، ثم هو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الأمل. والدرجة الثانية شوق إلى الله عز وجل، زرعه الحب الذي نبت على حافات المن، فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه، وآيات بره، وأعلام فضله. وهذا الشوق تفتأه المبار، وتخالجه المسار، ويقاويه الاضطبار. والدرجة الثالثة نار أضرمتها صفو المحبة، فنغصت العيش، وسلبت السلوة، ولم ينهنها معز دون اللقاء"<sup>(٢)</sup>.

من خلال هذه التعريفات ندرك أن الشوق رغبة متأججة متصلة بالمحبة تحمل الصوفي إلى أسمى درجات الوجد والانشغال القلبي الصميم سعيا للذة اللقاء بالنظر إلى وجه الله طمعا في رضاه.

(١) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص ٩٤.

(٢) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٩١-٩٢.

قالت ربحانة:

يا عزيزي وهمتي ومرادي      طال شوقي متى يكون لقاكا<sup>(١)</sup>

وقالت أيضا:

برى أعظمي شوقي فأوهن قوتي      وحالفتُ أحزاني فهاج رقادِي<sup>(٢)</sup>

في البيت الأوّل نداء تحدّد المتعبّدة في المنادى صورة حبيبها وتشكو في رسالته من شدّة شوقها إليه ، في حين أنها في البيت الثاني تصف حالها وتأثير شدّة الشّوق فيها وهو ما يبيّن بوضوح أثر هذا الحال فيها ، وما يفسّر أيضا أهميته عند الصّوفيّة عموما.

وقالت رابعة فيه:

تركتُ هوى ليلي وسعدى بمعزل      وعدتُ إلى مصحوب أوّل منزل

ونادت بي الأشواق: مهلا! فهذه      منازل من تهوى روبدك! فانزل<sup>(٣)</sup>

تبدو رابعة في هذا البيت "نواسيّة" المذهب - إن صحّت العبارة - في موقفها من الحبّ الإنساني في الغزل، فهي تدعو لتجاوزه كما فعل أبو نواس مع أطلال حبيبات الجاهليين، لترسي مفهومها للحبّ هو الحبّ الإلهي الذي فرضه حال الشّوق، فالحبّ إذن والشوق متلازمان في علاقة جدليّة بحيث يصنع الواحد الآخر. فالشّوق إذن عند الصّوفيّة؛ المحبّة، يجب أن يكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ببقية الأحوال التي سبقته، فلا محبة بدون شوق، ولا شوق دون رجاء.

ومن أحوال الشوق، أن أم أيمن بنت علي وزوجة أبي علي الرّوذباري (ت ٣٢٢هـ) "خرجت يوماً... وقت خروج الحجاج، والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول:

فقلت: دعوني وأتباعي ركابكم      أكن طوعاً أيديكم كما يفعل العبد

وما بال رغمي لا يهون عليهم      وقد علموا أن ليس لي منهم بدّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف يا ترى حسرة من انقطع عن

الوصول إلى رب البيت؟"<sup>(٤)</sup>.

(١) السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبّدات الصوفيّات، ص ٣٨.

(٢) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

(٣) بدوي، عبد الرحمن: سيّدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ص ٢٠.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفة: ص ٨٧٦.

فالشوق إلى زيارة بيت الله الحرام جعلها تكون عبدة مأمورة عند الحجيج تعمل ما يريدون بلا هوان، من أجل تحقيق الشوق باللقاء، فكيف بها تعمل من أجل لقاء الله تعالى؟ فلا النفس ولا الجسد يقفان أمامها من أجل هذا التحقيق بالنظر واللقاء.

ومن الشوق نخرج إلى حال الخوف، والخوف من الله صفة لازمت قلب كل متعبد يخشى الله ويخاف عذابه، وللنساء الصوفيات محطات توقفن فيها عند حال الخوف.

## ٤\_ حال الخوف :

قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وجاء في الجامع الكبير للترمذي في فضل البكاء من خشية الله والخوف منه وقال الرسول: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»<sup>(١)</sup>.

والخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الخوف من العقوبة: وهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو خوف العامة، وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العقوبة. والدرجة الثانية خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة، المشوبة بالحلاوة، وليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبته الإجلال، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف: وهي هيبته تعارض المكاشف أوقات المناجاة، وتصون المشاهد أحيان المسامرة، وتقصم المعاین بصدمة العزة<sup>(٢)</sup>.

فالخوف عند الصوفية هو خوف الحبّ و مطلب القرب والرضا ، وهو خوف تفرضه الهيبة والعظمة الإلهيتين وهو ما يختلف في معناه عند العامة خوف من العقاب لا غير .

وقد جاء في كتاب اللمع للطوسي أن حالي الخوف والمحبة هما اللذان يدفعان الصوفي إلى البحث عن القرب من الله ، فالخوف يدفعه إلى طلب القرب احتماً، والحب يدفع إلى إرادة القرب من الله كما يفعل المحبوب مع حبيبه "فمنهم من يغلب على قلبه الخوف من نظره إلى قرب الله منه، ومنهم من يغلب على قلبه المحبة، وذلك على حسب ما قسم الله للقلوب من التصديق وحقيقة اليقين والخشية، وذلك من كشف الغيوب، فإن شاهد قلبه في قربه من سيده عظمت هيبته وقدرته فيؤديه ذلك إلى الخوف والحياء والوجل، وإن شاهد قلبه في قربه لطف

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد (٢٧٩هـ/٨٩٢م): الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، الحديث رقم: ٢٣١١، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٤٤.  
(٢) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٢٦-٢٧.

سيده وقديم عطفه وإحسانه له ومحبته أداه ذلك إلى المحبة والشوق والقلق والحرق، والتبرم بالبقاء، وذلك بعلمه ومشيتته وقدرته...<sup>(١)</sup>.

قالت ريحانة:

ويلي لذنبي في كتابي ويلي ويلي إذا نودي باسمي ويلي

ويلي إذا قيل خذوها ويلي ويلي إلى النار مصيري ويلي<sup>(٢)</sup>

رغم ما ذكرنا من أمر خوف الصوّفيّة فإنّ ريحانة في هذين البيتين لا تختلف عن العامّة في ربطها لمفهوم الخوف بالدنوب والعقاب، ولكنّ المتمعّن في مقولها والعارف بسيرتها يدرك دون جهد كبير أنها ما خافت العقاب بقدر ما خافت عدم رضا الله عنها، فالزاهد الصّابر لا ترهبه الشدّة، شدّة الثّار، بقدر ما يرهبه أن يكون العقاب عنواناً لغضب "حبيبه"، وهذا ما يجعلنا نوّكد مرّة أخرى على تلازم الكثير من الأحوال عند الصوّفيّة. وهذا بالضبط ما تؤكده تحفة بقولها:

وخفتُ ممّا جنيت قدماً فوقع الحبُّ بالأمان<sup>(٣)</sup>.

إنّ الخوف عند تحفة هنا ، هو خوف الصوّفيّ من ذنوبه السابقة ولكنه ينعدم ويحلّ محلّه الأمان بحال أخرى هي حال الحب. وقالت عابدة سوداء:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدّر في أيّ المحلين تنزل<sup>(٤)</sup>

وهو عند هذه العابدة حيرة بين مألين في الآخرة ، هما مأل الجنة المأمولة والنار المرهبة. وبهذا يكون الخوف عند الصوّفيّة حال ملازمة لهم ما داموا على طريق العبور إلى الذات الإلهية ولم يقتربوا منها بعد.

وقالت رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مبلّغي اللزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك: أين مخافتي<sup>(٥)</sup>

(١) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع ، ص ٨٩.

(٢) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٤) ابن عربي ، رسائل ابن عربي، ص ٢٢٢.

(٥) ابن الجوزي: صفة الصفة ، ص ٨٥٩.

فعند رابعة كما تبينته هذه الأبيات فهي حال ممزوجة بحال ، حال الخوف وحال الرجاء، لأنّ الثانية هو السبيل إلى النّجاة من النار التي تبعث خوفها وتذكيه.

إذن ، فالخوف عند الصوفية يعني مخافة الله، والخشية من عذابه وغضبه وسخطه، وهو أمر معروف عند العامة، وهو أيضا عندهم مخافة المحبّ من عدم رضا محبوبه بغض النّظر عن مسألة الثواب والعقاب. وهو كما رأينا متعدّد الدّوافع ممزوج بأحوال أخرى.

## ٥\_ حال السّكر :

يحدّه الصّوفيّة بكونه درجة قصوى من درجات الطّرب، درجة يفقد معها قدرته على ضبط أفعاله من شدّة الوجد. وهو من "مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه، وللسكر ثلاث علامات: الضيق عن الاشتغال بالخبر والعظيم قائم واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم، والغرق في بحور السرور والصبر هائم، وما سوى ذلك فحيرة تنحل اسم السكر جهلا، أو هيمنان يسمى باسمه جورا، وما سوى ذلك فكله نقائص البصائر، كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة"<sup>(١)</sup>.

وجاء في الرسالة القشيرية: "والسكر: غيبة بوارد قوى. والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيا في حال سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر، الذي لم يستوفه الوارد، فيكون للإحساس فيه مساع، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر، إذا كان متساكرا غير مستوف. والغيبة قد تكون للعباد، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ومقتضيات الخوف والرجاء. والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجه"<sup>(٢)</sup>.

في حال السّكر ينزاح الصّوفيّة عمّا يحيط بهم فتنبسط قلوبهم ويتوارى ورعهم وخوفهم وزهدهم فيستمرّون به ، مستمتعين بما فيه من وجد .

وروي أنّ محمد بن واسع (ت ١٢٠هـ) دخل على رابعة وهي تتمايل، فقال لها: ممّ تمايلك؟ فقالت: سكرتُ في حبّ ربي الليلة، فأصبحت وأنا منه مخمورة"<sup>(٣)</sup>. فحال السّكر عند رابعة قد أثر في قواها البدنية أيضا فأصبحت متمايلة لشدة ما أصابها من وجدٍ بحب الله تعالى.

وتقول رابعة العدوية :

كأسي وخمري والنديم ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة

كأس المسرة والنعيم يديرها ساقى المدام على المدى متتابعة

(١) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٥٣.

(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن ، ذكر النسوة المتعبدات، ص: ٣٠ .

فإذا نظرت فلا أرى إلا له وإذا حضرت فلا أرى إلا معه

يا عاذلي إنني أحب جماله      تالله ما أذني لعذلك سامعة<sup>(١)</sup>

إنّ هذه الأبيات، وحال السكر عامّة، من الأمور التي عوتب فيها الصّوفية بل حوربوا وكفروا، والمجال يضيق عن التوسّع في ذلك، ولكن يكفي أن نورد ما فسّر به عبد الرحمن بدوي هذه الحال عندهم إذ رأى أنّها يمكن أن تفهم في إطار ما يسمّى بالخُلة عند المتصوّفة، فقد جعل لهم الله " السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلّها على وجه الخُلة التي بينهم وبين الله، لا علة وجه الحلال، ولكن علة وجه الخُلة كما يحلّ للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه"<sup>(٢)</sup>. لا شك أنّ هذا رأي اتهاميّ ينظر إلى السكر نظرة ماديّة سطحيّة، ونحن نرجّح ككثير كم غيرنا أنه سكر معنويّ ينجم عن طرب شديد ووجد هو شبيه بحال السكر من الخمرة بل أقوى وأشدّ لأنّ المسكر فيه ليس إلا الحبيب الأسمى.

قالت تحفة:

سقاه من محبّته بكأس      فأرواه المهيمنُ إذا سقاه  
فهام بحبّه وسما إليه      فليس يريد محبوبا سواه<sup>(٣)</sup>

وفيه قالت أيضا:

معشر الناس ما جننت ولكن      أنا سكرانة وقلبي صاحي  
أنا مفتونة بحبّ حبيب      لست أبغي عن بابه من براح<sup>(٤)</sup>

في هذه الأبيات تفسّر حالة السكر وتردّه إلى منبعه الأول إذ تراه هبة من الذات الإلهية وهبها إلى أحبائه فصار بذلك حالا يفضي بالسالك إلى رؤية الله والتقرب منه. وما الكأس هنا كأس ماديّة وإنما هي من المجاز الذي يقصد به تقريب الصّورة إلى ذهن المتلقي كقولنا " سقى فلان علانا كأس الهوان " أو " سقاه كأس الحبّ ". فرابعة هنا إنما أشارت إلى الكأس بذلك المعنى الذي يريد أن يؤكّد فعليّة الله في زرع محبّته في قلوب أحبائه. وإن غاية ما فعلت هو أنها استعارت معجم الشرب لتقريب المعنى لا أكثر.

(١) بدوي، عبد الرحمن: شهيدة العشق الإلهي، ص ١٧٣. (ذكره بدوي، نقلا عن كتاب "شرح حال الأولياء" تصنيف عز الدين المقدسي، مخطوط رقم ١٦٤١ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس: شرح حال رابعة رضي الله عنها).

(٢) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٣) ابن عربي: الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري، تح: محمد عبد الفتاح، ط ١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ص ٢٧٠.

(٤) اليافعي، روض الرّياحين، ص ٣٤٧.

## ٦- حال الغيبة:

الغَيْبَةُ من الأحوال عند الصوفية، وقد عرفها الطوسي في كتابه اللمع: "والغيبَةُ غيبَةُ القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد، والغشبية هي غيبَةُ القلب بما يرد عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد"<sup>(١)</sup>.

فالغَيْبَةُ في أبسط صورها تعني تغييب الذات عن كل شيء وتسليطها لمشاهدة الخالق وحده والانشغال بعبادته .

وقد ورد في موسوعة المصطلحات الصوفية تعريف الغَيْبَةُ على أنها: "غَيْبَةُ القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسّ بما ورد عليه"<sup>(٢)</sup>.

"والغَيْبَةُ التي يشار بها في هذا الباب على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: غيبَةُ المريد في مخلص القصد عن أيدي العلائق، ودرك العوائق، لالتماس الحقائق. والدرجة الثانية: غيبَةُ السالك عن رسوم العلم، وعلل السعي، ورخص الفتور. والدرجة الثالثة: غيبَةُ العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات في حصن الجمع"<sup>(٣)</sup>.

يظهر من خلال هذه الدرجات الثلاث أنّ الصوّفِيَّة يحاولون بها تفسير هذه الظاهرة التي تتناوبهم متبوعين بذلك أسلوب التدرّج الذي نجده عندهم في المقامات والأحوال بحثاً عن الحقيقة، وهي بالإجمال انقطاع كليّ عمّا سوى الله. ولا يختلف في ذلك الصوّفِيَّة الرّجال عن النّساء منهم.

وفيه قالت عوسجة:

صافِه الودّ شاهداً كنت أم كنت غائبا

لا تُردّ غير ذي الجلا ل رقيقاً مُصاحباً<sup>(٤)</sup>

بقولها هذا أرادت أن تصف القلب وهو مصدر الحب، يبقى مدركاً لمن يحب حتى في حالة الغياب الفكري والحسي، وهذا وصف دقيق لتقلبات الحال من الوضع الطبيعي إلى وضع خارج نطاق الوضع العام لدى العامة من الناس، فكأنها تقول إنّ الود والاتصال ببقيان الله سواء كنت بحال طبيعي أم بحال الغياب.

(١) الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع في التصوف، ص ٤١٦.

(٢) العجم، رقيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٦٩٥.

(٣) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ١١٠-١١١.

(٤) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٣٠١.

فالغيبية إذن هي حال من أحوال الصوّفيّة ، وهي وسيلتهم في الانقطاع إلى الله والتقرب منه وهي طريقهم أيضا لإدراك الحقائق التي يستعينون بها في رحلتهم نحو الذات الإلهية ونحو الحلول فيها.

## ٧\_ حال الأنس :

"قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، الأنس عبارة عن روح القرب، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الأنس بالشواهد، وهو استحلاء الذكر، والتغذي بالسماع، والوقوف على الإشارات، والدرجة الثانية الأنس بنور الكشف، وهو أنس شاخص عن الأنس الأول، تشوبه صولة الهيمن، ويضربه موج الفناء، وهذا الذي غلب قوماً على عقولهم، وسلب قوماً طاقة الاصطبار، وحل عنهم قيود العلم ... والدرجة الثالثة أنس اضمحلال في شهود الحضرة، لا يعبر عن عينه، ولا يشار إلى حده، ولا يوقف على كنهه"<sup>(١)</sup>.

فهنا الأنس بالله يكون متحققاً بالقرب منه سبحانه؛ لذلك تجد المحبين يأنسون بذكر الله تعالى فتكون الأنوار حولهم إشارةً لأنسهم فتعلقوا فما استأنسوا إلا لما رأوا من الحلاوة الروحية عند الذكر بخلوتهم، وكذلك أنس الكشف إلا أنه قد يغلب الذكر ويفقده رشده فيهم لعدم قدرته على تلك المشاهدة، وأشدّهم الثالث فهو لا يقاس ولا يمكن تمثيله أو وصفه.

وأهل الأنس على ثلاثة أحوال: فمنهم من أنس بالذكر واستوحش من الغفلة، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنب. ومنهم من استأنس بالله واستوحش مما سواه من العواض والخواطر المشغلة، والأنس بالله اقتضى الطمأنينة"<sup>(٢)</sup>.

فالأنس حال من أحوال الصوفيات حيث يجدن فيه ملذتهن بالقرب من الله، فيجدن أنسهن بالذكر والتعبد والسماع والإنشاد، وغيرها مما يقربهن من الله، ويوطد علاقتهن به، فيصلن بذلك إلى الطمأنينة التي أردنها .

تقول العابدة النقية تحفة:

يا سرور السرور أنت سروري      يا حياة النفوس أنت حبوري  
أنت ناري وجنتي ونعيمي      وأنيسي وأنت نور النور<sup>(٣)</sup>

وقالت أيضا:

يا من يرى وحشتي فأنسني      بالقرب من وصله فأنعشني

(١) الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٦٩-٧٠.

(٢) انظر: الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع في التصوف، ص ٩٦-٩٧.

(٣) الحريفيش، الروض الفائق، ص ٢٢١.

يا ساكني لا خلوت من سكني      دهري وياعدتي على الزمن<sup>(١)</sup>

وقالت ريحانة:

فإن أمنت خووف الفراق من ألفها      أحببت حبيبا يطلب الأُنس من

قرب

رضيها فأرضته فحازت من الرضى      وحلت من المحبوب بالمنزل

الرحب<sup>(٢)</sup>

في هذا البيت أيضا، كما بيّنا سابقا، تلازم طريف بين أحوال أربعة، حال الخوف وحال المحبة وحال الرضا وحال الأُنس، فكانّ هذه الأحوال الأربعة هي الطريق للوصول إلى الله كما يعبر عنه عجز البيت الأخير، وهذا ما يجعلنا نجزم أنّ أحوال الصوفيّة هي في نهاية الأمر حال واحدة يمكن أن نسميها تجوّزا حال "السلوك" أي حال الارتحال التي يسلكها السالك إلى غايته القصوى.

وقالت رابعة في الأُنس أيضا:

يا سروري ومنيتي وعمادي      وأنيسي وعُدّتي ومُرادي

أنت رُوْحُ الفؤادِ أنت رجائي      أنت لي مُؤنِسٌ وشوقٌ كزادي

أنت لولاك يا حياتي وأنسي      ما تشنتُ في فسيح البلاد<sup>(٣)</sup>

قالت أيضا :

ولقد جعلتك في البلاد محدّتي      وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مَنّي للجلّيس مؤانس      وحبّيب قلبي في الفؤاد أنيسي<sup>(٤)</sup>

وقالت إحدى العابدات:

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره      أنت الذي ما إن سواه أريد

يا منيتي دون الأنام وبغيتي      يا من له كل الأنام عبيد

تفنى الليالي والزمان بأسره      وهواك غض في الفؤاد جديد<sup>(٥)</sup>

(١) الحريفيش، الروض الفائق، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

(٣) الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصفة، ص ٨٥٩.

(٥) الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١٣.

إنّ هذه المقطّعات الثلاثة جميعها تقوم على بحور شعريّة شديدة النغميّة تلائم ما في النداء المصاحب لها من مناجاة وتضرّع، فانظر إلى إمكانات بحر الخفيف في الأولى وبحر الكامل في الثانية والثالثة لتدرك أنّ هؤلاء الشعراء إنما يخاطبن "مؤنسن" على إيقاع قلوبهنّ الثائقة المتلهفة العاشقة. فجاءت عبارتهنّ منساقة مع ذلك انسياقا عجيبا على ما يبدو في الأبيات من بساطة، فلقد هيمن معجم الأنس عليها بحيث صار عنوانا لها ومدخلا بفهمها، فمفردات من قبيل "سرور" و "حبور" و"نعيم" وغيرها تجعل من حال الأنس حالا "استثنائيّة" قد لا تتلاءم مع مقامات وأحوال تحضر فيها المجاهدة والكّد وشطف العيش، ولكنّ الأمر يصبح مقبولا إذا أدركنا أنّ تلك، ما هي إلا طريق من أجل الأنس والسرور، حيث القرب من الغاية القصوى وحيث تتعم الصوفيّة بلذّة اللقاء. وهذا ما يتأكد لدينا حينما نتأمل قول جارية تخاطب الله تعالى وتقابل فيه بين الأنس والتّجّع، بين السرور ونقيضه حتّى وكأنها بذلك تهوّن من أمر تلك المجاهدات والمعاناة وغيرها . تقول :

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم      يا خير من حطت به الثرأل

من نال حُبَّكَ هل ينال تفجعا      القلب يعلم أن ذاك محال<sup>(1)</sup>

تُناجي الجارية العابدة ربها بالنداء الذي وظفته لتعداد صفاته عندها، وتورد اسم الذات الإلهية مضافا إلى لفظة " الأبرار" التي تشملها هيّ وتشمل غيرها كن الذين سلکوا مسلكها ، بحيث يصير حال الأنس مشروطا ببرّ الله ومخصوصا بفئة معيّنة، هي الفئة التي أحبها الله، كما يبيته الاستفهام الإنكاري في البيت الثاني.

نختم هذا الفصل فنقول إنّنا جمعنا وما رأينا أنه ينطبق مع كل من المقام أو الحال من أشعار الصوفيّات. ولكن ما يمكن ملاحظته، هو أنّ هذه الأشعار في مستوى بنائها وشكلها وردت في الأغلب على شكل مقطّعات قصيرة أو أبيات محدودة، على عكس ما نجده عند الصوفيّة الرجال، ولكنّها رغم ذلك كانت مشحونة بمادّة بلاغيّة، من تشبيه وكناية واستعارة، وغيرها، أغنت المضمون ووسّعت الدلالة وشبّعت الصّورة الشعريّة فيها حتّى دلت بجلاء على موضوعها وعبرت تعبيراً قويا عن مختلف المقامات والأحوال المدروسة.

أمّا من حيث المضمون، فبغض النظر عن بعض الالتباسات التي لاحظناها خاصّة في مستوى نسبة الأبيات إلى قائلتها الحقيقيّة، فإنّ أشعار النّساء الصوفيّات، استطاعت أن تقف بنا على عتبات المقامات الصوفيّة وكشفت لنا عن صورها ومراتبها ودرجاتها، وما وجدنا في ذلك

(1) ابن عربي، الكوكب الدرّي، ص ٢٢١.

اختلافا ميّز الرّجل الصّوّفيّ عن المرأة الصّوّفيّة. ولكن في مستوى تعبيرها عن الأحوال فهو في نظرنا من نقاط قوتها إذ تمكّنت المتعبّدات كما قلنا سابقا رغم ضيق المساحة النّصيّة من كشف مدى ترابط هذه الأحوال وتلازمها بحيث تمكّنا من الإلمام بمختلف مظاهرها وصورها.

## الفصل الثاني

### أشكال النثر النسوي الصوفي ومضامينه

سعت التجربة الصوفية إلى تجسيد صورة الإنسان المثالي، ولكن بمنظار مختلف يندرج ضمن رؤية خاصة للوجود الإنساني، فهي تشكل مثالا لتحول الذات من صورة سالبة في صيرورتها بتلق من مفردات الخيال / المثال الى صورة ايجابية من خلال استلهاهم التدرج الاكتمالي لحالة التصور، وهي صورة تُختزل بالرموز والعلامات التي ليس من السهل فك طلاسمها وفهم عباراتها، فهو " نزوع ذاتي تأملي يعتمد على خيال الفرد وتجربته وذوقه ويهتم على الخصوص بالنفس وصفاتها"<sup>(1)</sup> وانعكست هذه التجربة بطبيعة الحال على الأدب الصوفي شعراً ونثراً. وكان للمرأة حضور مهم في هذا المجال، وسنقف في هذا الفصل على بعض أشكال النثر عند النساء الصوفيات اللاتي نقل عنهن المترجمون وكتاب الأعلام شيئاً منه، وإن كان المنجز الصوفي النثري الذكوري أغنى منه وأوفر كماً.

ومن بين الأشكال النثرية المختلفة- اخترنا منها للدراسة تنظيراً وتطبيقاً، أربعة أشكال، سنقف عندها لنستقرئ ملامحها ونستجلي مضامينها ودلالاتها وأبعادها، ومن ثمة نلم ببعض خصائص الآثار النثرية الصوفية. وسنستهلّ بحثنا بمبحث العبارات ومنه إلى الوصايا ثم الرؤى لنختتم بمسألة الحكايات.

إنّ تقديمنا لمبحث العبارات لا يعني أهميته مقارنة ببقية المباحث، ولكن لكونه يفوق من حيث الكم بقيّة المجالات.

#### ١- العبارات:

سنحاول في هذه المرحلة من البحث النظر في العبارة الصوفية النسوية تصنيفاً نروم به فهم بواعثها، واستقراءً يمكننا من الوصول إلى استجلاء بنائها اللغوي وتبيين مدى صلتها بالمصطلح الصوفي، ثم تحليلاً نهدف به إلى تبيان دلالاتها ومعانيها.

لا بدّ من الإشارة أولاً إلى أنّ العبارة الصوفية النسوية على خصوصياتها، إنها تمثل شاهداً على بعض مبادئ التصوف ولغته، فمبادئ التصوف عند غالبية الصوفية، خمسة، وهي:

(1) التصوف الاسلامي بين التأثير والتأثير : حوليات التراث مجلة علمية محكمة تعنى بالتراث، العدد ١٠ ، ٢٠١٠م، جامعة مستغانم - الجزائر .

صفاء النفس، وقصد وجه الله، والتمسك بالفقر والافتقار، وتوطين القلب على الرحمة والمحبة، وأخيراً التّجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله بها النبيّ لتمامها<sup>(١)</sup>.

ولا يجب أن يفوتنا أن نذكر في هذا الموضوع، أنّ هذه العبارات الصوفية النسوية، وإن استقرت على النحو الذي وصلنا، فإنها كانت سليلة تطوّر عبر العصور منذ عهد البدايات والارهاصات الأولى للتصوّف، ومرحلة الزهد . فقد تطوّرت في كمّها ونوعها منذ أواخر القرن الثاني هجري إلى ما بعد القرن السادس، فمن قولين اثنين فقط ذكرهما الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين، إلى أكثر من ثلاثمائة وعشرون قولاً صارت معروفة عن رابعة في القرن السادس وما تلاه إلى اليوم . وهو ما يجعلنا نتساءل عن مصادر هذه الأقوال وكيف تكثرت<sup>(٢)</sup>.

ولكن بغضّ النظر عن مدى موثوقية هذه الأقوال من عدمها، فإنها تصوّر عامّة لغة المرأة الصوفيّة العباسيّة ، بالصورة التي هي عليها عند المتأخرين من ناقلي أخبارها. وإذا نظرنا في المروي عن هؤلاء النسوة المتعبّدات، نلاحظ حضوراً كبيراً لنصوص قصيرة، هي أقرب للعبارة منها إلى النّص. وهي ضربان؛ الأوّل: هو ما يمكن أن نسميه عبارة " اليومي " أو العبارة الاجتماعية، وأما الضرب الثاني: فهو ما أطلقنا عليه اسم العبارة الصوفيّة . فبالنسبة إلى عبارة " اليومي " نجدها خاصّة في الأخبار والسير التي نقلها الرواة والإخباريون ومؤلفو التراجم مثل: أبي عبد الرحمن السّلمي (ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م) وعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) وغيرهما، ممّا سنعرض له في ثنايا هذا البحث. وقد وسمنا العبارة سابقاً بسمة الاجتماعية، لأنها فعلاً كانت وليدة مواقف اجتماعيّة ومعيشية بين الصّوفيات ومن أحاط بهنّ من ذويهنّ ومعارفهنّ في شتى أغراض الحياة، وإن كانت هذه العبارات بسيطة في شكلها ومضمونها، وتنتمي إلى اللغة العادية ووظائفها التّعبية، وهي وإن حققت وظيفة الإبلاغ، فإنّها بلا شكّ ذات أهميّة بالغة لأتّها عبارات تصويريّة بالأساس، تصوّر أخلاق الصّوفيات وسلوكهنّ المشبع بالاستقامة والتأسيّ بالنبيّ (عليه الصلاة والسلام) وأخلاقه وعلى نحو يكشف عن زهدهنّ.

وهي كذلك تكشف عن دورهنّ في محيطهنّ، وهو دور الرّاصد للزلل والغلط، المنبّه للخير والمحدّر من الغفلة، دور ارتضته الشريعة للمؤمن الصادق الغيور، والمتمثل بالأمر

(١) انظر: خفاجي، محمد عبد المنعم : الأدب في التراث الصوفي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دت ، ص ١٥ .

(٢) أنور أحمد حسن : رابعة العدويّة في التراث الإسلامي ، دراسة نقدية

<http://tawaseen.com/?p=1884>

بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك غلب على بناء هذه العبارات أساليب الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتحضيض وغيرها.

فمن أخبار مريم البصريّة المعاصرة لرابعة العدويّة، أنها كانت تقول: " ما اهتممت بالرزق، ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عزّ وجلّ يقول : "وفي السماء رزقكم وما توعدون"<sup>(١)</sup>"<sup>(٢)</sup>. تبدو هذه العبارة جواباً لسؤالٍ أو ردّاً عن عتابٍ ، وهي عبارة لا تخرج عن كونها عبارة تواصل اجتماعي رغم ما فيها من تضمين للقرآن ، ببساطة تركيبها وخلوها من تعقيد العبارة الصوفيّة، ومع ذلك فإنها تزخر بالدلالات والمعاني، فهي تصوّر زهد صاحبها وأسلوبها في الحياة وثقافتها الدينيّة وإيمانها بيقين وصول رزقها إليها.

وقد اشتهر عن رابعة الأزديّة البصريّة، عندما أراد عبد الواحد بن زيد الزاهد (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م ) أن يتقدم لخطبتها، قالت له: " يا شهواني، أيّ شيءٍ رأيتَ فيّ من آله الشهوة ؟ ألا خطبت شهوانيّة مثلك"<sup>(٣)</sup>. إنّ هذا السلوك يجعلنا نلمس بوضوح تميّز المرأة الصوفيّة في صوفيّتها عن الرجل الصوفي الذي قلما نجد عنده هذه الرؤية للجنس والمتع الجسديّة، كما هو الحال لطلب عبد الواحد الزاهد، لخطبة رابعة الأزديّة. وبذلك فقد كشفت هذه العبارة الاجتماعية أيضاً عن بعض مسالك الصوفيّات في تفضيل التفرغ للعبادة، وطرح ما يشغل عنه كالزواج وما ينتبّعه من التزامات.

وهناك حوار دار بين رابعة العدويّة وحكيمة الدمشقيّة قالت فيه: " بلغني أن زوجك يتزوج عليك قالت: نعم. قالت: كيف يرضى مع ما يبلغني من عقله أن يشغل قلبه عن الله تعالى بامرأتين ؟ أما بلغك تفسير الآية: ( إلا من أتى الله بقلب سليم )<sup>(٤)</sup> ؟ قلت: لا. قالت: هو أن يلقي الله تعالى وليس في قلبه أحد غيره"<sup>(٥)</sup>. إنّ مرحلة العشق التي يعيشها المتصوّف هي التي شغلته عمّا سواه، فأصبح يبصر بنوره ويسمع ما لا يسمعه البشر، هكذا انتقلت مفهومية التصوف والتدرج به من حالة الانكسار الى الالتئام وهو التئام يصل الى العشق الروحي، "يلاحظ دارس الأدب الصوفي أشعاراً كثيرة، بدت فيها المرأة رمزاً موحياً دالاً على المحبوب، وهو الله سبحانه تعالى. ويعد الشعر الصوفي من هذه الوجهة، شعراً غزلياً تم للصوفيّة فيه التآليف بين الحب

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

(٢) ابن الجوزي : صفة الصّوّفة، ص ٧١٠ - ٧١١.

(٣) السّلميّ، أبو عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصّوفيّات، ص ٥٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٥) السّلميّ، عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصّوفيّات، ص ٥٣.

الإلهيَّ والحبّ الإنسانيَّ، والتعبير عن العشق في طابعه يقدم هذا تكوينها ونضجها الفن الروحي ...»<sup>(١)</sup>.

يفترن الهمّ الأنثوي بالمحبّة الإلهيّة ، لتعبّر في عبارتها، تفضيل التفرغ لله وعبادته، عن الانشغال بالزواج، لأن مسلك الصوفية هو الانشغال بالله سبحانه وتعالى، وهو نهج العباد والعبادات.

وهي رموز لا يفهمها إلا من عايشهم، عارفا لحالهم ومقامهم، ولهذا تأخذ الألفاظ دلالات غير دلالاتها المألوفة، وتبدو مفتوحة على التأويل، هكذا تنتسج اللغة، أن لغة الصوفي هي بالضرورة باطنية، غامضة<sup>(٢)</sup>.

والعبارات، فيما تحمله من مضامين، لا تختلف عن مضامين الأقوال الشعرية عند الصوفيات، ولنتبيّن مدى صدق هذا الحكم فإن رابعة العدوية، تقول: "مُحب الله لا يسكن أُنَيْهه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه"<sup>(٣)</sup>. وتقول أيضا: "إلهي إن عبدتك خوفاً من الجحيم فحرم الجنة عليّ، وإن عبدتك لذاتك فأرني جمالك"<sup>(٤)</sup>.

وتشكل مقولتنا رابعة العدوية اتجاهاً تصويرياً رائعاً لحالة التلاحم والاندماج الذاتي ، فالصورة لا تحقق عند رابعة بالحب الزائف الذي ينأتى من المصالح والمنافع وإنما ينأتى من خلال حالات الاندماج الروحي الخالص، البعيد عن ملذات العشق الدنيوي ودوافعه إذا صح قول ذلك، إنّ اللغة التي تكلمت بها رابعة تكاد تلامس المشاعر والقلوب في صورها وتندقق فيها حرارة العشق ولوعته ، وليس أي عشق إنه عشق الذات الالهية الذي تتحقق فيه - عند الصوفية - ثلاثة أحوال: هي حال السكر والوجد والنشوة، وهي تساعد على إطلاق القدرات الكامنة في الأعمال وعلاج التوتّر الروحي والعاطفي فينطبع بذلك كلام رابعة، وإن كان نثراً، بحالات الوجدان فيحاول أن يتخلّص من دونيّة النثر، بفعل بشريته، إلى علويّة الشعر، بفعل كونه من ينبوع الرّوح السّامية.

إن رابعة هنا اكتسبت سمات فنية وفتحت باب التأويل للقارئ ، وصارت تحاكي إيقاع دقات قلب الصّوفي وتتحرك في صميم نقائه الجسدي . تقول فاطمة النيسابورية (ت ٢٢٣هـ): "

(١) نهزمي، يوسف هادي بور: المرأة والخمرة رمزان في الشعر الصوفي، مجلة التراث الادبي، ص ١٧٩.  
(٢) ينظر: الشرع، فائز، التشفير بالتغاير في النص الصوفي :٣٨٣. مجلة البحوث والدراسات الاسلامية تصدر عن الهيئة العلمية الاستشارية ، ديوان الوقف السني ، ع ٢٧ ، ٢٠١٢  
(٣) كحالة، عمر رضا : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٤٣١.  
(٤) العطار، فريد: تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام، ص ١١٢.

من لم يكن الله منه على بالٍ فإنه يتخطى كلَّ ميدانٍ ويتكلم بكلِّ لسانٍ، ومن كان الله منه على بالٍ أخرسه إلا عن الصدق ، وألزمه الحياء منه والإخلاص<sup>(١)</sup>.

هذا الخطاب تتضافر فيه مواطن الجمالية المتولدة عن تحالف بين السجع وأسلوب الشرط لجأت إليه المتكلمة لصياغة متوالية منطقيّة تبدأ بحضور الخشية من الله في الإنسان وتنتهي بها، حيث الإخلاص، قول على استرساله وخطيبته الشكلية يبدو دائرة منغلقة تبدأ بالله ، ولكن بين الذات والعودة إليها تتبثق صور التاويل الذي تُفسر وتبين حالات هذا التلاحم اشكاليه والعشق معاً، حتى لكأنّ الوجود متكثف في نقطة واحدة هي الله. ولا غرابة في ذلك ما دام أهل الصوفيّة يشهرون صفة جمال الله وكماله .

ومن مميّزات هذه العبارات أيضاً، حضور المصطلح الصوفيّ فيها إذ تتميّز العبارة الصوفيّة عند المرأة الصوفية خاصة، والعباسيّة عامة، ببعض التفاوت عن مثيلتها عند الصوفيّين الرّجال، وتتبع من طبيعة المرأة عامة، وشدة حساسيتها للأشياء، ولين عاطفتها واندفاعها، فلا شك أنّ مصطلح " الحزن " من المصطلحات شديدة الحضور في العبارة الصوفيّة، بشكلها العام ومثله الحب الإلهي. إنّما هو حزن "وجودي" على مصير الذات و" وجد" لمفارقتها للحبيب.

فقد بكت رابعة لما سمعت سفيان الثوري ( ت ١٦١هـ ) يسأل الله السلامة عندها وقالت: " أما علمت أنّ السلامة من الدنيا ترك ما فيها ، فكيف وأنت ملطّخ بها؟"<sup>(٢)</sup> . فما بكاء رابعة إلا حزن على تلطّخ النفس بأدران الدنيا ، وهذا الحزن لا تختصّ به المرأة الصوفيّة فحسب وإنما هو حزن صوفيّ عام — إن صحّت العبارة — ولا شك أنّ مصطلح الحزن قرين مصطلح آخر هو " الخوف " ، خوف الصوفيّة من استغراقها فيما يشغلها عن حبّ الله والفناء فيه، لذلك نجدها متفرّدة في " الاستغفار" مكررة فيه إلى حدّ التطرف فقد قالت رابعة العدوية: " أستغفر الله من قلة صدقي في - أستغفر الله -"<sup>(٣)</sup> . وهذا يصرّ العلاقة المتينة التي تحاول المرأة الصوفيّة أن تقيمها مع الله، علاقة تقوم على الاستغراق الكليّ والذوبان التام فيه من أجل الخلاص.

ومن أهمّ المصطلحات والمفاهيم عند المرأة الصوفيّة مصطلح الحب، الذي عبّرت عنه رابعة أصدق تعبير، فالحب لله عندها هو: " ترك كل أشكال الحب الدنيوي. وأن حبّها لله لم يترك في القلب أي مكان مهما صغر لحب دنيوي، فهو الذي يشغل عن كل حب " لأن الصوفي بالمعنى الوجودي هو ذلك الذي يعزف عن الرضا لأنّه ينطوي على فكرة سلبية خالصة، فتراه

(١) السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيّات، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩.

دائماً في خوف على أعماله " (١) وهو ما جعل رابعة تقرّ بدوام حبها لله في عباراتها ومنها: " وغفقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك ... فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا؟ أم رددتها علي فأعزى؟ " (٢) فعبارتها فيها الدلالة الكبيرة، فكل سلطان اختفى إلا سلطان الله، فهي ملازمة للسلطان الذي لا يغيب، فتجهد في رضاه سبحانه عسى أن يرضى فتهاً، أو يرد ذلك الخسران.

وهاهي العابدة عافية المشتاقه، تقول أيضاً في هذا الحب الخالص الذي تتكبد منه عناء الوجد وألم التحمل والصبر: " المحب لا يسأم من مناجاة حبيبه، ولا يهّمه سواه . واشوقاه واشوقاه ] واشوقاه [ " (٣). إنّ المحبة عند هذه المرأة تتعدى حدود العاطفة إلى الفعل، فعل المناجاة الذي يجعل من سكون الصوفي ورضاه، حركة جعلها التكرار في العبارة شديدة التوتر وحيثية، بها يسعى المحب إلى حبيبه. إنّ هذا الاحتفاء بمناجاة الله من ثوابت أهل الصوفية، رجالاً ونساءً . فقد وجدنا ذلك غير مرة، وفي مواطن كثيرة، نجد عبارات المناجات حاضرة، لتدل على حب وتواصل العابدات، فتكون الشغل الشاغل لهن، من ذلك أن رابعة قالت لأحدهم وقد كان دعاها ولم تجبه في ساعتها لأستغراقها بمناجاة الله تعالى فاجابته بعد ذلك بقولها: " إنّما معني من أن أجيبك أنّ قلبي كان قد امتلاً فرحاً بالله ، فلم أقدر أن أجيبك " (٤).

إنّ ذلك التصوير، للإنسان الذي ليس له أي مطمع، بل إتهنّ يحاولن إقناع أنفسهنّ بتملك أسمى ما يمكن تملكه ، ألا وهو حب الذات الإلهية والهيام فيه، وهذا نجده عند جميع الصوفيات العابدات.

وفي ختام هذه المسألة يمكننا القول إلى أنّ العبارة الصوفية النسوية، في العصر العباسي، تتفق مع غيرها من العبارات الصوفية العامة، من حيث الأصناف واللغة والدلالات ولكنها تختلف معها كلما كان الأمر متعلقاً بالشأن الأنثوي. وهو ما سنتبينه أيضاً في مضمون آخر من مضامين النثر الصوفي النسائي، ألا وهو الوصايا.

## ٢- الوصايا:

أدب الوصايا فن نثري يمتاز بجودة الصياغة يقدم فيه صاحبه خلاصة تجربته لتعزيز عليه رغبة في أن يحفظه من الخطأ، وغالباً تمتزج بأسلوب الخطاب. و نلاحظ اختلاط الوصية مع الموعظة عند الصوفية فيتولد هذا النوع المتميز عمّا سواهما لما يتطلبه موضوعه، وهدف

(١) بدوي، عبد الرحمن : شهيدة العشق الإلهي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ط٤ ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٤) ابن الجوزي، المرجع السابق ، ص ٨٦٠ .

القائل، فهما يصبان في محاولة التأثير في المستمع<sup>(١)</sup>. وقد عرفه الأدب العربي مبكراً منذ الجاهلية، وعرفه النثر الصوفي النسوي في العصر العباسي أيضا إلى جانب أشكال تعبيرية أخرى، منها: أدب المناجاة وأدب النفس والرؤى، والحكايات وسواها.

تتجلى أهمية الوصية في احتفاء التشريع الإسلامي بها، وفي القرآن والسنة ما يؤكد ذلك. فهي تحض على الأدب وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحذر من المساس بحدود الله وتبشر بعاقبة العمل الصالح، ولهذا وجدت عند العابدين والأتقياء والزهاد والصوفية.

إنّ المستوى الأوّل من دلالات الوصايا عند الصّوفيات العباسيات يتمثّل في كونها خطاباً يستجمعن فيه فكرهن ويظهرنه بأسلوب شاعري، المعاني القرآنية، والحكم البليغة ليحمل رسالة إلى المخاطب، والوصية في الحقيقة خطاب يصوّر خلاصة تجارب الصوفيات قبل كلّ شيء. فموعظة فاطمة النيسابورية لذي الثون التي قالت فيها: " **النزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك**"<sup>(٢)</sup>. ما هيّ إلا صورة عن نفسها ، صورة المرأة الصادقة التي تلتزم مجاهدة النفس والصبر. وقد عبّرت أخرى في وصيتها لأبيها ان يتحرى الحلال في المأكل: " **يا أبة لا تطعمنا إلا الحلال، فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار**"<sup>(٣)</sup>. لا شكّ أن هذه الوصية تشي بوضوح بمذهب صاحبيتها في الحياة، قبل أن يكون ذلك رسالة منها إلى سامعها.

ومن المهم أن نشير إلى أنّ هذه الوصايا قد توزّعت على معانٍ متنوعة، عكست اهتمامات النسوة ورؤاهن .

ففي باب الحب والاخلاص، لا شكّ أنّ محب الله يظلّ ملتاغاً، يكابد أمواج الشوق ويصارع بحوره ، و" **لا يسكن أئينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه** " <sup>(٤)</sup> — على حدّ عبارة رابعة — ، لهذا يظلّ مسكوناً بالحبيب لا يفارقه ولا يغيب عنه، وإن كان بين الناس فهو معهم بالجسد فقط أما الفؤاد فمع الله المحبوب مولاه وسيده وأنيسه ، فإذا نطق، نطق بما يعبرّ عنه، وإذا أوصى، أوصى بمحبّته، وهو ما أكّده جارية زاهدة وهي توصي أحدهم بقولها: " **تجعلته**

(١) عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، الطبعة ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٤م، ص ٢١٢.

(٢) ابن عربي، الرسائل ، الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري، ج ٣ ، ط ١ ، دار الانتشار العربي ، بيروت ٢٠٠٢م، ص ١٩٥ .

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفة، ص ٩٣٥.

(٤) كحّالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ج ١، ص ٤٣١.

بين عينيك والسلام." (١)، تريد الله. وتبدو بلاغة هذه الوصيّة في إيجازها ودقة مضمونها واحتوائها على جوهر مقام الإحسان، وهو مقام المراقبة في السرّ والعلن.

قالت امرأة من البادية توصي ابناً لها أراد سفراً بالاستقامة: " يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمامم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثلاً ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الخلّة إزارها ورداءها" (٢).

وفي باب الزهد نورد ما كتبتّه رابعة لرجل بعث يخطبها قائلة: " أما بعد، فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي، فهيئ، زادك، وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك، ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك؛ فصم الدهر، وليكن فطرك الموت. وأما أنا: فلو أنّ الله تعالى حوّلي أمثال ما حوّلك وأضعافه ما سرّني أن أشتغل عن الله طرفة عين" (٣).

إنّ المتأمّل لهذا الرّد، يلاحظ بجلاء أن رابعة تقيم بقولها هذا مقابلة صريحة بين زهد في الدّنيا تمتدحه وتدعو إليه وتحدّد وسائله، ألا وهي الانصراف عن الدّنيا، والانتباه إلى الموت، والصّوم تعبّداً. وغير بعيد عن ذلك قول عاتكة الغنويّة توصي أحدهم: " يا ضرار توسّل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل ، فإنّك تجد ذلك موفّراً عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب، ... فإنّ الدنيا لا تطيب لعارفها ، وإنما تورّطها أهل الغرّة ، وعمّا قليل فسوف يعلمون" (٤).

ويبدو أن وصايا النساء الصوفيّات النّصيّة، تصف حالاً من العشق أو الشوق أو الأّنس أو المكابدة في الحب من غير إسهاب ولا تفصيل. وهي على حالها تلك تكون بمثابة دروس يتلقاها المخاطبون كي يعملوا بمقتضاها، حيث تتميز برقة التصوير وعذوبة الكلمات وشفافية الحال. فإذا كان الأمر على هذا النّحو، فما حال نثر الرّوى والمنامات ؟.

(١) ابن عربي، الكوكب الدرّي ، ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الجوزي : صفة الصّفوة، ص ٩٠٩ .

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين، ص ٩٩٠ .

(٤) ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٩٠٧ .

### ٣- الرؤى :

تعد الرؤى والمنامات من الفنون الأدبية الطريفة، وهو لون من الألوان النثرية، يرى الكثيرون أنه ظهر مع المتصوفة، وتعدُّ الرؤى من أهم مصادر التلقي عند الصوفية، والرؤى عند الصوفية ليست مجرد منامات عادية عابرة، فقد جاء في الرسالة القشيرية: "أن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم... فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تقررت في قلوبهم" (١). استدلالاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة" (٢). وقوله أيضاً: " لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له" (٣) (٤).

والرؤى تروى على لسان من تراءت له، فما يصل من مضامينها، هو التعبير الذي يروم صاحب الرؤيا إيصاله، والرؤى والأحلام هي: تعبير عن نشاط الخيال بعد أن يدرك النوم الحواس (٥).

ويمكن أن نؤطر رؤى الصوفيات من خلال البحث في بناء الرؤيا وعلاقتها بالواقع، وما تحيل عليه من مفاهيم وسوف نكتفي بدور الرؤى، في تبرير بعض الممارسات الصوفية، وعلاقة الشيخ بالمريد، ووظيفة الإصلاح فيها، إضافة لما للرؤى من تعويض إلهي، أي ما يفيض من كرم الله سبحانه وتعالى لعباده.

فهذه الرؤى تكون في أغلبها مبنية على الحوار الثنائي بين الصوفية وبين من حضر في مناماتهم، فالشخصيات الحاضرة في المنامات، غالباً ما تكون من كبار الشيوخ وسادة الصوفية، فالنسوة الصوفيات يكنّ المستوضحات، فرؤياهنّ توق للسمو والتعالي، وأمّا الشيخ فهو المعلم المخبر، الكاشف لحسن المآل والمصير، الموصي أحياناً بسلوكه أيام كان حاضراً في الدنيا .

وفي بناء الشخصية من حيث هيأتها تقابل واضح وجلي، بين حال الرثاءة والزينة، كما سنراه في رواية عبدة بنت أبي شوال، خادمة رابعة عن منامتها مع سيّدتها المتزينة، وهي التي لم تكن تملك غير جبّة، صحبتها إلى القبر كفنّاً لها بعد وفاتها، تقول: " رأيتها في منامي وعليها

(١) القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٢) القشيري، مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل، تح: محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ١٧٧٣.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨.

(٤) الشوبكي، محمود يوسف: التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، ص ٤٨.

(٥) عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، ص ٢٣٠ .

حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفنَّاك فيها والخمار الصوف؟!

قالت: إنه والله نُزِع عَنِّي، وأبدلت به هذا الذي ترينهُ عليّ، وطويت أكفاني، وختم عليها، ورفعت في عِلِّيِّين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: قلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا. قالت: وما هذا إلا من كرامة الله لأوليائه.  
قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبم، وقد كُنْتُ عند الناس أكرم منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا، وأمست.

قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغما. قالت: يزور الله متى شاء.

قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟

قالت: بخ بخ، أعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فمُرِّني بأمر، أتقرب به إلى الله عز وجل؟ قالت: عليك بكثرة ذكره...<sup>(١)</sup>.

إنّ المتأمل لهذه المنامة يلاحظ أنها قد بنيت على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: كان موضوعها تبدل حال رابعة من حالة الزهد في الدنيا إلى حالة الرفاه والزينة في الآخرة، وهو ما يجعلنا نستشعر فكرة التعويض الإلهي، التي انتشرت عند العامة و بعد أن رسّخها أهل الصوفيّة فيهم ، وهي المسألة التي رأى فيها بعض النقاد المحدثين ضربا من الهروب من الواقع الاجتماعي المتردّي بسبب سوء أحوال المعيشة والفقر. أمّا الثانية: ففيها إخبار عن شيوخ ماتوا فسموا عند الرفيق، وأحسنّت وفادتهم وعلا مقامهم، وهو ما ذكرنا رأينا فيه أنفا. أمّا المرحلة الثالثة: فهي عود إلى باب الوصايا حيث ذكرت الخادمة وصيّة رابعة إليها، وقد تعرّضنا سابقا أيضا إلى ما يمكن أن نقوله في هذا المجال ولكن ما تركناه عمدا لهذا الموضوع، هو أنّ الوصيّة وإن كانت منقولة عن موصّ، فإنها لا شكّ تصدر عن نفس صوفيّة تواقّة إلى الكمال، تستبطنه من ذاتها ولا تحتاج إلى استلهامه من الخارج، وما الحاجة إلى ذكر الموصّي إلا ضربا من ضروب التأكيد.

فمن حيث علاقتها بالواقع، قد نجد فيما رُوِي عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عُبيّنة(ت في القرن الثاني الهجري) ما يمكننا من استجلاء هذه العلاقة ، ذلك أنّ ابنة سفيان بن عُبيّنة جاءتْها وسألَتْ عن عمّها ولمّا حضر قالت له : " أي عم ، إن أبي جاءني في النوم، فقال

(١) ابن أبي الدنيا: المنامات، تح: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م، بيروت، لبنان ، ص ٤٣ - ٤٤.

جزى الله أخي أيوب عني خيراً، فإنه يزورني كثيراً، وقد كان عندي اليوم". فقال أيوب: " نعم حضرت جنازة، فذهبت إلى قبره " (١). من الواجب التنبّه هنا إلى مسألة مهمّة وهي علاقة الرؤى بالواقع، فقد ربطت الرواية بين المرئي واللامرئي، بين الواقع والحلم، حتى غدت الرؤيا طاقة للكشف، وأداة معرفة تخيلية، ولكن في هذا الموطن بالذات يمكننا أن نتساءل عن دور الواقع، ألا تحتاج الرؤى إلى واقع يسندها؟ نعم. ما كان لرؤيا الفتاة من قيمة لولا تأكيدها من العم. ولكن داخل الإطار الصوفي تتعالق مطالب الروح والجسد، حتى تستحيل الرؤيا جامعة لهذين البعدين، متناسقة مع الأصل الإنساني الروحي، وبعد تشكله الطيني.

فكما أن هناك ظاهراً يؤطره الواقع، فإنّ هناك كذلك باطناً يكشف له الحقيقة الأصيلة غير الزائفة، وهذا يعني: أنّ الظروف الزمانية والتاريخية عند الصوفيّ عامة موصولة على الدوام بأفق القدس، فكأنه يرحل بقلبه إلى عوالم ما وراء المادة، ثم يعود إليه وقد حمل إليه الكثير من الآثار الروحية التي تتجلى في الواقع المعيش (٢).

وفي جانب آخر، فإنّ هذه المرويّات تصوّرُ عالم الصوفيّة الرّجالي والنسائي على حدّ السواء وتخوض في تراتبيّة أهله ومنتسبيه، هي تراتبيّة تعتبر من أهمّ مقالاته وأصوله، فقد خاضت بعض الرؤى في هذه المسألة، منها ما صدر عن حفصة بنت راشد في قولها: " كان مروان المحلمي لي جاراً، وكان قاضياً مجتهداً، قالت: فمات فوجدت عليه وجداً شديداً، فرأيته فيما يرى النائم، فقلت: أبا عبد الله ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى أصحاب اليمين. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى المقرّبين. قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن، ومحمد بن سيرين، وميمون بن سياه " (٣).

إنّ هذه الرؤيا تكشف عن علاقة هذه المرأة الصوفيّة بشيوخها، هي علاقة المرید بالشيخ عامة، علاقة الاستسلام والطاعة والانقياد والخدمة لأنّ تلك هي الطريق الوحيدة للمحبّة التي تفوق التوافل.

فعلاقة التراتبيّة إذن علاقة مركزيّة داخل العالم الصوفي ربّما كانت ردّة فعل يحتمي بها الصوفيّ من عالم الخارج، وربّما كانت لغاية الترغيب وفتناً من فنون الدعوة وكسب الأنصار، وهو ما نجده في هذه الرؤيا لأم عبد الله، وهي من نساء أهل البصرة، والتي قالت فيها: " رأيت فيما يرى النائم، كأني دخلت داراً حسنة، ثم دخلت بستاناً. فذكرت من حسنه ما شاء الله، فإذا أنا

(١) ابن أبي الدنيا: المنامات، ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن، طه: سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٦٢.

(٣) ابن أبي الدنيا، المنامات، ص ٣٤.

برجل متكئ على سرير من ذهب، وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإني لمتعجبة من حسن ما أرى، إذ أتى فقيل له: هذا مروان المحلمي قد أقبل، قالت: فوثب فاستوى جالسا على سريريه، قالت: فاستيقظت من منامي، فإذا جنازة مروان قد مر بها على بابي تلك الساعة<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه المنامات كما رويت تبدو في الظاهر خبريّة تعلم سامعها بخبر تلازم المنامات مع حادثة موت أحدهم ولكنها في الحقيقة إنشائيّة تحت المتلقي وتحرضه وتدعوه وتغريه بمأل " مروان " حتى يسعى لسلوك مسلكه في الحياة. وهذا ضرب من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح تلميحاً وتفكيراً دون حاجة إلى استعلان الأمر والنهي. وهو ما يظهر أيضاً في منامة امرأة من بيت المقدس فيها مدح بيّن لشيخ وأتباعه. تقول: " كان رجاء بن حيوة (ت ١١٢ هـ) جليسا لنا، وكان نِعَمَ الجليس، قالت: فمات، فرأيت في منامي بعد موته بشهر، ونحو ذلك، فقلت له: أبا المقدام إلام صرتم؟ قال: إلى خير، ولكننا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قامت، قالت: قلت: وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه بأثقالهم الجنة، بأفعالهم، حتى ازدحموا على بابها"<sup>(٢)</sup>.

في الحقيقة هذه الرؤيا تتشابه فيها الدلالات والوظائف فهي تبجيل لشيخ وتلاميذه، وهي حتّى على اصطناع المعروف الموجب لحسن المصير، وهي مع كلّ ذلك دعوة إصلاحية خاصة وأنّ أساس الممارسة الإصلاحية لدى المتصوّفات العباسيات هو الانطلاق من إصلاح الباطن الذي يستمد سداه من التوفيق الإلهي، يبدأ من هذا الشعور الإيماني في رؤية الأشياء الذي تشكل منطق الصلاح والإصلاح في الوعي الصوفي.

إن الكثير من النتاجات الدينية ولا سيّما الصوفية منها، زاخرة بهذه الرؤى، والتي لا تخرج عن مضامين واشكاليات البحث التي أشرنا إليها، وهي تجسد اللبنة المكمّلة لمختلف الفنون الأدبية النثرية، وبيّنا دورها الفعال، لبعض ما تم دراسته من رؤى.

#### ٤- الحكايات :

تعتبر الحكاية الصوفية أولى أشكال التعبير الصوفي ظهوراً وأوسعها كثافة في الكتب الصوفية، وهذا يقتضي، أن ثمة ضرورة للكشف عن نشأة هذا الفن وعن حاجة الصوفية إليه، لغرض التعبير عن الحقائق والأسرار، وما يفرضه الله على قلب الصوفي من العلوم اللدنية من خلال لقائه بالأنبياء والملائكة الأولياء، وهذه الأفاصيص والحكايات "ترد في الغالب بسيطة في

(١) ابن أبي الدنيا، المنامات، ص ٣٤-٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦.

سردها، ألفاظها خالية من التعقيد لأن الهدف منها ليس فنياً<sup>(١)</sup>. ويمكن أن نقول إن المصادر الدينية الإسلامية هي من أهم مصادر وأسس الفكر الصوفيّ عامّة، لذلك وجب علينا ونحن في رحلة التقصيّ عن جذور منبت الحكاية الصوفية الانتباه إلى دور القصص التي وردت في القرآن الكريم، في نشأة الحكاية الصوفيّة، لأنها يمكن أن تكون المنبع الأول الذي استقى منه الصوفية أفكارهم، وتأثروا به في طريقة عرضهم للأحداث.

قبل الدخول إلى صلب الحكايات الصوفية والغوص في غمار ما نقل عن النساء الصوفيّات فيها، فإننا نروم التعريف بالحكاية عموماً، ومن ثمّة النظر في حكايات المرأة الصوفيّة، من خلال محاولة استجلاء مضامينها، إضافة إلى وظائفها، ومقاصدها .

والحكاية من الفنون القصصية قديمة الأصل، وتعتبر الموعظة لونا من ألوانها، وهي بمثابة الملجأ الذي يلجأ إليه الكثيرون ومنهم الوعاظ. ثم أن بعض المصنفين في التصوف قد استعمل الحكايات أداةً للتعبير عن المعاني الصوفية، الدالة على آدابهم، ففيها إشارات إلى معانيهم، التي لا تكشف عنها عبارات الحكاية، على نحو دقيق، على الرغم من احتواء النفس الانسانية لها<sup>(٢)</sup>.

أمّا وسماها بالحكاية الصوفيّة فإنّ بعض الدارسين يشترطون فيها جملة من الضوابط متى ما تجسّدت في الحكاية صارت صوفيّة، وأول هذه الضوابط هي أن تستهدف المريدين، والناس عامة، محاولة جلبهم إلى حضيرة العالم الصوفي، فنرى حضور المصطلح الصوفي بكثافة. أمّا ثاني الضوابط فيتمثل في وجوب حضور المضمون الأخلاقي، الذي يحمل في داخله وعي الإنسان وفكره، فتصبح معرفته للحقائق معرفة مباشرة تغيب عنها وساطات الآخرين. و أخيراً، يتمثل الضابط الثالث في ضرورة أن يتناول فيها الراوي الصوفي تجربة وقعت له. ورغم وحدتها التي تستمدّها من تلك الضوابط، فإنّ الحكاية الصوفيّة النسائيّة يمكن أن تصنّف إلى صنفين حسب معيار موقع الراوي فيها.

فالصنف الأول هو صنف الحكاية الذاتية، وهي المرويّة على لسان المرأة عن نفسها، فهي الراوي، أو تروي عن شيخها بالمشاهدة، أو بالمشاركة، أو بالإخبار. ويمكن أن نضع حكايات الكرامات ضمن هذا الصنف الذي يمكن أن نقارنه بمنامة رابعة -موضوع الرؤى- باعتبار -أن في جزء منها حكاية- مبدأً أساسياً من مبادئ الرواية الصوفيّة عند المرأة الصوفية، ألا وهو الاحتفاء الشديد بمسألة العروج وأسبابها التي تمنح الصوفيّ هذه الهبة. فالحكاية من هذه

(١) ستار، ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م. ص ٥١.

(٢) عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، ص ٢٤١-٢٤٢.

الرّواية ليست إلا ترجمة إبداعية لحالة من الوجد والشوق إلى ذلك العروج المرتقب، إذ " يرى المتصوّفة أنّ الأولياء منهم لهم معارج وإسراءات روحية، يشاهدون فيها معاني متجسّدة في صور محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمّن تلك الصور من المعاني" (١) فهوّلاء ورثة النبيّ (عليه الصلاة والسلام) ولكنهم لم يسروا بأجسادهم ، لأنّها دنسهم وإنما عرجوا بأرواحهم وقلوبهم ومعاني إيمانهم. و الحكاية أيضا، تقيم الدليل في بنائها، على دور الرّاوي في مثل هذا النوع خاصّة في مرحلة استهلال الحكاية الصّوفيّة الذي يقوم غالبا على الإسناد، إذ في أغلب الحكايات يركّز الرّاوي على سلسلة الرّواة الذين تناقلوا هذا الخبر محاولة منه لتوثيق أحداثه وإعلانا للعمامة عن براءته ممّا يروي .

أمّا الصنف الثاني فهو ذلك الذي يمكن أن نسميه صنف الحكاية المرويّة عن المرأة الصّوفيّة من راوٍ آخر — غالبا ما يكون صوفيا هو أيضا — يريد من خلالها تمجيدها وإثبات كراماتها. وقد أورد صاحب صفة الصّفوة حكاية تمثلت بأمانة الرّملية التي طلب منها أحمد بن حنبل أن تدعو له فدعت له الله أن يجيره من النار، فقد "اعتلّ بشر بن الحارث فعادته أمانة الرملية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه أمانة الرملية، بلغها عنتي فجاءت من الرملة تعودني. قال: فسألها تدعو لنا. فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فاجرهما. قال أحمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طرحت إليّ رقعة مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : " قد فعلنا ولدينا مزيد" (٢).

بغض النظر عن صدق هذه الحكاية من عدمها، خاصّة في ضوء ما نعرف عن ابن حنبل فإنّ الرّاوي الصّوفي — جعفر بن محمد — وهو ما يهمنّا في هذا المجال ، قد روى حكايته بشكل يؤكّد أنّ المتصوّفة أقاموا " علاقتهم بالله على أساس ينزع إلى المباشرة، وتجاوز الوسائط، حتى وساطة الوعي بالمفهوم المتعارف عليه" (٣) فهذه المرأة التي ينكر أحمد بن حنبل معرفتها كانت بكراماتها شفيعة له وسبيله إلى المغفرة وبفضلها نجا ابن حنبل، وهو من هو، من النار. إنّ اللحظة الأثيرة في هذه الحكاية ، لحظة الكشف تكمن في تلك الرسالة الموجزة التي تلقاها ابن حنبل " قد فعلنا ولدينا مزيد " ، لحظة يلفها التعقيد ويمتزج فيها الظاهر بالباطن ، ظاهر لمتقبّل عامي قد يشغل نفسه بالتحقيق في مرسل الرّسالة ، وباطن لمريد أو مقبل يقرّ بسمو " أمانة الرّملية" وقربها من الله ، ليثبت للأخريين رفعة هذه المرأة.

(١) بلعلي، أمانة : تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص ١٦٧.

(٢) ابن الجوزي : صفة الصّفوة، ص ٨٦١.

(٣) بلعلي، أمانة : تحليل الخطاب الصوفي، ص ٢٩.

إنّ هذا الأمر يعود بنا إلى مفهوم الشطح، وكيف استطاع الرّاوي، على تقدّم هذه الرّواية في الزمن أي في حدود القرن الثاني الهجري، أن يخفي هذه الشطحة دون أن يتخلّى عنها . لا شك أنّ هذه الرّواية تعتبر نموذجاً من الحكايات التي يحويها هذا الصنّف الذي يمكن أن نعرض فيه أيضاً إلى حكاية مجنونة في جبل من جبال بيت المقدس يقال لها : زهراء الوالهة، وتتخصّص في لقاء بينها وبين ذي النّون وعرفته دون سابق معرفة ثمّ ماتت في حضوره بعد أن استعطفته وطلبت منه أن يزيح عنها همّاً تعانیه (١).

فالحكاية على بساطة أحداثها، لا تخرج عن تلك السمات المميّزة للحكاية الصّوفيّة، بدءاً بحضور المرید والشيخ، مروراً بكثافة المصطلح الصّوفي في كلام المرأة وانتهاءً بأنّ الرّاوي كان طرفاً فيها، ناهيك عن ما تشي به من مضامين ودلالات، فأمنية مريدة عمرها عشرون سنة حققتها لقاء خاطف مع شيخ مقدّم. فهذه المرأة التي عاشت كلّ هذه السّنوات تظهر الجنون، جنون الصّوفيّة، وهي تنتظر انعقاد الرّوح من الجسد ، في لحظة يهبها الشيخ الخلاص ويعلن رضاه عنها بأن أرسل بها إلى من تحب، تلك هي مكانة الشيوخ وكراماتهم.

ومن الحكايات تلك التي رواها ابن الجوزي أيضاً في كتابه (٢) حكاية أخوات بشر الحافي التي يدور موضوعها حول أخوات بشر الحافي مضغة ومخة وزبدة ، وتذكر الحكاية أنّ بشراً بكى إحداهنّ بحرارة عند موتها، واختلفت الرّوايات في تحديدها، فمن قائل إنّها مضغة ومن قائل أنّها مخّة، وفي كلتا الحالتين نقلت الرّوايات مقاليتين لبشر بعد وفاة أخته اختلفتا في اللفظ بعض الاختلاف واتفقتا في المعنى، وسنكتفي بذكر إحداهما وهي: " إنّ العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي في الدنيا " (٣).

وعن إحداهنّ قال أيضاً: " تعلّمت الورع من أختي ، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع " (٤). وتتنقل الحكاية أيضاً محاوراً بين مخّة وأحمد بن حنبل مضمونها أنّها جاءت تستفتيه في أمرين، الأوّل، هل يجب أنّ تبيّن لزبائنّها، غزلها على السّراج من غزلها على ضوء القمر، أمّا الثاني، فكان في حكم أنين المريض. وتذكر الحكاية أيضاً رواية أخرى تقول: إنّها جاءت إلى أحمد بن حنبل تستفتيه في حكم استغلالها لفرصة وجود مشعل لغيرها بقربها كي تغزل ولما غاب المشعل خشيت أن يكون ذلك غضباً من الله وطلبت من ابن حنبل أن يخلصها .

(١) ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٨٦٠

(٢) لمراجعتها كاملة انظر: ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٥١٣ - ٥١٤ .

(٣) ابن الجوزي، صفة الصّفوة ، ص ٥١٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥١٣ .

أما زبدة، فقد نقل عنها السُّلمي أنها كانت تقول: " أثقل شيء على العبد الذُّنوب، وأخفّه عليه التوبة ، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء " (١).

لكي نفهم هذه الحكاية يجب أن نعود إلى الشخصيات مستخرجين سماتها وخصائصها ، فنحن إزاء مجموعة من نسوة في مقابلة قطبين كبيرين، بشر الحافي وأحمد بن حنبل، فبشر الحافي هو من مشاهير الصّوفيّة وشيوخهم في القرن الثالث، وأحمد بن حنبل غنيّ عن التعريف، ولكنّ وظيفة هذه المقابلة، هي تعبير النسوة الثلاث وتحديد مزاياهنّ . ويمكن تمثيل هذا التعبير بميزان وضع فيه الرّجلان المذكوران في كفة، والنسوة الثلاث في الكفة الأخرى، والطّريف أنّ الحكاية، تجعل كفة النسوة هي التي تميل، فتصبح النسوة بذلك هنّ أصل الفضيلة والورع والمعرفة الدّينيّة، وما العلّمان بشر وابن حنبل إلا فرعان منه. وما اعتراف بشر بأنّ إحداهنّ كانت " أنيسه" في الدنيا إلا تأكيداً على ما ذهبنا إليه، فانظر إلى ما تحمله تلك العبارة من معنى داخل المعجم الصّوفي، إنّها صفة من صفات الله عندهم، والله "أنيس" الصّوفيّ وحبّيبه.

إنّ حزن بشر الموجب للبكاء لن يكون عند عابد مثله إلا حزنا صوفيّاً ينبع من ألم فراق الله، يروم به من خلاله القرب والتعالّي إلى سمو الدّات الإلهية حبّاً. وانظر إلى كون إحداهنّ أيضاً قد علّمتها الورع والتّقوى لتدرك أنّ العلاقة في هذه الحالة، بين الشيخ والمريد قد انقلبت ليصبح شيخ صوفيّة بغداد، بشر، مريداً عند أخواته.

وهو ما يكشف بوضوح مكانة المرأة الصّوفيّة. والأمر نفسه بالنسبة إلى ابن حنبل، فما مديحه لأخت بشر، وعجبه من تقواها، وورعها، وحرصها على الصّدق، والأمانة، وسعة معرفتها الدّينيّة، إلا اعتراف بتلك المرأة . وخلاصة الحكاية تتمثّل في هذه الصّورة المشرقة لأولئك النسوة التي تصوّر بجلاء البيئة الصّوفيّة النّسائيّة في عصرها.

وفي سياق ذكره لطائفة من العابدات يذكر ابن الجوزي تحت الرقم {٩٤٠} (٢)، حكاية إحداهن، وتروي موقفاً حدث بين أبي بكر الشّيرازي ( ت ٤٨٧هـ ) وكان فقيهاً محدّثاً عالماً ، وعجوز زاهدة تقطن خباءً في بادية العراق. فاللقاء في بدايته يبدو بين شخصيتين متناقضتين، علم معروف وعجوز نكرة، هو متنقل وهي ثابتة، هو حسب رأيها بطل لانصرافه إلى الدّنيا وهي منشغلة بالعبادة، هو يعيش الشكّ وهي تعيش اليقين وتدعوه إليه.

وإنّ ذلك عندها سيكون بالمجاورة والتعبّد والزهد حتّى يتمّ اللقاء بينه وبين الحبيب، وهو ما تقصده باليقين، ذلك المصطلح الصّوفيّ، الذي أفنى من أجله الصّوفيّة أعمارهم.

(١) ابن الجوزي : صفة الصّوّفة، ص ٥١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠٩ .

ولا يقف هذا التناقض عند هذا الحد بل يأخذ بعدا درامياً يتمثل في تحول أبي بكر من شيخ فقيه محدث إلى قاتل مضيفته. ولكن بأي سلاح، بالقرآن. إن قراءته للقرآن كانت رغم ذلك معبراً للعجز ومكافأة تتلقى بها ذلك اليقين المنشود .

فالأمر إذن، لا يخرج أيضاً عن تمجيد لهذه المرأة الزاهدة من باب إغراء المريدين وتبشيرهم ودعوتهم إلى مزيد التعلق بالعبادة، والقرآن، إذا كانوا يرومون الخلاص من دنس الدنيا، ومرافقة ساداتهم وشيوخهم في علو مراتبهم في معاريجهم السماوية .

إن هذه الحكايات على تعددها وغازرة دلالاتها تكشف بوضوح عن مقاصد أصحابها من صوفية ، نساء كنّ أم رجالا . فالقصديّة في الحكاية الصوفيّة ركن أساسي لازم، لأثمه من أدوات التأثير عندهم في مريديهم، وحافز من حوافز الكشف والمعرفة، إذ لا سبيل لهم أن يدركوا مآل شيوخهم إلا من خلال هذه الروايات.

ونختم هذا المبحث بالطرق إلى وظائف الحكاية، فالحكايات (جند من جنود الله) كما وصفها الجنيد، تتقوى بها قلوب المريدين، وتناقها العلماء، لبثها إلى تلامذتهم، تهديهم إلى معالم الطريق في الرحلة الصوفية الشاقة، فللحكاية قيمة وفائدة وحاجة<sup>(١)</sup>.

في خاتمة هذا الفصل يمكن أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي :  
من الضروري في البداية أن نشير إلى أننا واجهنا صعوبة كبرى تتمثل في فقر المكتبة العربية النقدية، من دراسات حديثة تساعدنا على هذا البحث. ولكن رغم ذلك فقد كشف البحث وما استندنا إليه من مراجع أنّ كلّ أجناس النثر الصوفي النسائي قد شكّلت صورة واضحة عن الصوفيّ عامّة وعن المرأة الصوفيّة خاصّة في العصر المقصود بالدراسة .

ففي مستوى العبارة، ظهر لنا أنها ضربان، عبارة " اليومي " أو العبارة الاجتماعية، وأما الضرب الثاني وهو ما أطلقنا عليه اسم العبارة الصوفية، ورغم بساطة الأولى وجماليات الثانية فإنهما تضافرتا لتحقيق وظيفة الإبلاغ بما فيهما من تصوير وأساليب نخصّ منها الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتحضيض وغيرها.

ولكن من حيث المضامين فإنّ العبارة الصوفيّة، تتجلى بشكل أوسع وأوفر دلالة لأنه من المعروف أنّ الصوفيّ إذا حاول التعبير عن الأحوال غير العادية التي يعايشها فأعيتته اللغة، وضاق عند العبارة، عمد إلى المجاز، واخترع ألفاظاً ومصطلحات وتعبيرات تنفتح فيها على دلالات ومعان وافرة مفتوحة على التأويل .

(١) ستار، ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي، ص ٦٨.

وقد حاولنا تفسير ذلك فوجدنا تفسيريّين ، أولهما داخل مفهوم "الشطح" وما يعنيه وكيف تمكن الصوّفيّ بوعيه أن يتجاوز مخاطره، أمّا ثانيهما فهو في طبيعة لغة أدب الزهد وعلاقتها بمقامات الصّوفيات الرّوحية والجسديّة، كما بيّناه في الفصل الأول من دراستنا هذه .  
في حين أنّه في أدب الوصايا، تعلقت النّسوة بأسمى مرامي الصّوفيّة عامّة، الخلاص، وهو طريق ارتضاه الصّوفيون لهم ولأحبّتهم .

وقد تبيّن لنا أنّ دلالات الوصايا تتمثّل في مستويين، في كونها خطاباً ينشأ من حركة فكريّة، ثمّ يظهر بأسلوب شاعريّ مؤثّر، تكون الآيات القرآنية، والحكم البليغة، هي مسنده، حتّى يجعل رسالتهن يسيرة الاستقبال والتلقّي. وقد تمكّنت المرأة الصّوفيّة من ذلك لأنها طرقت هذا الجنس النثري من أبواب عديدة، عكست اهتمامتهنّ ورؤاهن، مثل باب الحب الإلهي، والإخلاص، أو باب الزهد، وغيرهما. عموماً، تبيّن لنا أيضاً أنّ هذه الوصايا وإن كانت محدودة المساحة النّصيّة، فإنها وصفت حالات من العشق، أو الشوق أو الصبر. وهو ما منحها جمالية خاصّة .

مما أظهره البحث أيضاً تلك الوشيجة، التي نجدها بين الرّؤيا والمنامة، في مستوى الجنس النثري ، فكنتاهما ضرب من ضروب الحكّي، وإنّ اختلافهما يعود إلى مسألة العلاقة مع الواقع، إضافة إلى أمور أخرى، منها أنّ الرّؤى تعتبر أهم مصادر التلقّي عند الصوفية، بها يتواصلون مع الأحكام الشرعية من الله، وهو ما جعل بناءها ومضامينها يُبرّران بعض الممارسات الصّوفيّة وعلاقة الشيخ بالمريد ووظيفة الإصلاح فيها إضافة إلى معنى التعويض الإلهي، حتّى أنّ الشخصيات فيها كانت في الغالب من كبار الشيوخ وسادة الصّوفيّة ، مع حضور أساسي لصاحبتهما الحائرة التوّاقة .

أمّا الحكاية الصوفية، فتختلف عن الرّؤيا خاصّة في مستوى الحدود والضوابط التي كشف عنها بحثنا، والتمثّلة في وجوب استهداف المريدين والناس عامة، استقطاباً لهم وإغراء بالخلاص والرقيّ بقوة المصطلح الصوفي مضامينها الأخلاقيّة، تتلبّس بالوعي الإنساني، لتتخلّص من إنسانيتها إلى روحانيّة شديدة الشفافيّة. وقد توصلنا في بحثنا إلى تصنيفها صنفين، المرويّة على لسان المرأة عن نفسها، وجدنا ذلك في حكاية خادمة رابعة عن سيّدتها. والمرويّة عن المرأة الصّوفيّة، مثلما روي عن أمّنة الرمليّة وابن حنبل وذي النون وزهراء الوالهة ، لم يكن هذا الجنس بطبيعة الحال مختلفاً عن بقية الأجناس في مستوى المقاصد والوظائف.

## الفصل الثالث

### أساليب الأدب التّسوي الصوفي وصوره

#### مقدمة:

مما لا شك فيه أن أدباء الصوفية، كانوا مشاركين في الحياة العلمية، بل ان مشايخهم وساداتهم هم قادة الفكر والبيان، وأمراء الشعر والنثر، فازدهرت على أيديهم الأشعار الصوفية والعشق الإلهي الذي أصبح فناً مستقلاً بذاته. يقول حسن إبراهيم " كان ملحوظاً فيهم أنهم من أقطاب الأدب والبيان"<sup>(١)</sup>.

ولقد أكثر الصوفية من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسلوا به إلى الله ليغفر لهم. ومما يبدو واضحاً أن عمائر الصوفية من زوايا وربط كان مراكز اشعاع علمية تعقد فيها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بها من علوم فقهية ونقلية وعقلية<sup>(٢)</sup> كعلم القرآن والحديث والتفسير و اصول الفقه وعلوم اللغة العربية والعروض والتاريخ والحساب والطب والتصوف<sup>(٣)</sup>. وكان العديد من هذه الدور يحتوي على مكتبات تشمل على العديد من الكتب، ولا سيما المصاحف وكتب علوم الفقه، والنحو، والفلك، كما كانت بعض الزوايا، لا تخلو من مؤلفات فلسفية لبعض الفلاسفة والعلماء والأدباء والفقهاء واللغويين والنحاة<sup>(٤)</sup>.

وقد اتاحت هذه الكتب المتوفرة في الزوايا والربط الفرصة أمام روادها والمقيمين فيها من طلبة، ومدرسين وعلماء للمطالعة والكتابة، لذلك نلاحظ ان الكثير من كتب التصوف ألفت في الربط والزوايا، بسبب ما توفره هذه الاماكن من استقرار وهدوء يشجع على الدراسة والكتابة<sup>(٥)</sup>. كما كانت دور الصوفية الملجأ الذي يلجأ إليه العلماء والرحالة، وطلبة العلم الذين يتقلون في أرجاء العالم الاسلامي، ليتلقوا العلم على أيدي بعض مشايخ وعلماء المؤسسات الصوفية<sup>(٦)</sup>.

وكان كبار الشيوخ يعلمون في الزوايا والمدارس، وكان لهم الدور البارز في بعث الحركة العلمية وتطورها، فالحركة الصوفية أسدت إلى المكتبة العلمية في شتى العلوم الصوفية وغيرها وأصبحت منهلاً للمريدين وطالبي العلم إلى عصرنا هذا وصدق تاج الدين السبكي<sup>(٧)</sup> حيث

(١) حسن، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج٣، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤، ص٤٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٢٨.

(٤) كرد، محمد بن عبد الرزاق: خطط الشام، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٣١.

(٥) المصدر السابق، ص١٤٥.

(٦) كرد، محمد عبد الرزاق: خطط الشام، ص١٣٤.

(٧) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب(٧٧١هـ/١٣٧٠م): معين النعم ومبيد النقم، فتح محمد أبو العيون، دار

المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١١٩.

يقول: "حياهم الله وبياهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم" وعلاوة على ما سبق، فإن الباحث يسعى في هذا الفصل إلى إبراز الخصائص الفنية في الأدب الصوفي النسائي من خلال الكشف عن المواطن الفنية والبلاغية في الشعر النسوي الصوفي.

## خصائص اللغة الصوفية:

### ١- اللغة الدينية :

يعتبر القرآن الكريم أحد المصادر الأساسية التي استقى منها الصوفية مصطلحاتهم وتعبيراتهم وربما الأهم. وهناك عدد لا يستهان به من المصطلحات الصوفية نجد أصولها في القرآن نحو المقام والبسط والقبر والفناء والبقاء والجمع والفرق والكثير غير ذلك. ومما يبدو واضحاً أن استعمال الصوفية لمثل هذه المفردات لم يكن على نهج الفقهاء والمفسرين، بل كان تبعاً للنهج الصوفي في فهم آيات القرآن، ذلك النهج الذي يقوم على التأويل الرمزي والبحث في باطن الكتاب دون ظاهره. وقد أشار السراج في اللمع إلى اقتباس الصوفية من القرآن إذ قال: " وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات أهل العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوة، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مروية "(١).

وعلاوة على أثر القرآن في تكوين اللغة الصوفية، فقد كان له أثر هام في اغناء الأفكار الصوفية، وأبرز ظاهرة لذلك استفادة المتصوفة من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم لتمثيل عقائدهم نحو جعل أيوب مظهراً للصبر ويعقوب مثلاً للشوق والاشتياق والحزن ثم التعبير عن عقيدة التجلي وطلب المشاهدة من خلال سيرة موسى القرآنية.

ولولا القرآن لكان من الصعب على المتصوفة المسلمين أن يأتوا بكل تلك الإشارات والامثلة المستمدة من سوره، بل لكان التراث الصوفي قد افتقر لأهم العناصر التي تكون أفكاره ورموزه وتمثيالاته. فالشاعرات الصوفيات من جملة المتصوفة الذين عرفوا من القرآن، لتكوين شعرهم الصوفي، فاتخذن الشاعرات الصوفيات من الآيات القرآنية مصدراً لكثير من أفكارهن الصوفية ومصطلحاتهن العرفانية والآية المشار إليها في قوله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله

فأتبعوني يحببكم الله ﴾ (٢).

فلأن معنى هذه الآيات تظهر جلياً في قول رابعة العدوية:

(١) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٣١.  
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

أحبك حبين، حب الهوى  
 فأما الذي هو حب الهوى  
 وأما الذي انت أهل له  
 فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي  
 وحباً لأنك أهل لذاكا  
 فشغلي بذكرك عن سواك  
 فكشفك للمحب حتى أراك  
 ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (١)

حيث إن هذه المقطعة قد تأثرت بالآية السابقة فان امعان النظر فيها، سيكشف أن المقطعة تكون عمقاً معرفياً يكاد يلخص فلسفة الحب الإلهي عند الصوفية بل فلسفة التصوف نفسها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨)

ويظهر تأثر رابعة بالآية السابقة من خلال قولها:

فأما الذي هو حب الهوى  
 فالذي يشغل رابعة عن الدنيا وما فيها هو ذكر المحبوب إذ ترى من خلال ذكرها لله تعالى وهو المحبوب أفضل وأجمل وهذا يعني أنها ذات ارتباط وثيق بتصوف رابعة العدوية. ويظهر كذلك تأثر العابدات الصوفيات بالقرآن الكريم من خلال الآية التالية قوله تعالى:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣)

ويظهر تأثر حب ريحانة المجنونة من خلال قولها:

أنت أنسي ومنيّتي وسروري  
 يا عزيزي وهمتي ومُرادي  
 ليس سُؤلي من الجنان نعيماً  
 غير أنني أريدها لأراكا (٤)

فواضح تماماً كيف أن ريحانة المجنونة قد استفادت من الآيات السابقة لتعبّر عن فكرتي الحب والرؤيا لوجه الحق، وهذه الآيات تنسجم مع سياق تفكير الصوفية ريحانة، لأنهن يركزن دائماً على الحواس الخمسة.

وقولها كذلك:

ليس سُؤلي من الجنان نعيماً  
 غير أنني أريدها لأراكا

(١) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.

(٢) سورة الرعد، الآية (٢٨)

(٣) سورة القيامة، الآيات (٢٢-٢٣).

(٤) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

فهو مأخوذ من الحديث النبوي القائل: " إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فضرب على اليمين فأخرج ذرية بيضاء كالفضة، ومن اليسرى سوداء كالفحمة، ثم قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي" (١).

ويظهر كذلك تأثر الشاعرة الصوفية تحفة المجنونة بالقرآن من خلال قولها:

يا سرور السرور أنت سروري      يا حياة النفوس أنت حُبوري  
أنت ناري وجنتي ونعيمي      وأنيسي وأنت نور النور  
كم ترى يصبر المحبُّ على البعد      وكم يلبث الهوى في الصدور (٢)

ونلتمس أنها قد تأثرت بقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ

وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

﴿ (٣) .

ويظهر كذلك تأثر جارية متعبدة بجبل المقطم، معاصرة لذي النون المصري:

يا ذا الذي أنيس الفؤادُ بذكره      أنت الذي ما إن سواه أريد  
يا منيّي دون الأنام وبغيّتي      يا من له كلُّ الأنام عبيد  
تفنى الليالي والزمان بأسره      وهواك غضُّ في الفؤاد جديد (٤)

إذ يظهر من خلال الأبيات السابقة تأثرها بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (٥).

وهذا يبين كم كانت الجارية المتعبدة دقيقة في انتقاء الألفاظ والمصطلحات وفي الربط فيما

بينها وهذا يعبر عن معتقداتها التي تتبع عن دقة وإحساس عال .

(١) الترمذي الحكيم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار عبد الرحمن عميرة، الجبل، بيروت، ص ٢٢٠.

(٢) الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

(٣) سورة النور، الآية (٣٥).

(٤) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١٣.

(٥) سورة الرعد، الآية (٢٨).

ويمكن التدلل على اللغة الدينية من النثر الصوفي قول جوهره العابدة البراثية؛ قال حكيم بن جعفر كانت جوهره امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك فعتقت فخلعت الدنيا، ولزمت أبا عبد الله فتزوج بها وتعبدت.

قال أبو عبد الله البراثي: قالت لي جوهره يوماً يا أبا عبد الله النساء يُحلّين في الجنة إذا دخلنا؟ قلت: نعم، قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما أفاقت قلت ما الذي أصابك؟ قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

قال: فأتيناها يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلّة تحته فقلنا:

يا أبا عبد الله ما فعلت بالجلّة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهره أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث " إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني؟ قال: قلت: نعم.

قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها، ففقت والله فأخرجتها<sup>(١)</sup>.

مما يبدو واضحاً من خلال النص السابق أن جوهره العابدة قد تأثرت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويظهر ذلك جلياً من خلال الآية الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الاستدلال كذلك من خلال قول عابدة:

قال نوح الأسود: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراك -يرحمك الله- تتكلمين ولا تسأل عن شيء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره إلا ما كان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة أراك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين<sup>(٣)</sup>.

وعلاوة على ذلك، أرى أن هذه العابدة قد تأثرت كثيراً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونجد كذلك الكثير من الأدلة بالقرآن والسنة، بأن الإنسان الذي يذكر الله يجعل له رحمة وثواب في الدنيا والآخرة ويجزيه الله تعالى بالجنة ويمتثل ذلك في القرآن من خلال قوله تعالى:

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٢.

(٢) سورة المنافقون، الآية ( ٩-١١ ).

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٥.

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ (١).

وعلاوة على ذلك، نجد أن الأدب الصوفي النسوي قد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فمن خلال تتبع المقطوعات الشعرية للنساء الصوفيات نجد أن أكثر الأبيات تحتوي على أكثر من مفردة يعود أصلها إلى القرآن الكريم سواء كان ذلك يتعلق بصفات الخالق سبحانه وتعالى أم أحد أسمائه وهذا يدل على مدى تعلقهن بالخالق سبحانه وتعالى ومدى سعة خيالهن الذي عرج من الحياة الدنيا متعلقاً بالزهد والحب الإلهي.

وهناك الكثير من المواضيع قد اختلفت عن التعريفات العامة للمصطلحات المفردة التي يستعملنها ليخلقن لهن مدلولات خاصة بهنّ وإن كان مقلداً ومتكلفاً إلا أنه كان شعراً مبدعاً ومبتكراً وخاصة في تأثرهن باللغة الدينية.

### لغة المصطلحات الصوفية ولغة الحب الصوفي:

مما لا شك فيه عند دراسة الأدب الصوفي ندخل فيه إلى ساحة عامرة مليئة من الأنغام والألحان التي أبدعها هؤلاء الصوفيون الذين تغنوا وحسروا حبهم بالحب الإلهي عشقاً وفناءً بعد أن سموا بإدراكهم وتذوقهم للجمال والحب إلى فوق رغبات النفس والمتعة، ونفدوا إلى أبعد أماد معانيه وصوره وتهويماته.

واستطاع هؤلاء النسوة أن يبدعن عالماً شعرياً له مفرداته ورموزه وإيحاءاته لأن قلوبهنّ امتلأت باقتباس الحب الإلهي.

إذ أصبح لكل هؤلاء المتعبديات أو المتعبدین معجم خاص لا بد من الإحاطة به لمن يحاول الاقتراب من حدود عالمهم الأدبيّ، وذلك خشية أن يزل أو يضل فالجمال بالنسبة إليهم وسيلة لسمو الروح واهتدائها إلى المعاني الخيرة المطلقة والمبادئ السامية.

فالجمال الإلهي يتجلى في الطبيعة من خلال الموجودات والكواكب والنجوم، كما يتجلى في الناس. فالكون كله يشترك في عبادة ذي الجمال المطلق المنزه عن التشبيه، ويهيم بهذا الجمال في نشوة مقدسة، وهذا الحب الإلهي يغمر الكون، ولولاه ما انتظم الكون.

ومن هنا يمكن أن نفهم تجليات هذا الحب وأسراره وإيماءاته ومضاته، ونحن نتابع رحلة هؤلاء المحبين في هيامهم بالجمال الإلهي.

ونرى أن بعض الشعراء من تتردد على شفاههم أسماء محبوباتهم في البشر، وهي في حقيقتها رموز الجمال الأسمى، فالأسماء ليلي وسعاد وغيرها التي ذكرها الشعراء هي في حقيقة

(١) سورة العنكبوت، الآيات (٦-٧).

الأمر الحبيب الأعظم، وهي سبيلهم إلى الهداية الروحية، إذ يتجاوزون الجمال إلى الانتشاء بالفيض الإلهي لجمال يجل عن الوصف ويتقدس عن الكيف.

وقد عبّر محي الدين بن عربي، أحد هؤلاء العشاق الكبار من الصوفية في مقدمة ديوانه (ترجمان الأشواق) عن حقيقة إدراك هؤلاء الشعراء للجمال الإلهي منبهاً إلى أن أشعارهم لها ظاهر وباطن، فظاهرها غزل يمكن أن ينطبق على الغزل الحسي، ولكن باطنها الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية والواردات الباطنة والأسرار الجمالية العليا<sup>(١)</sup>.

فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهي ولغته التي استخدمها وهام فيها الصوفية، معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم في نثرهم وشعرهم وأدعيتهم وابتهالاتهم وشروحهم ومنظوماتهم وتعليقاتهم وجدناه قد تمثل في صورته الأولى من خلال التعبير القرآني المحكم ومأثور كلم الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما يبدو واضحاً أنه جاء هذا المعنى في القرآن الكريم "يحبهم ويحبونه"، في قوله تعالى:

﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا مِن بَرِّدٍ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وتتأكد فكرة حب الله، من خلال شخصية التفت حولها القلوب والعقول وهي شخصية رابعة العدوية التي ظهرت في البصرة داعية بدعوة جديدة هي دعوة التقرب إلى الله عن طريق حبه، وهي تنادي بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يُحب أولاً لأنه مصدر النعم التي لا تنقطع، فلا سبيل لأن ينقضي حب المنعم بها على عباده، وهو أهل لأن يُحب ثانياً لجماله وجلاله.

(١) هلال، محمد غنيمي: ليلي والمجنون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤. نقلا عن ديوان (ترجمان

الأشواق) لمحي الدين بن عربي.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣١).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٦٥).

تقول رابعة:

أحبك حنين حب الهوى  
فأما الذي هو حبُّ الهوى  
وأما الذي أنت أهل له  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي  
وفي موضع آخر تقول:

يا سروري ومنيتي وعمادي  
أنت روح الفؤاد، أنت رجائي  
أنت لولاك يا حياتي وأنسي  
كم بدت منة وكم لك عندي  
حبك الآن بُغيتي ونعيمي  
ليس لي عنك حبيبت براح  
وأنيسي وعُدَّتِي ومرادي  
أنت لي مؤنسي وشوقك زادي  
ما تشئتُ في فسيح البلادِ  
من عطاء ونعمة وأيادي  
وجلاء لعين قلبي الصادي  
أنت مني ممكّن في الفؤاد<sup>(٢)</sup>

أن هذا اللون من الحب لم يكن من السهل ولوج عالمه والارتفاع إلى مستوى معاينته وتمثله، إلا بعد ابتلاء طويل وتجارب قاسية يتعرض فيها المتصوف في البداية إلى معاناة الحب الإنساني حتى تحتدم به عاطفته، فيكون التحول إلى حب أسمى هو حب الله. والصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم، ولا فرق عندهم بين حب من صفت وروحه من حسان الخلق<sup>(٣)</sup>.

ويظهر جلياً من خلال أدب الصوفية أن الوصول إلى الحق عن طريق الحب أن يكون المحب جميل الروح، وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ولم يكن جميل الجسم، لأن جمال الروح هو الذي يفتح أمام المُحب الطريق للتأمل والفكر اللذين هما السبيل للوصول إلى الغاية من الحب عند الصوفية، فجمال الخلق يمكن أن يتخذ سبيلاً لمعرفة الحق والحب هو الطريق لمعرفة الحقيقة.

ويقول الغزالي: وهو يتحدث عن الصوفية " وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أحض خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات"<sup>(٤)</sup>.

(١) الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١١١.

(٣) هلال، محمد غنيمي: الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار المعارف، القاهرة، د.ن، ص ٢٥١.

(٤) الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، دار الشرق، بيروت، لبنان، د.ن، ص ٣٤.

"وكان قد حصل معي من العلوم التي درستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنف العلوم الشرعية والعقلية، إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة واليوم الآخر، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، لا بدليل معين محرر، بل بأسباب وقرائن، وتجارب لا تدخل تحت العصر تفاصيلها"<sup>(١)</sup>.

وذلك النور هو مفتاح في أكثر المعارف، فمن ذلك النور ينبغي أن يُطلب الكشف وما دام الأمر للذوق والكشف، فطريق الصوفية إذن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها بالفناء بالكلية في الله .

## ٢- لغة المصطلحات الصوفية :

الأدب الصوفي أدب معان أكثر مما هو أدب ألفاظ، والقوة اللغوية والبيانية هي قوة فكرية كما نجد عند الحسن البصري مثلاً في قوله " إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا، لأنه بين مخافتين، بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه عن المهالك"<sup>(٢)</sup>.

ففرى أنه لا بد من الخوض في مسألة اللفظ والمعنى قبل الدخول إلى لغة المصطلحات الصوفية. إذ بدأ الحديث عن مشكلة الفصل بين اللفظ والمعنى في جوّ ديني خالص وهذا ما دار بينهما من حديث ونقد حولهما وخصوصا في إعجاز القرآن، هل هو في اللفظ أو في المعنى والذي ساعد على ذلك سوء فهم النقد العربي القديم (غالبا) للعلاقة بين اللفظ والمعنى وإيثار اللفظ على المعنى وهو إيثار بُني على اعتقاد، هو أن المشكلة التعبيرية والأدبية تكمن في اللفظ وليس في المعنى، فالمعاني كافية ومُهَمَلَة، واللفظ يُظهرها ويهتم بها.<sup>(٣)</sup>

يقول ابن رشيق: " أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحدّاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغنى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعزُّ مطلباً، فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي فيها الجاهل الحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف"<sup>(٤)</sup>.

(١) الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، ص ٣٤.

(٢) الأصفهاني، نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٩٧٤م، ج٢، ص ١٣٢.

(٣) يونس، وضحي، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م، ص.

(٤) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قر قزان، دار المعرفة، دمشق، ١٩٩٤م، ص ٢٥٦.

ومما لا شك فيه أن من قام بتصحيح هذا الفهم عبدالقاهر الجرجاني من خلال ربطه للعلاقة الدائرة بين اللفظ والمعنى ، والنظر إليهما بوصفهما علاقة بين الألفاظ بعضها ببعض . وأشار إلى أن الجمال والبيان ليسا في اللفظ وحده، أو في المعنى وحده، بل في اتحادهما معاً، ذلك لأن اللفظ لا يمكن وجوده والأحاساس به إلا من خلال معناه، والمعنى كذلك يحتاج إلى لفظ يجسده ويقربه، فاللفظ بلا معنى ليس شيئاً .

ومما يستخلص، أن اللفظ يحتوي على الحروف والأصوات والأجراس والإيقاع ، وكذلك اللفظ يحتوي على الصور والعرض والأفكار العامة والدلالات المعنوية والغرض؛ فاللفظ والمعنى أحدهما يمنح للآخر ما يفقده، إذ يضمهما سياق واحد يتحكم فيهما معاً، ويحدد نصبيهما من الجمال والبيان والبلاغة، وهذه العلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى أدركها بعض النقاد من القدماء والمحدثين فرأوا في اللفظ جسماً، وفي المعنى روحاً .

فالجاحظ من الذين جعلوا اللفظ والمعنى جوهرين في ماهية البلاغة، فالبلاغة الجاحظية هي إبلاغ المعنى باللفظ الواضح ومشاكله اللفظ للمعنى، والمساواة بينهما أي تفصيل الألفاظ على أقدار المعاني، فالألفاظ الكثيرة للمعاني الكثيرة والألفاظ القليلة للمعاني القليلة، والألفاظ الشريفة للمعاني الشريفة، والألفاظ السخيفة للمعاني السخيفة<sup>(١)</sup>.

ورأي الجاحظ من الذين اهتموا باللفظ والمعنى معاً في النقد القديم، فالسائد لدى النقاد في النقد القديم هو الاهتمام باللفظ على حساب المعنى.

ومن خلال الرجوع الى تعريف المعنى، إذ تقدم معاجم المصطلحات تعريفاً له ف(المعنى هو الشيء في ذاته، شكله اللفظ وكل ما يدور في البال من أمور النفس والكون ذو معنى، وهذا المعنى يجمع في جوهره كل ما هو كائن، وسيكون، فالمعنى هو الذرة المادية، والذرة الذهنية لكل كائن حاضر أو مغيب، فالله معنى، وحبه الرمل معنى، ونأمة الصوت معنى، وهمسة الهواء، ولمعنى الضوء، وخلجة خاطر معنى، المعنى مجرداً، المعنى مُشكلاً، المعنى في كل صورة هو معنى لمعنى، ومعنى في معنى، فليس الشكل سوى معنى آخر<sup>(٢)</sup>. فالصوفيون من خلال شعرهم، نجد بأنهم همسات أرواحهم ومرايا نفوسهم وصدى أفكارهم، حتى لم يعد الصوفي كاتباً بل أصبح هو كلماته المكتوبة ذاتها<sup>(٣)</sup>.

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩م، ٨/٦.

(٢) شلق، علي: مراحل تطور النثر العربي في نماذج، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٥٧٢.

(٣) يونس، وضحي، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، ص ١٠١-١٠٢.

ومن هنا كان النص الصوفي احتوى على الإبداع الكتابي الجديد لما يحمل شعرهم من أفكار وبطاقات روحية ونفسية كلها تعبر عن الحب الإلهي وهذا ما جعل شعرهم وأدبهم علما مستقلا بذاته لها مكانتها سواء في الأدب القديم والحديث ، لما لأنه انتقل من خلال شعره الى مستوى الرمز بعيدا عن المستوى العادي ، فالمنتبع للشعر الصوفي لا يستطيع الغوص به إلا من خلال معرفة تلك الرموز التي يحيلها الشاعر في قصائده.

ومما يبدو واضحا أنّ الصوفيين قد طوّروا مفهوم المعنى في الأدب والنقد العربيين على عكس المعنى في النقد القديم الذي بقي مفهوم جامد، بينما الصوفية إذ جعلوه مفهوما متحركا متغيّرا باستمرار، إذ أصبحت الصوفية هي المعنى والبيان عنها هو اللفظ. وعلاوة على ما سبق، فالصوفيون من خلال شعرهم جعلوا للمعنى أهمية وضرورة من خلال إعادة النظر إليه لأنه المعنى قابل للولادة باستمرار، وكل مرة يولد جديداً ومختلفاً، وهذا التعدد والتجديد يسهم في تجسيد وتطوير العلاقة بين النص والمتلقي. فالتجربة الصوفية تجربة قائمة على الحب التي تعتمد على رقي القلب والوجدان ؛ لذا تكون اللغة المعبرة فيها العديد من التجديد لتعبر عن عشق الصوفيين ، وهو معنى المعنى في محاولة لحدس المجهول، واستنطاق الصمت، وتكثيف الزمن، واستحضار عوالم خفية، فالتجربة الصوفية، هي محاولة "قول ما لا يقال؟ ربما لكي يخلق تطابقاً وتماهياً بينه وبين السر، وبينه وبين المنطق، ولكي يعيش في كون لا ينتهي وأنه كمثل الكون لا ينتهي"<sup>(١)</sup>، فإذا كانت اللغة ضيقة فالمعنى واسع<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال تتبع بعض التراث الصوفي بصورة عامة، نجد أنه فني بارز ينطلق من الواقع يتأمل ثم يعيد التشكيل من خلال النقل من الحياة التي يعيشها إلى الشعر معتمداً في ذلك على عنصر الخيال ، باعتباره القوة التركيبية والسحرية التي تساعد على التوفيق<sup>(٣)</sup>.

فاللفظ الصوفي فهو لفظ خاص به ، وللصوفيين معاجم خاصة في اصطلاحاتهم الشعرية والنثرية، وفي المؤلفات الصوفية أبواب لتفسير ألفاظهم ففي الرسالة القشيرية مثلاً باب في تفسير الألفاظ تدور هذه الطائفة وبيان ما يُشكّل منها.

ويؤكد ذلك قول القشيري عن الألفاظ التي استخدمها الأدباء الصوفيون من خلال رسالته "ثم يبسط القول بعد ذلك لتبيان الألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التي تدور في محيط

(١) أدونيس، علي أحمد سعيد: الصوفية والسريالية، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٤.

(٢) يونس، وضحي، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري ، ص ١٠٢-١٠٣.

(٣) عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة، ١٩٧٤م، ص ١٧.

الصوفيون وكان هدفه من ذلك تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم" (١).

وفي كتب الصوفية منها اللمع في التصوف للطوسي يجد الباحث بأنه كتاب شامل يرصد فيه الألفاظ الخاصة الجارية في كلام الصوفية، وهي أربعة وخمسون ومئة لفظ يذكرها الطوسي ويبيّن معناها الصوفي، ومنها " الغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره، ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد والحضور هو حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه " (٢).

ومما يبدو واضحاً مما سبق نستخلص، أن الأدب الصوفي يحتوي على قضية جدلية قائمة على حب الروح والجسد الإنسانية لدى الأديب الصوفي وجُسدت هذه القضية في الأدب الصوفي من خلال الجدل ، والجدل الصوفي قائم على البحث عن موطن الروح الممزوجة بالحرية هو تجربة الإسلام في البحث عن مثل أعلى يوحد بين الجسد الإنساني والروح الإلهي .  
مما أدى ذلك إلى التجديد في أشكال التعبير بحث تكون قادرة للتعبير عن المضامين الصوفية ، وكشف عن أبعاد جديدة في اللغة والفكر إذ يرادف الظاهر الشريعة والتنزيل، ويرادف الباطن الحقيقة والتأويل.

### ٣- لغة الحب الصوفي:

ويظهر جلياً الحب الإلهي في النثر الصوفي من خلال نص أم حسان الكوفية:  
" قال عبد الله بن المبارك: ذكر سفيان الثوري امرأة بالكوفة يقال لها أم حسان ذات اجتهاد وعبادة، فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصير خلق، فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك لغيروا من سوء حالك؟ فقالت: يا سفيان قد كنت في عيني أعظم وفي قلبي أكبر من ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها، فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي عليّ وقت وأنا متشاغله فيه عن الله تعالى بغير الله فأبكت سفيان" (٣).

مما يبدو واضحاً من خلال النص السابق مدى تعلق أم حسان الكوفية بالله سبحانه وتعالى الخالق، إذ نرى بأنها لا تريد من متاع الدنيا شيئاً، إذ نراها تتمنى ألا يضيع وقتها في مشاغل الدنيا وتبعدها عن ذكر الله وحبها له من أجل نيل رؤية المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى. ونرى أن المبدأ الثاني في فكر النساء الصوفيات من العاشقات أن العاطفة لا العقل هي السبيل

(١) القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٦.

(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٤١٦.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٦٠٢.

للوصول إلى الله، يقول الغزالي: " كان ذلك حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أقبل إلى غار حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربه"<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان الحب الجسدي في آثار هؤلاء العشاق طريقاً إلى الحب الإلهي، إذ الجمال في الخليقة مرآة جمال الله، وهؤلاء يذهبون في شرحهم لخلق الكون إلى أن الأصل فيه الجمال الإلهي، وذلك أن الصفة الجوهرية في الجمال هي أنه بطبعه ميال إلى الظهور والإيحاء بنفسه. وهذا هو الباعث لدى الجمال الأقدس أن يخلق ليعرف بهم، ولما أراد ذو الكمال المطلق والجمال الأسمى أن يعرف، كان لا بد أن يعرف بمخلوقات فيها نقص وفيها شر، ليدل نقصهم على كماله وخيره كما يدل الخلائق عن الله بمقدار انغماسها في المادة وظلماتها، لأنها تبعد بذلك عن النور المطلق المتصف به واجب الوجود، وتقرب من الكمال بمقدار بعدها عن ظلمات المادة وتعلقها بمظاهر الجمال والخليقة"<sup>(٢)</sup>.

وهذا الجمال هو مرآة ذي الجلال، حتى ترقى بالحب الإلهي إلى الفناء في الذات وتعود بذلك إلى أصلها الذي صدرت عنه. فالجمال الإلهي هو الأصل في الخليقة، ومن أسباب المحبة التأمل في جمال الوجود إذ إن ذلك الجمال فيض من جمال واجد الوجود.

فهؤلاء العشاق من المتصوفة (بتأملهم في جمال الخلق) يتقربون إلى جمال الحق ولطول تأملهم فيه، يعترئهم ذلك الشعور الفيض الذي يستغرقون فيه حتى يصلوا إلى حالة الوجود ويغيبون عن وعيهم الحسي ويعترئهم من الهيام بالله ما يرقصون فيه طرباً مرددين اسمه على لسانهم في حلقات الذكر.

أن المتأمل في أدب النساء الصوفيات، يرى أن أدبهن الصوفي يخفي دلالاته الإيجابية المستترة على الرغم من مظهره السلبي الخادع وطابع تشاؤمه الموغل في الحزن، ذلك أن هذا الأدب في مجموعه كان هروباً من الحياة وانسحاباً من الواقع المثقل بالأسى والظلم والتخلف، ولكنهن عرفن كيف يضمن على هذا الهرب أبعاداً تتجاوز مجرد الشكوى والأنات، وحزن الضعف والتواني، عندما هربن بفكرهن إلى الطبقات العليا من أجواء الروح المتعالية والنفس المتسامية والخيال الحرّ الطليق.

صحيح أن هؤلاء الصوفيات (من عاشقات) قد عزفن عن نشدان السعادة في هذه الحياة، لأنهن يائسات عن الظفر بها في الحياة الدنيا، واتجهن بإخلاص إلى نشوان سعادتهن في العالم الآخر داعيات إلى التعجيل بالرحيل من هذه الدنيا عازفات عن كل ما تحفل به من ماديات وممتع

(١) الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، ص ٥٧.

(٢) الدخيل، محمد، طقوس الحب في الشعر الصوفي، مؤتمر فيلاديفيا الدولي الثالث عشر، ٢٠٠٨، ص ١٦.

موقوته، ولكنهن في تبرير مسلكهن هذا قد صورن (في صدق وروعة وأصالة) ما حفلت به عصورهن من شرور ومآثم، وكنّ في هذا المجال أعمق إدراكاً وأقوى دلالة من سواهن من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ومالئوا المستبدين بها، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان، وقد كان هذا الطغيان في أكثر حالاته طغيان سلطان المال في تلك المجتمعات التي استبد فيها سلطان الفرد كما انسحقت الغالبية فتلاشت مواهب كثيرة، وتبددت طاقات خلاقة ووذبت أصوات كانت تُبشّر بانطلاقات جديدة عارمة، وانطمست معالم الرأي السليم والفكر الناضج.

## - خصائص الصورة والإيقاع في الأدب النسوي الصوفي.

### أهمية الصورة في الشعر:

الإيقاع والصورة يجريان سوياً في حلبة الشعر، ويرتبطان على نحو لا ينفصم وهما الخاصيتان اللتان تميزان الشاعر. والشعر يختلف في أدواته عن بقية الفنون الأخرى، فالموسيقى والرسم ليس لهما معان يدركها الذهن من سماع القطعة الموسيقية، أو تأمل خطوط اللوحة وإنما تأخذان طريقهما إلى الوجدان المباشر، يدركها الحس، وينفذ بها إلى الشعر، ودور العقل في هذا محدود<sup>(١)</sup>.

وأما الشعر فيخاطب الوجدان، ويحيل الأفكار الذهنية إلى إحساسات، ويستخدم اللفظ، وللألفاظ دلالة عقلية ونفسية خاصة، وإدراكنا لهم يتم عن طريق الشعور والعقل، وإدراك الألفاظ عقلياً يقف في طريق الشعر منسباً إلى نفوسنا، ومن ثم يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجردة، ليغلب الدلالات الشعورية للألفاظ على دلالاتها الذهنية، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس الألفاظ وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعة أو قارئة، وهو أيضاً يستخدم طبيعة التصوير، فكما تعتمد اللوحة على الخطوط والألوان في إبراز إحساس الرسام، تعتمد الصورة الشعرية على جزئيات مؤتلفة لو نظرت إلى كل منها مفردة لم تجد لها دلالة نفسية أو ذهنية كبيرة، ولكن بإجماعها ترسم لوحة شعرية متكاملة الجوانب<sup>(٢)</sup>.

وكلمة صورة تعني أصلاً التجسيم وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾<sup>(٣)</sup>، وفيه أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي

(١) الجبوسي، سلمى: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، دار صادر بيروت، د.ن، ج ٢، ص ٧٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٤٦.

(٣) سورة الانفطار، الآية (٧-٨).

الْأَرْحَامُ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾<sup>(١)</sup>، واتسع معناها في النقد الأدبي الحديث

وتحدد في الوقت نفسه، اتسع لأن استخدامها لا يقتصر على ما تراه العين، بل امتد إلى كل ما يؤثر في أي من حواسنا، أو في مجموعة منها لأن كل إحساس ينجم عنه تصور معين، وتحدد لأنه على الأقل فيما يتصل بشكل الصورة يشمل الانطباعات الحسية، تجيئ وليدة التشبيه أو الاستعارة، وسائر الصورة البلاغية، مهما كانت الحاسة التي تتجه إليها، ويستبعد الوصف المباشر حتى ولو كان حسيًا.<sup>(٢)</sup>

والصورة الشعرية في الأدب العربي قديمة قدم الشعر نفسه، وأشعار امرئ القيس تحفل بالكثير منها وأبرزها تصويره لليل، ويمضي به بطيئاً متثاقلاً، يفيض بالهم من كل جانب أناخ عليه بقسوة وألقى على أحاسيسه بكل ثقله، يكاد يطحنه في أبياته الشهيرة<sup>(٣)</sup>.

ولكن النقد العربي لم يكن بمستوى الإبداع، فغفل عن الصورة، وجمد عند الوان من الاستعارة، واهتم بإيجاد العلاقة الحسية، أو وجه الشبه إذا شئت بين المشبه والمشبه به، والاستعارة عنده ضرب من التشبيه؛ وغط من التمثيل.

وعبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) وحده ألم بدور الاستعارة في تجسيم الذهني، وتشخيص المجرد، إذ أشار إلى أنك ترى بها "الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جليلة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، والرونق مالم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكفها وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية، لا تتألف إلا الظنون"<sup>(٤)</sup>.

وتربط الصورة الشعرية بتجربة الشاعر، تجسد فكرة أو عاطفة، وذات صلة قوية بالمشاعر التي تسيطر على القصيدة، وتصبح جزءاً منها، وتتأزر مع بقية الأجزاء الأخرى لتنتقل لنا التجربة كاملة، يقوم بها الخيال بالدور الأساسي في تشكيلها يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع، وملابسات الحياة اليومية، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدتها من مناظر الطبيعية وأماكن الجمال الرفيعة، ويمزج بين عناصرها المختلفة، فتجيئ خلقاً جديداً يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألف منها<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية (٦).

(٢) المزيد، محمد، التشكيل الفني والموضوعي في شعر أبي دهب الجمحي، رسالة دكتوراه، اليرموك، ٢٠١٢، ص ١١٣.

(٣) مكي، الطاهر أحمد: امرئ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٣٦.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٩١م، ص ٤٣.

(٥) منور، محمد: في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص ٥٤.

فالمهمة الأولى والأشد بساطة لدور الصورة يقوم على أسس بلاغية من تشبيه واستعارة، فقد تجيء رسماً لموقف نفسي أخذ، ذات دلالة حقيقية لا تنطوي على شيء من مقومات البلاغة التقليدية، وبقدر ما يكون الانطباع الحسي أكثر دقة، وأشد خصوصية، بقدر ما يتضاعف تأثيره، ولهذا فإن الكلمات العاطفية المجردة مثل الجمال والموت ومتعة الجمال تظل معنى تجريداً لا قيمة له في مشاعرنا ولا يتجاوز المفهوم الثقافي الخالص، مالم نجرب هذه المتعة حقاً بتأمل شيء جميل، أو تذوقه بعيداً عن تعريفه، أو نقرأ عنه غير تعريف من خلال الكتب العلمية. وقد تكون الصورة الشعرية ذات أبعاد واسعة، تعتمد على حشد من الألفاظ والعبارات والتي لو قرأتها متفرقة لم يكن لها تأثير كبير، ولكنها مؤتلفة كل واحدة منها توضح جانباً من الصورة، وتأتلف مع سائر الأجزاء، فإذا نحن في نهاية المطاف أمام لوحة شعورية كبيرة ذات دلالة خاصة.

ويمكن أن يميز فيما يأتي به الشاعر بين صور جيدة وأخرى رديئة، ومبدع الأولى مكتشف وصانع الثانية مخترع، والصورة الجيدة لا تجيء أبداً وليدة اختيار تعسفي، والشبه الذي تظهره الصورة كان موجوداً من قبل، وإن لم نكن ندركه، ومهمة الشاعر أن يتعمق بحدسه الخيالي تحت سطح الأشياء، حتى يقع. والقارئ لا يقف عند مجرد معناها، بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما سمي معنى المعنى وهو المستوى الفني أو الجمالي للعمل الإبداعي.

وتزخر الكتب والمقالات النقدية الحديثة بالأحاديث المطولة التي تحاول تحديد مفهوم الصورة الشعرية، ولعل أبسط ما قيل في محاولة تحديد هذا المفهوم هو أن الصورة "تعبير ينقل شعور الشاعر وأفكاره معتمداً على التجسيد لا على التصريح والتجريد وقد يتحقق ذلك في تعبير كامل أو لفظة واحدة، وقد يكون حقيقياً لكنه يساق على طريقة خاصة، فكما أنه يمكن تخزين الصورة من استعارة أو تشبيه، يمكن أيضاً تكوينها من عبارة أو فقرة تبدو في ظاهرها وصفية خالصة بيد أنها توحى إلى الخيال شيئاً زائداً عن حقيقتها الخارجية"<sup>(١)</sup>.

ولم يقلل أحد من النقاد من قيمة الصورة في الشعر، بل أن منهم من جعلها جوهر العمل الشعري، لأن الشعر هو "التصوير للمشاعر وإيرادها في صور يبتعد بها عن التجريد من ناحية ومن السرد والتقارير من ناحية أخرى، ولا قيمة للموسيقى في هذا المفهوم إلا بمقدار ما تشد من أزر هذه الصور وتضيف إلى إحيائها"<sup>(٢)</sup>. ومن ثم تصبح "الوسيلة الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم

(١) مندور، محمد: الأدب وفنونه، ص ١١٥.

(٢) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص ١٩٢.

من الصور الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحيات والقصة، وإن الصورة جزء من التجربة، ويجب أن تتأزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلاً صادقاً (١).

إضافة إلى ذلك، فإن أهمية الصورة التي تناولها النقاد في درسه النقدية "لا يقلل من قيمة الموسيقى، بل هي ضرورية لكل شعر وإلا أصبح نثرًا، وهناك شعر يستمد معظم جماله في موسيقاه، بل تصبح فيه الموسيقى أداة للتعبير تفوق في أهميتها الألفاظ والصور" (٢)، فالصورة البيانية نواة في الخطاب الشعري إذ تمثل البعد الجمالي لعالم فنان وساحر.

### ١- التشبيهات :

ومما يبدو واضحاً من خلال الوقوف على مفهوم التشبيه وأهميته نجد أن التشبيه في اللغة مأخوذ من الشبه والتشبيه بمعنى التمثيل (٣)، وفي الاصطلاح، يراد به إلحاق أمر، بأخر في صفة مشتركة بينهما، لغرض يقصده المتكلم ويرمي إليه (٤)، ولأنه يساعد على تجلية الخفي، وإدناء البعيد، كما يعين على توضيح المعنى، وتقريبه بصورة موجزة، وجميلة، يشهد عناية الدارسين، فكشفوا حقيقته، وحددوا أقسامه، وأغراضه، ولعلّ المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) من أوائل العلماء الذين قاموا بذلك، موضحاً الحسن منه، والقبيح دون أن يعلل سبب ذلك (٥).

ثم إنّ الجرجاني درسه دراسة متأنية، وفهم علاقته بسائر الفنون البيانية، معرفاً إياه بقوله "التشبيه، أن يُنبَتَ لهذا معنى من معاني ذلك، أو حُكِمَ من أحكامه كإثباتك للرجل، شجاعة الأسد، وللحجة حكم التور" (٦).

وما من شك أن التشبيه مسلك بياني شهد عناية خاصة ومكانة مميزة عند الشعراء منذ العصر الجاهلي، حيث كثر وروده في أشعارهم، بما له من روعة وجمال داخل النص الأدبي؛ مما جعل صاحب الإيضاح، يشيد بأهميته قائلاً: "وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنّه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني

(١) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، م ٥، مادة (ش ب هـ).

(٤) فيّود، بسيوني عبد الفتاح: دراسات بلاغية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٩٩.

(٥) المبرّد، أبو العباس محمد بن زيد: الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر

العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م، ص ٩٩.

(٦) الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٨٧.

به، لاسيما قسم التمثيل منه، يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها، مدحا كانت أو ذمّا أو افتخاراً<sup>(١)</sup>.

فالشاعر إذن في خلق تشبيهاته، ينطلق من محيطه، ومما وقع عليه بصره داخل بيئته، إذ توّقر له المادة التي يشكل منها مختلف صورهِ الشعريّة، ونتيجة لذلك جاء التشبيه في كل عصر، متأثراً بالبيئة وخاضعاً لها، تضيفي عليه كلّ سماتها وتمنحه جميع خصائصها. فهو فنّ من فنون التعبير الشعري، أولع به الشعراء، منذ الجاهلية فوافق طبائعهم، وجاء مُستمدّاً من بيئتهم البدوية<sup>(٢)</sup>.

والمرأة الصوفية، استخدمت هذا الأسلوب، بكثرة في شعرها، إذ اتخذته وسيلة لتصوير حياتها وجلاء مشاعرها وإبراز نفسيّتها وكانت فيه (هي الأخرى) وفيّة لبيئتها بكل ملامحها وجوانبها.

ولأن الطبيعة، معين شعري لا ينضب، نراها تشكل، أهم ملمح بيئي في شعر المرأة، فالعابدة الصوفية، اتخذتها أداة فنية مهمّة، لرسم صورها الشعرية، سواء أكانت تلك الصور تشبيهية، أو استعارية، أو كناية، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّه ما من شاعر، يستطيع أن يرسم لوحاته الشعريّة بمنأى عن الطبيعة، فهي تمنح الإبداع الشعري طاقة حيوية لا تضاهي.

فمن خلال الوقوف على أدب النساء الصوفيات في العصر العباسي، ألفينا التشبيه عنصراً هاماً من عناصر البناء الفني فيه غير أننا نتوقع اختلافاً وبنواً شاسعاً بشأن عناصره، نظراً للتحوّل الذي شهده العصر، حيث انتقل الفرد العربي من حياة البداوة إلى حياة التمدّن، وبموجب ذلك اختفت مظاهر الخشونة والقساوة لتحل محلها مظاهر الرفاهية والعيش الرغيد.

والحقيقة أن المرأة الصوفية لم تكن بمنأى عن التغيرات التي مسّت جوانب الحياة في هذه الفترة، فشرها يترجم روح عصرها ويعبر عن المستجدات التي ميزته عن سائر العصور ولذلك لا عجب أن تتردد في تشبيهاتها الألفاظ الدالة على ليونة الطبع، ورقّة الشعور، وعذوبة الإحساس، فضلاً عمّا يوحى، ببهرج الحياة ورونق الحضارة، مثلما نلمحه في قول رابعة العدوية:

يا سروري ومنيّتي وعمادي      وأنيسي وعُدّتي ومرادي  
أنت روح الفؤاد أنت رجائي      أنت لي مؤنسٌ وشوقك زادي<sup>(٣)</sup>

(١) القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٣٦.

(٢) الجويني، مصطفى الصّاوي: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٩٥.

(٣) الحريفش، الروض الفائق، ص ١١١.

وهنا نجد بأن رابعة العدوية عبّرت عن حياتها الواقعية وحبّها للخالق سبحانه وتعالى إذ جعلته وشبهته بروح الفؤاد والروح هي المحرك لجسد الإنسان وفؤاده فهو تشبيهه نابع بأن قلبها متصل بالذات الإلهية وهذا أساس مذهبها في الزهد القائم على الاستغراق في حب الخالق ونشوان الاتصال الروحي بالمولى عز وجل.

ولم تكن رابعة وحدها في هذا الميدان بل شاركتها أخريات من بنات جنسها مثل تحفة المجنونة من خلال قولها:

أنت نارِي وجنتي ونعيمي      وأنيسي وأنت نور النور  
كم ترى يصبر المحب على البعد      وكم يلبث الهوى في الصدور<sup>(١)</sup>

إذ نرى أنها قد جعلت المحبوب وشبهته بصفات عدة منها النار والجنة والنعيم والأنيس والنور وهذه الصور يكون تركيزها على الصوت؛ فيذهب الناقد أو الدارس ليرد هذه الصور إلى أداة الصوت عند الشرح والتحليل فتتحول الصورة من صوت إلى بصر ظناً أو توهماً من الدارس أن الصورة المتخيّلة لا تأتي إلا من الحاسة البصرية.

ومما جاء من أمثلة النثر النسوي الصوفي على التشبيه، قول عُفيرة العابدة:

"قال روح بنت سلمة الورّاق لعفيرة العابدة: بلغني إنك لا تنامين بالليل؟ فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ وقلت في نفسي: أراني في شيء وأرك في شيء"<sup>(٢)</sup>.

فمن خلال النص السابق يجد الباحث أنها جعلت النوم عبارة عن شيء يشتهي مثل الطعام وهذه صورة تدل على عدم مقدرتها على النوم ، كالإنسان الذي غاب عنه الطعام أو موجود أمامه وليس لديه المقدره عليه لما يجول في خاطره من افكار .

ويظهر كذلك في قول أم طلق: "النفس ملك إن اتبعتها ومملوك إن أتعبتها"<sup>(٣)</sup>.

وعلاوة على ما سبق يظهر التشبيه من خلال قول أم طلق إذ جعلت النفس كالمملك والمملوك فإنك تملكها إذا جعلتها تقوم ما تأمره بها وتملكك النفس إذا أمرتك بما تريد، من أفعال تغضب الله سبحانه وتعالى.

(١) الحريفيش، الروض الفائق ، ص ٢٢١.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفة: ص ٧١١.

(٣) المصدر السابق، ص ٧١٣.

## ٢- المجازات :

مفهوم المجاز وأهميته:

المجاز من مسائل علم البيان، التي حظيت بعناية الدارسين واهتمامهم لا سيما الباحثين في الدراسات القرآنية، ولذلك صار ومصطلح الحقيقة من أمّهات القضايا التي تناولها جلّ البلاغيين قديماً إذ كشفوا حدّه، وبيّنوا ماهيته، مسجلين بشأنه، آراء ومواقف متباينة، لم تتوضح جلياً إلا بعد مجيء الإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي حدد مصطلحاته العلمية بدقة فائقة، معرفاً إياه بقوله: "إذا عدل باللفظ عمّا يُوجبه أصل اللّغة، وُصِفَ بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضِعَ فيه أو لا" (١).

وعليه، فإن استعمال اللفظ، للدلالة على معنى، لم يخص له في أصل الوضع يعدّ مجازاً، غير أن الأمر لا يتحقق إلا بتوفير شرطين أساسيين، الأول، يتمثل فيما يعرف بالقرينة، وهي ذلك العنصر الضروري، الذي يدفع التوهّم عن المتلقي، حتّى لا يعتقد أن المعنى الحقيقي هو المراد، وإنما المعنى المجازي؛ ولذلك وجب على المتكلم إقامة دليل لفظي أو حالي في كلامه، يكشف من خلاله أنّه أراد بالكلمة، غير ما وضعت له. أما الشرط الثاني، فيتلخص فيما يُسمى بالملاحظة التي أشار إليها الجرجاني في قوله: "أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول ... " (٢).

ولأهمية هذا الشرط، في استقامة التعبير المجازي، وصحّته يكشف إمام البلاغة معناه فيقول: "ومعنى الملاحظة أنّ الاسم، يقع لما تقول أنّه مجاز فيه، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقة فيه. " (٣).

فالملاحظة إذن، تمثل الصلّة الوثيقة بين المنقول له والمنقول عنه أو المناسبة التي تساعدنا على الانتقال، باللفظ من معناه الأصلي، إلى المعنى الذي لم يوضع له في أصل الاصطلاح. وللإشارة فإن علماء البلاغة، يُعولون كثيراً على هذا الشرط، لكونه السبيل الوحيد إلى التمييز بين أقسام المجاز التي حدّدنا علماء علم البيان، يتقدمهم الجرجاني بقوله: "واعلم أن المجاز على ضربين، مجاز عن طريق اللّغة، ومجاز عن طريق المعنى والمعقول" (٤).

(١) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص ٣٩٥.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، ص ٤٠٨.

فالذي هو من طريق اللغة، فإنه المجاز اللغوي، الذي ينقل فيه اللفظ، من معناه اللغوي، إلى معنى آخر، بينهما حلة ومناسبة، ويكون في المفرد، ممّا يعني أنّه، يقع في المثبت، بدليل قول فخر الدين الرازي: "المجاز اللغوي، يقع في المثبت والمثبت لا بدّ أن يكون مفرداً" (١).

والذي من طريق المعنى، والمعقول فإنه المجاز العقلي الذي قرّره، واستخرجه الجرجاني بفكرته الصافية، وسمّاه المجاز الحكمي الذي يراذُ به اسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو يتأول (٢)، أي إسناد الحكم إلى غير فاعله الحقيقي.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التعبير المجازي، يعمل على تشويق المتلقي إلى تحصيل الكلام من أجل فهم العلاقات التي تربط عناصر التركيب، ليوقف بعد ذلك على مكن الجمال في النص الإبداعي.

ويرى بعض الدارسين أن المجاز يعين الأديب على التعبير عن معانيه وإخراجها وفق ما تقتضيه قافية أو موسيقاه الخارجية، حيث يمده بثنى طرق تصوير المعنى، إضافة إلى الألفاظ التي تساعده على إدراك قافيته أو تسجيع سطره، إذا ما كان ناثرًا (٣).

وبذلك فإنه يسمح للمبدع، بتوسيع دائرة استخدام ألفاظ اللغة، إذ ينتقي منها ما بدا له، ثم يشحنها بما يلائم قصده ويتناسب مع مبتغاه في أي غرض كان.

ولمّا كانت الحقيقة، عاجزة عن تحقيق المبالغة، التي هي عماد الإبداع الأدبي كان المجاز أولى منها في الاستخدام، وقد أدرك المتخصّصون، الذين فقهوا فنون القول، وألّوا بعناصر البلاغة، أن الأديب إذا تآقت نفسه إلى الإيحاءات الفنية، واختلجت المعاني في صدره وتراحمت وجد ضالته في المجاز، لأن الفن الذي يتسع لشئ أشكال التعبير، فيحصل له به التأثير الذي يسعى من وراء كلامه، ويتحقق السحر الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فيهم السامع بخياله، وتنتشي روحه، ويصبح أسير العبارة المجازية التي وصفها ابن الأثير بقوله: "ليسمحُ بها البخيل ويشجعُ بها الجبان ويحلم بها الطائش المتسرّع" (٤). ولذلك كان التعبير المجازي، أبلغ من الحقيقة، وأوقع على النفس، وألطف من اللفظ الظاهر المكشوف.

والمرأة الشاعرة كباقي الأدباء عاشت مواقف، وتجارب شعورية، حملتها إلينا عن طريق الخطاب المجازي الذي يحضر القوة في شعرها متخذاً أشكالاً شتى. إذ يلاحظ المتصل بأدب النساء خلال العصور الأدبية الأولى، وجود ظاهرة تتردد بكثرة في شعر النسوة تتمثل في مخاطبة جميع من حولها من أدوات وجمادات وحيوانات وكأنها تعي وتسمع ما يوجّه إليها من

(١) الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م، ص ٨٠.

(٢) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٨٣.

(٣) مختار، عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٢٥.

(٤) ابن الأثير، علي بن محمد: المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ٧٩.

خطاب، والحقيقة أن هذه الظاهرة تترجم بوضوح، علاقة المرأة بالأشياء المحيطة بها، كما تعكس تفاعلها القوي، واتصالها الشديد بعناصر بيئتها إذ تحاورها وتبثها أوجاعها وآلامها، راجية منها المشاركة والمواساة وأحياناً أخرى، طلباً للتخفيف، من وطأة المعاناة التي تمر بها. والمرأة حين تخاطب الأشياء التي لا تخاطب في العادة، تكون بصدد كشف رؤيتها، لتلك الأشياء، والتعبير عن موقفها تجاهها، علماً أنّ هذه العملية تتصل كثيراً بالموقف الشعوري الذي تحياه الشاعرة، وهي بقدر غرابتها قد تهزّ وجدان المتلقي، وتلامس شعوره، فيقبل على النص الشعري، ليُعاین بنفسه التجربة الشعورية التي عاشتها صاحبة القصيدة<sup>(١)</sup>. والذي لا جدال فيه، أن هذا اللون من الخطاب، يستوجب خيالاً شعرياً خصباً، وقدرة فائقة على الابتكار، ذلك لأن الشاعرة، في خطابها للأشياء تنفي عنها سماتها الأصلية وتكسبها أخرى، بحيث لا تغدو خرساء، وإنما نابضة بالحياة وقادرة على مقاسمتها عبئ التجربة الأليمة، وما كان ليتأتى لها ذلك، لولا الأسلوب المجازي الذي أسعفها في تنويع خطابها الشعري.

فالشاعرة في مخاطبتها للعين ، توظف أسلوب النداء ، وكأنها تدعو إنسانا ذا عقل ، وقلب من أجل لفت انتباهه.

لست أبكي فراق عيني لعيني إنما خشيتي لأن لا أراكا<sup>(٢)</sup>

وهذا مجاز مرسل علاقته الآلية : ذكرت عيني وأرادت " بصري " للدلالة عن مصيرها وهي النار إذا لم يكتب لها رؤية المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى إذ لا يراه إلا أهل الجنة من الصديقين والشهداء والأبرار.

وبعد الحديث عن المجاز واعتبار الاستعارة جزءاً منها لذا لا بد من تعريف الاستعارة وبيانها في شعر النساء الصوفيّات.

### ٣- الاستعارات:

تناول النقاد والبلاغيون القدماء موضوع الاستعارة بالشرح والتحليل مبينين جماليات استعمالها داخل النصوص الأدبية فعرفها الجرجاني بقوله: الاستعارة "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"<sup>(٣)</sup>.

(١) ربابعة، موسى: تشكيل الخطاب الشعري، دار جريب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٢.

(٢) ابن عربي: الكوكب الدري، ص٢٧١.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر ، أسرار البلاغة، ص٣٠.

وعرفها الجرجاني بقوله: "الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة، فجعلت في مكان غيرها وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر" (١). وقد شغلت الاستعارة مكاناً واسعاً في شعر النساء الصوفيات ويمكن التذليل على وجود الاستعارة:

وقولها في موضع آخر:

اجعل لنفسك في الليالي نبهة  
تُنبهك من خلل المنام قياماً (٢)

حيث أنها قد جسّدت النفس وجعلتها كائناً بشرياً ينبه ولا ينام ويبقى طوال الليل قائماً وهذه دعوة صادقة إلى الالتزام بقيام الليل والتهجد فيه وذكر المولى عز وجل وطرد النوم لأنه ملهاة وخسران مبين.

بقول رابعة العدوية:

فالجسم مني للجليس مؤانسٌ  
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي (٣)

حيث شبّهت العابدة الجسم بإنسان يؤانس من حوله وهو على سبيل الاستعارة المكنية وسر جمالها التجسيم وإبراز معنى.

"قال يحيى بن بسطام: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه؛ ما أشد العمى على من كان بصيراً! فسمعته عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب -والله- عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها" (٤).

إذ نلاحظ من خلال النص النثري السابق أن الإستعارة تظهر من خلال قول عفيرة العابدة عمى القلب أشد من عمى العين عن الدنيا، وهنا الأستعارة وهي مكنية، إذ إن من يُعمى قلبه في الدنيا عن ذكر الله تعالى والابتعاد عن فرائضه وارتكاب الخطايا التي تغضب الله سبحانه وتعالى أكبر من عمى العين في الدنيا لأن أعمى البصر لا يكون أعمى البصيرة ويكون ملتزماً بتعاليم الله سبحانه وتعالى وملتزماً بعبادته وتكون نهايته الفوز بالجنان أما أعمى القلب فتكون نهايته غضب الله ونار جهنم التي تنتظره.

وقولها في موضع آخر:

(١) القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ص ٢٧٧.  
(٢) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨١.  
(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩.  
(٤) المصدر السابق: ص ٧١١.

بالله يا ريح الصبا      مري على تلك الريا  
وبلغي رسالتي      بنصها أهل قبا

واحرى وهل يـرد      د فائتا واحريا (١)

ففي البيت الأول والثاني شبهت رابعة الريح بإنسان يوصل جميع الرسائل بنصها وكأنها إنسان يتكلم ويبوح ما عنده من أقاويل وأسرار وهذا النوع فيه تجسيد للرياح من حيث إبراز المعنى الذي تقصده الشاعرة

وتظهر الاستعارة كذلك في قول جارية سوداء:

لك علمٌ بما يجن فؤادي      فارحم اليوم ذلتي وانفرادي (٢)

ففي البيت السابق نجد أنها شبهت الفؤاد بإنسان يُجن وحذف المشبه به وجاء بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية وقد أوضحت هذه الصورة الحزينة الويلات التي تلاقىها الشاعرة من انفرادها وبعدها عن المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى.

ويمكن التدليل على وجود الاستعارة كذلك في قول امرأة في الطواف بقولها:

رأيت الهوى حلواً إذا اجتمع الوصل      ومراً على الهجران لا بل هو القتل

ومن لم يذق للهجر طعماً فإنه      إذا ذاق طعم الهجر لم يذر ما الوصل (٣)

حيث شبهته بشيء يؤكل ، وحذفت المشبه به وذكرت شيئاً من لوازمه وهو الذوق على سبيل الاستعارة.

وقول ريحانة:

بوجهك لا تعذبني فإني      أوُمَّل أن أفوز بخير دار

مُنجّدة مزخرقة العلالِي      بها المأوى ونعم هي القرار

وأنت مجاور الأبرار فيه      ولولا أنت ما طاب المزار (٤)

ويظهر من خلال القول السابق: بأن قول الشاعر بخير دار وهي استعارة تصريحية للدلالة على النعيم وهي الجنة .

ومن أمثلة النثر النسوي الصوفي على الاستعارة يظهر من خلال قول حبيبة العدوية:

(١) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني : روضة التعريق بالحب الشريف، تح محمد الكتاني، ط ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦٢.

(٣) المقدسي، ابن قدامة: المتحابين في الله، تح: خير الله شريف، ط ١، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م، ص ٩٤.

(٤) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨١

عن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا حلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت في ليلتي فأهني؟ أم رددتها علي فأعزى؟ فوعزت لك لهذا دأبي ودأبك أبدأ ما أبقيتني، وعزت لك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك (١).

ففي النص السابق قولها "وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر"، نرى بأن حبيبة استعارت أحد صفات المخلوقات كالإنسان مثلاً بأنه يذهب ويأتي.

ويظهر كذلك في قول امرأة رياح القيسي في قولها:

"انما تزوجت رياحاً القيسي ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربيع الليل ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فقامت الربيع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فلم يقم فقامت الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم وليت شعري من غرني بك يا رياح.

قال: وقامت الربيع الباقي (٢).

وتظهر الاستعارة من خلال قولها وعسكر المحسنون إذا شبهت المحسن كالجندي الذي يقوم بواجبه لحماية الوطن طول الليل ساهراً من أجل حماية أرواح الأفراد وكذلك المحسن يتهدج ويسجد طوال الليل من أجل نيل رضى الله سبحانه وتعالى.

#### ٤- الكنايات :

وهي إحدى المفردات التي يتم بواسطتها تشكيل الصورة الجزئية في النص الشعري، وقد أولاها النقاد اهتماماً كبيراً نظراً للدور الذي تقوم به في النص والمتمثل في حض القارئ على استخراج المعاني المطلوبة، وقد عرفها القزويني بقوله: "اللفظ أريج به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" (٣).

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١٧.

(٣) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٤٥٦.

والكناية عند عبد القاهر الجرجاني "إثبات معنى المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه" (١).

ومن أمثلة الكنايات في شعر النساء الصوفيات قول رابعة الشامية:

وزادي قليلاً ما أراه مُبلغي اللزاد أبكي أم لطول مسافتي؟ (٢)

كناية عن طول العمر لدى الشاعرة وتتمنى الموت من أجل لقاء المحبوب.

حيث جاءت الكناية عن الجنة بلفظ خير الدار للفوز بها.

وتظهر الكناية في موضع آخر من خلال قول الشاعرة تحفة:

قد تهكَّتْ بحبك كيف لي فيه بقربك

فترقّق بفؤاد يشتكى شدة بُعدك (٣)

هذه كناية عن حبها للانتقال إلى المحبوب سبحانه وتعالى وهي الدار الآخرة.

وقولها في موضع آخر:

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه فأنت مولى الورى حقاً ومولاني (٤)

هذه كناية عن الإيمان بالله وحبّ الله تعالى الذي لا يظماً كل من يُسقى هذا الكأس.

وقولها في موضع آخر:

سقاه من محبته بكأس فأرواه المهيمن إذا سقاه (٥)

هذه كناية عن الإيمان بالله وحبّ الله تعالى الذي لا يظماً كل من يُسقى هذا الكأس.

وهذه بعض أمثلة الكنايات التي استخدمت في شعر الصوفية من النساء، وتظهر الكنايات

في نثر النساء الصوفيات من خلال قول عبيدة بنت أبي كلاب:

"عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمه الأفقم (وكان ينزل الطفاوة) قال: قلت

لعبيدة بنت كلاب: ماذا تشتهين، قالت: الموت، قلت: ولم؟ قالت لأنني والله في كل يوم أصبح

أخشى أن أجنبي على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة". (٦)

(١) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٦٦.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٨٥٩.

(٣) الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرفائق، ص ٤٦٦.

(٤) اليافعي: روض الرياحين، ص ١٣٣.

(٥) ابن عربي: الكوكب الدري، ص ٢٧٠.

(٦) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

وتظهر الكناية من خلال قولها في النص السابق " والله في كل يوم وأخشى أن أحني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة"، فهذه كناية عن خوفها من مصيرها عذاب جهنم جراء ما سنقترفه من ذنوب لذا تسعى العابدة أن تموت وربها راض عنها. وتظهر الكناية في قول لحبيبة العدوية :

" عن عبد الله المحكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا حلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك" <sup>(١)</sup>. إذ تظهر الكناية من خلال قولها: غارت النجوم ونامت العيون، حيث يدل على مجيء الليل وظلمته ولا يفلح به إلا من سجد وقام لله سبحانه وتعالى. وهذه بعض أمثلة الكنايات التي استخدمت في النثر الصوفي.

## ٥- التكرارات :

التكرار لغة هو الإعادة، وقد ورد في لسان العرب "وكرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى" <sup>(٢)</sup>.

وأما اصطلاحاً فقد ذكرت تعريفات عدة، دارت في مجملها حول صفة إعادة الكلام وترديده في العمل الفني، فقد عرفه ابن الأثير بقوله: "هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً كقولك لمن تستدعيه (أسرع أسرع)، فإن المعنى مردد واللفظ واحد" <sup>(٣)</sup>. وعند بعض المحدثين عرفه عز الدين السيد بقوله: "هو أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان" <sup>(٤)</sup>.

ونجد التكرار سمة بارزة في كثير من قصائد الشعر العربي، وهو إن كان صياغة ظاهرية في الشعر، إلا إنه قد يختزن في داخله (إن أحسنت صياغته) تعابير عن مكونات في نفس الشاعر وتفاعلات في بنية النص تفصح عن جوانب غنية تتوارى ما بين الكاتب ونصه. والتكرار "من الأساليب الكاشفة لما يقف خلف الكلام، ويتعلق بشخص المتكلم من تداعيات مختلفة" <sup>(٥)</sup>، ويأتي التكرار ليخدم جوانب موضوعية وفنية مختلفة، وإذا أحسنت صياغته ليخدم الموضوع والفن معاً، يكون الشاعر حقق نصه درجة من القوة والتميز.

<sup>(١)</sup> ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٠.

<sup>(٢)</sup> لسان العرب: مادة (كرر).

<sup>(٣)</sup> ابن الأثير، علي بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢، ص ١٢٩.

<sup>(٤)</sup> السيد، عز الدين علي: التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ط ٢، ص ١٣.

<sup>(٥)</sup> عاشور، فهد ناصر: التكرار في شعر محمود درويش، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ط ١، ص ١١٠.

وقد يسيء بعض الكتاب استعمال التكرار، فيأتي في غير موضعه، أو يأتي في صورة فجة تضعف من بنية النص وفنيته.

أما التكرار اللفظي أو الكلمي فنجده أكثر حضوراً في شعر الجارية المتعبدة بجبل المقطم، معاصرة لذي النون المصري من خلال قولها:

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواه أريد  
يا مُنيتي دون الأنام وبغيتي يا من له كلّ الأنام عبيد  
تقنى الليالي والزمان بأسره وهواك غَضٌّ في الفؤاد جديد (١)

كررت العابدة كلمة (الفؤاد) إذ تريد أن تبين من هذا التكرار مدى تمسكها بالمحبوب وحبها له فكلمة الفؤاد تدل على الحب لذا كررتها إمعاناً في لفت الانتباه.

ومما يبدو واضحاً كذلك أن الشاعرة كررت كلمة الأنام لتدل على أن محبوبها ليس من الأنام وإنما الخالق سبحانه وتعالى الذي يعبده كل الأنام.

وإذ نراها كذلك كررت اسم الموصول (الذي) الذي يعود على المحبوب سبحانه وتعالى وهذا يؤكد فكرة الزهد لدى الشاعرة.

ونرى التكرار أيضاً في شعر رابعة العدوية بقولها:

يا سروري ومُنيتي وعمادي وأنيسي وعُدَّتِي ومُرادي  
أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي  
أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما تشنَّتُ في فسيح البلاد  
كم بدت مئةً وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأيادي  
حُبُّك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبي الصادي  
ليس لي عنك ما حييتُ بَرَّاحٍ أنت مني مُمَكَّن في السواد  
إن تكن راضياً عليّ فإنني يا منى القلب قد بدا إسعادي (٢)

يمكن أن نصف هذا التكرار في الأبيات السابقة بالتكرار الطويل، فقد شغل هذا التكرار صدري الأبيات وعجزهما، وفي هذا تأكيد على شدة حبها للمحبوب، والله تعالى يحب العبد اللوح، وهو تأكيد على ما في نفسها من تكرار (كم) من إغراق بالنعمة والعطاء من قبل الخالق.

## ٦- الإيقاع الشعري والإيقاع النثري:

"بنية الإيقاع من البنى المركزية والجوهرية والأسلوبية التي تنهض القصيدة العربية على أساسها" (٣).

(١) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١٣.

(٢) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.

(٣) القصيري، فيصل صالح، بنية القصيدة في شعر عزالدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ١٩١.

وقد بدأ اهتمام النقاد قديماً بشكل كبير في تناولهم للموسيقى الشعرية من خلال تناولهم للوزن والقافية بالدرس والتحليل حيث شكل هذان العنصران الموضوع الوحيد لدراسة الموسيقى قديماً، فكان الوزن والقافية بين الشعر والنثر، كما لم يخف على النقاد الأوائل ما تضيفه الكلمات المسجوعة من رونق خاص يمثل نوعاً جديداً من الموسيقى التي يمكن تسميتها بالموسيقى الداخلية فبرز اهتمامهم بعلم البديع لما يضيفه من جمال إلى قوام القصيدة العربية، مستمداً ذلك من النثر الذي يهتم اهتماماً كبيراً بعلم البديع.

ورغم التزام الشعراء عقوداً طويلة بقوانين علم العروض وتقيدهم بالشكل التقليدي للقصيدة العربية إلا أن روح التغيير بدأت تسري في عروقهم للخروج عن هذا النظام مع عدم التكرار له للتعبير عن مرادهم دون التقيد بالشكل الجديد فكان شعر التفعيلة، وقد انتبه الشعراء المعاصرون إلى ضرورة تنمية موسيقى الشعر العربي فعمدوا إلى التنويع في القوافي وعدد التفعيلات "دون مبارحة الإيقاع المنتظم"<sup>(١)</sup>، ورغم هذه الثورة الجديدة وسريانها في أوساط الشعراء العرب إلا أن الوزن الشعري بقي محتفظاً بأهميته في التفريق من خلاله بين الشعر والأجناس الأدبية الأخرى وخاصة ما يسمى "قصيدة النثر"، فالوزن يعطي القصيدة الثبات الإيقاعي والوزن بشكل عام أو الموسيقى في القصيدة القديمة أو الجديدة، ترتبط بالشعر ارتباطاً عضوياً قوياً.

فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغماً أسراً مؤثراً، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم، وينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر، فالشعر نغم وإنشاد<sup>(٢)</sup>. ومع ما يشعر به الشعراء بما يفرضه الوزن القديم من قيود اعتمد الشعراء على وحدة التفعيلة في قصائدهم بدلاً من وحدة التفعيلة في البيت وقد لاقى هذا التطور ترحيباً كبيراً في أوساط النقاد حيث اعترفوا به وتعاملوا معه.

لكن الوزن في القصيدة العمودية ما يكون تاماً ويكون تمامه بخلوه من الزحافات والعلل، ومنه أيضاً ما يكون مصاباً ببعض الزحافات والعلل أو بالزيادة أو النقص في عروضه أو ضربه حسب القواعد المحددة لعلم العروض. "فالوحدة الموسيقية التي تتمثل فيها التفعيلة وما يحدث في بنيتها من تنويع بالزحاف والعلل يؤدي إلى كسر الرتابة التي تنشأ من التكرار المطلق ويؤدي إلى إيجاد تنويع إيقاعي"<sup>(٣)</sup>.

(١) عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط٢، ١٩٩٢م، ص١٨.

(٢) عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٦.

(٣) أبو ديب، كمال: جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ص٧٧.

وقد نُظمت معظم قصائد النساء الصوفيّات على معظم بحور الخليل بحيث جاء استخدام البحور التي تكون متوافقة مع طبيعة الموضوع الذي يتناوله.

فمثلاً جاء استخدام البحور ذات التفعيلات الطويلة بما يتوافق والجو النفسي لهن. وفي السياق نفسه يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "إن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النَّبْضَاتِ القلبية." (١)

لنلاحظ هذه الأبيات من البحر الخفيف حيث تقول رابعة فيها:

يا سُروري ومُنيتي وعمادي	وأنيسي وعدّتي ومُرادي
أنت روحُ الفؤاد أنت رجائي	أنت لي مؤنسٌ وشوقك زادي
كم بدت مئةً وكم لك عندي	من عطاء ونعمة وأيادٍ (٢)

هنا اختارت بحراً يتناسب وزنه وما بها من شجون فاختارت البحر الخفيف الذي يتكون من تفعيلات يشعر القارئ بطولها ليطمأنه مع شعور الشاعرة وما تحس به من شوق وحب. كما أن شيوخ حروف المد في أرجاء المقطوعة يعطي نوعاً من الاسترخاء والطول بما يتناسب والآهات الصادرة من الشاعرة مما يكتف دلالة الشوق.

"إن المد فيه استرخاء ومطولة غير السكون؛ لأنه وقف مع المد واللين يمتد النفس أكثر حتى ينقطع في بطن عند الحرف الذي يليه، وهذا أنسب لمقام الحزن المحض، والألم النفسي القاتل." (٣)

وإن استعمال تفعيلات البحر التي تشع حزناً جاءت متوافقة مع الجو النفسي للشاعر حيث منحت تفعيلات القصيدة نوعاً من الفتور والاسترخاء بما يتناسب مع حالة الشاعر النفسية إضافة إلى ما أضفته حروف اللين من حزن ومرارة، "فحروف اللين تشكل موسيقى الصورة التي تعبر عن حالة الشاعر المفعمة بالحزن والمرارة." (٤)

وهذا التوافق بين الأوزان والتفعيلات والبحور الشعرية إضافة إلى شيوخ بعض الأصوات الخاصة في أرجاء القصيدة بما يتوافق مع ما يجول في النفس ليشكل مظهراً بارزاً من مظاهر

(١) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، الأنجلو لمصرية، القاهرة، ط٢، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) الحريفش: الروض الفائق، ص ١١١.

(٣) صبح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٤٥.

(٤) صبح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية، ص ٢٤٨.

البنية الإيقاعية للقصيد العربية حيث أنها، تأتي مواكبة لتجربة الشاعر وحساسيته اتجاه المواقف فالشاعر يتحرك نفسياً وموسيقياً على وفق الحركة التي تموج به نفسه<sup>(١)</sup>. وهذا يتناسب مع قول ريحانة:

يا حبيب القلوب أنت حبيبي      لم تزل أنت يا مناي سروري<sup>(٢)</sup>

وقد استخدمت هنا البحر المديد وهو من البحور قليلة الاستعمال بعكس البحر الطويل الذي يعد من بحور الشعر العربي استخداماً في عصور ازدهار القصيدة العمودية وقد استخدمت رابعة العدوية هذا البحر من خلال قولها:

إني جعلتك في الفؤاد مُحَدَّثِي      وأبَحْتُ جسمي من أرد جُلُوسي  
فالجسم مني للجليس مُؤانسٌ      وحبیبُ قلبي في الفؤاد أنيسي<sup>(٣)</sup>

إذ استخدمت رابعة العدوية، جلوسي وأنيسي مكررة صوت السين في الاستثناس وحديث القلب.

ومما يبدو واضحاً كذلك أن القافية قد أولاهما النقاد القدامى اهتماماً كبيراً في كتاباتهم النقدية المتعلقة بها، فعرفوها بأنها آخر حرف في البيت، إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبله وعلى هذا تكون القافية مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين، والقافية الشريك الوحيد للوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية<sup>(٤)</sup>، ويمكن تعريفها أيضاً بأنها "المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت"<sup>(٥)</sup>.

وقد انتقل هذا الاهتمام بالقافية للنقاد في العصر الحديث محط اهتمامهم في تحليل القصائد وكشف الدلالات للقوافي وبيان أسباب اختيار الشعراء لقافية معينة، وقد ذهب كثير من النقاد إلى وجود علاقة بين الموضوع واختيار الروي والقافية بعامة، لأنهما بمثابة الفاصلة الموسيقية التي تنتمي فيها قوة الإيقاع والتأثير.

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس في تعريف القافية وبيان أهميتها: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا

(١) عبد الجليل، حسني: موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ٧٨/٢.

(٢) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٢.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩.

(٤) ينظر (ابن رشيق)، العمدة، ١٥٩/١.

(٥) عتيق، عبد العزيز: علم العروض والقافية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٤٣.

التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدّ عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن" (١).

فالقافية المطلقة ما كان رويها متحركاً (٢)، والمقصود بالمتحركة هنا أن يكون حرف الروي حركاً بالحركات القصار الكبيرة والضمّة والفتحة أو بالحركات الطويلة المشبعة مثل الألف والواو والياء، كما يعتبر ما وصل بها الوصل من القافية المطلقة (٣).  
ومن أمثلة القوافي المطلقة قول تحفة المجنونة:

يا سرور السرور أنت سروري      يا حياة النفوس أنت حُبوري  
أنت ناري وجنتي ونعيمي      وأنيسي وأنت نور النور (٤)

أما القافية المطلقة وهي ما كان رويها ساكناً (٥)، وقد أبرز هذا النوع من القوافي حالة السكون التي صاحبت الشاعرات في تجربتهن الشعرية.  
ومن خلال تتبع شعر الشاعرات نجد هذا النوع من القافية المطلقة عند الشاعرة ريحانة المجنونة المعاصرة لصالح المرّي:

أنت أنسي ومُنيتي وسروري      قد أبقى القلب أن يحبّ سواكا  
يا عزيزي وهمتي ومُرادي      طال شوقي متى يكون لفاكا  
ليس سؤلي من الجنان نعيماً      غير أنني أريدها لأراكا (٦)

ويعتبر التنويع في القوافي من أهم سمات التجديد في القصيدة العربية حيث يتم فيه كسر رتابة القافية ومفاجأة القارئ أو السامع بنغم موسيقي جديد يدفع عنه الملل والسأم من تتابع التكرار لروي محدد هذا التلوين والتنويع في القوافي لا يقيد الشاعر بمفردات معينة يمكن أن تكون بمنأى عنه، أو تبخل عليه لغته ببعضها، بل يعطيه هذا التنويع القدرة على استخراج أقصى طاقات اللغة والانتفاع بدورها الكامنة عن طريق هذا التنويع.

وتجدد القوافي دليل على تجدد وسرعة أو بطء الدفقة الشعرية للشاعر فبعض الدفقات الشعرية يلزمها قافية معينة مثل القوافي الساكنة في حالات الحزن والحب والأسى والقوافي المطلقة في حالات أخرى مما لا تقدمه القافية الموحدة للأبيات من قدرة على التعبير عما يجول في نفس الشاعر.

(١) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، ص ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، ص ١٦٥.

(٤) الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

(٥) عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ١٦٥.

(٦) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

"والشعر العربي الملتزم بالشرطين المتمسك بالعروض الخليلي، لم يتجمد عند القالب الواحد الملتزم بالقافية الواحدة، بل تعددت قوالب هذا الشعر الموسيقية"<sup>(١)</sup>.

وقد عمد شاعر الصوفية إلى التنويع في القوافي في القصيدة الواحدة وتسخيرها للتعبير عما يجول في صدره، فأحياناً نراهم يبدأون بقافية معينة توحى بالبطء والخمول والهدوء مما يمكن التعبير عنه بأنه إحدى إفرازات الحزن والأسى، ونراهم في زيادة سرعة القافية لخدمة فكرتهم التي يطرحوها في قصائدهم.

ويمكن تلمس مظاهر هذا التنويع في القوافي في قول تحفة المجنونة:

يا سرور السرور أنت سروري	يا حياة النفوس أنت حُبوري
أنت ناري وجنتي ونعيمي	وأنيسي وأنت نور النور
كم ترة يصبر المحب على البعد	وكم يلبث الهوى في الصدور <sup>(٢)</sup>

وقول رابعة العدوية:

يا سروري ومنيتي وعمادي	وأنيسي وعُدَّتِي ومُرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي	أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي	ما تشنتُ في فصح البلاد
كم بدت منةً وكم لك عندي	من عطاء ونعمة وأيادي
حبُّك الآن بغيتي ونعيمي	وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حبيت براح	أنت مني ممكن في السواد
إن تكن راضياً عليّ فأني	يا منى القلب قد بدا إسعادي <sup>(٣)</sup>

وفي المقطع السابق تنويع في القوافي، والتنويع يشعرنا بأهمية الكلمة التي تحتويها، "فكلمات القافية في الشعر الجيد ذات معانٍ متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية بل تكون هي المجلوقة من أجله، ولا ينبغي أن يؤتى بها لتنتمه البيت بل يكون معنى البيت مبنياً عليها، ولا يمكن الاستغناء عنه فيه، وتكون كذلك نهاية طبيعية للبيت، بحيث لا يسد غيرها مسدها"<sup>(٤)</sup>.

(١) عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص ١٩٩.

(٢) الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

(٣) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.

(٤) عبد الرحمن، ممدوح: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ١١٩.

## الإيقاع الموسيقي الداخلي:

يعتبر الإيقاع الداخلي من العوامل الهامة والمؤثرة في بناء القصيدة العربية القديمة، فالموسيقى الداخلية لها دور كبير في تكيف الوزن الشعري حسب الحالة النفسية للشاعر، فهو يشيع في الصورة نوعاً من الاتساق والمواساة<sup>(١)</sup>.

وينبع الإيقاع الموسيقي الداخلي من عدة أمور يساهم كل منها في تأدية دوره لإبراز القصيدة في حلة زهية من الموسيقى المؤثرة في السامع أو القارئ والمعبرة في نفس الوقت عن تجربة شعورية فريدة كما لا يمكن إغفال دور كل من اللفظ والمعنى في البناء الإيقاعي للقصيدة إن تلاؤم اللفظ مع المعنى أحد مقومات الموسيقى الداخلية بحيث ينسجم الغرض مع شكله، بحيث يكون هناك نوع من التلاؤم والانسجام والتآلف بين الألفاظ والمعاني<sup>(٢)</sup>.

وقد عمدنا إلى الحديث عن التصريح الذي يعد من الموسيقى الداخلي في الشعر العمودي.

فالتصريح "هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته"<sup>(٣)</sup>.

وقد جعله قدامه بن جعفر من النعوت الخاصة بالقوافي واشترط في هذه النعوت أن تكون القافية "عذبة الحرف، سلسلة المخرج، وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول مثل قافيتها... وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره<sup>(٤)</sup>، والتصريح أيضاً في غير موضع من القصيدة دليل على قوة الطبع وكثرة المادة<sup>(٥)</sup>، كما أن التصريح يمثل "حالة من الهدوء بعد انفعال نفسي شديد... ويحقق رنة موسيقية منبهة، ذلك أن صمت نهاية الشطر الأول يتساوى مع الشطر الثاني"<sup>(٦)</sup>.

وقد عمدن شاعرات الصوفية إلى هذا اللون من الموسيقى الداخلية في قصائدهم ويمكن

تلمس هذا التوظيف في قول رابعة الشامية:

وزادي قليلاً ما أراه مُبْلِغِي      اللزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي فيك، أين مخافتي<sup>(٧)</sup>

(١) صبيح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٣) القيرواني، ابن رشيقي: العمدة، ١/١٨٤.

(٤) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفجي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٨٦.

(٥) القيرواني، ابن رشيقي: العمدة، ١/١٨٥.

(٦) أبو شريفة، عبد القادر: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٧٩.

(٧) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩.

حيث صرعت الشاعرة البيت الأول في المقطوعة ويبرز التصريح بين مُبْلِغِي، مسافتي محدثاً نغمًا موسيقيًا ملموساً ذا تأثير كبير على السامع، ويعد هذا النوع من التصريح صاحب المرتبة الأولى، حيث يستقل كل بيت فيه بمعناه دون الحاجة إلى البيت الآخر. وفي موضع آخر قول جارية مجهولة:

إلهي لا تعذبني فإنني      مُقِرٌّ بالذي قد كان مئّي  
فكم من زلة لي في الخطايا      غفرت وأنت ذو فضل ومنّ  
يظن الناسُ بي خيراً وإني      لشر الناس إن لم تعفُ عنيّ  
ومالي حلة إلا رجائي      لعفوك إن عفوت وحسنُ ظنيّ (١)

حيث صرعت في البيت الأخير في المقطوعة ويبرز التصريح بين رجائي وطني، محدثاً نغمًا موسيقيًا له تأثير على السامع وهو ما يسمى ذلك التصريح بالتصريح الكامل. ومن الأنواع الأخرى التي تهتم بالموسيقى الداخلية رد العجز على الصدر وهو ما يسمى بالتصدير وهو "أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك، وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده مائبة وطلاوة (٢)، وهو أحد فنون علم البديع يكسب البيت رنة موسيقية خاصة ويلفت نظر المتلقي إلى أوائل الأبيات وأواخرها بهدف إقامة العلاقة بين المكررين وهذا اللون كثير منه قد يظهر من خلال قول ريحانة:

ويلي لذنبي في كتابي ويلي      ويلي إذا نودي باسمي ويلي  
ويلي إذا قيل خذوها ويلي      ويلي إلى النار مصيري ويلي (٣)

وفائدة التصدير ردّ في البيت السابق هنا الرنة الموسيقية الواضحة عند لفظ الكلمتين (ويلي) في اول البيت وآخره إضافة إلى لفت نظر المتلقي إلى المقصود من هذه الكلمة المكررة التي تمثل رمزاً لوم النفس للذنوب المرتكبة.

وعلاوة على ذلك فإن الشاعرات الصوفيّات من خلال المقطوعات الشعرية قد استخدمن أكثر البحور لوعة واشتياقاً وفيها الكثير من الحزن.

إذ وظفت الشاعرات الأساليب بأنواعها في القصائد، حيث خرجت القصائد والمقطوعات بحلية بهية زاهية فقد أثرت الأساليب وتنوعها في بناء القصائد وتأكيد دلالتها.

(١) اليافعي: روض الرياحين، ص ١٢٩.

(٢) القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ٣٣٧/١.

(٣) النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٤.

وكذلك استخدامهن للتصريح في الشعر والتصدير لما لهما من دور في خلق موسيقى داخلية من خلال توظيفهن لبعض المفردات البلاغية والتي لها تأثير على المتلقي من خلال انتقاء الأصوات المناسبة المتناغمة مع معنى القصيدة والمعبرة عن الجو النفسي المسيطر عليه ومما يبدو واضحاً كذلك من استخدام للتشبيهات واستعارات وكنائيات وغيرها التي تشكل الصورة الجزئية في الشعر.

## الفصل الرابع

### ملحق بنصوص الأدب النسوي الصوفي

أولاً: شعر النساء الصوفيّات .

١- رابعة العدوية : من النساء العابدات الزاهدات الصوفيّات

تقول:

- ١- يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي
- ٢- كم بدت منة وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأيدي
- ٣- أنت روح الفؤاد وأنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي
- ٤- أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما نشأت في فسيح البلاد
- ٥- حبك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبي الصادي
- ٦- ليس لي عنك ما حييت براح أنت مني ممكن في السواد
- ٧- إن تكن راضيا على فإني يا منى القلب قد بدا إسعادي

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١. بدوي: رابعة العدوية، ١٦١-١٦٢. درنيقة: معجم شعراء الحب الإلهي، ص ١٥٩، أعلام النساء العابدات، ص ٥٠. التنير: الشعراء من النساء، ص ٢١٦. والبيتان الأول والثاني منسوبين إلى ثوبان القرميسيني: في النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٢٥. نقلا عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيّات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*

وقالت أيضاً، حين تقدم الحسن البصري لخطبتها:

١. راحتني يا أخوتي في خلوتي وحببيي دائماً في حضرتي
٢. لم أجد لي عن هواه عوضاً وهواه في البرايا محنتي
٣. حيثما كنت أشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلتي

٤. إن أمت و جداً ومأثم رضا  
 ٥. يا طبيب القلب يا كل المنى  
 ٦. يا سروري وحياتي دائماً  
 ٧. قد هجرت الخلق جمعاً ارتجي  
 واعناني في الورى وشقوتي  
 جد بوصل منك يشفي مهجتي  
 نشأتي منك وأيضاً نشوتي  
 منك وصلأ فهو أقصى منيتي

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص ١١١.

\*\*\*

ولها أيضاً:

- ١- إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي  
 ٢- فالجسم مني للجليس مؤانس وحبیب قلبي في الفؤاد أنيسي

.....

التخريج:

عبد القاهر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، عوارف المعارف، ملحق بذييل ج ٥ من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ص ١٤١، ص ٣٢٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٢٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ٣٧. ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٨٦. اليافعي، مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٨٢. ابن الجوزي، صفة الصفة، ص ٨٥٩، ونسبها لرابعة الشامية. نقلا عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

ولها أيضاً:

- ١- أحبك حبين، حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا  
 ٢- فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا  
 ٣- وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

٤- فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد ذا وذاكا

.....

التخريج:

المكي، قوت القلوب، ج٢، ص٥٧. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٢٨.  
الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج٤، ص٣٤٦-٣٤٥. ابن عربي، الفتوحات المكية،  
ج٢، ص٢٥٩. العاملِي الدر المنثور، ص٣٣١. الحسون، أعلام النساء المؤمنات، ص٣٤٤.  
أعلام العابدات الزاهدات، ص٤٩. مرتضى الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ج٩، ص٥٧٦-  
٥٧٧، ولها رواية أخرى في ج٩، ص٦٨٨ ينسبها لجارية معاصرة لذي النون. ونسبتها كذلك  
في: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٩، ص٣٤٨. وابن عربي، الكوكب الدرّي،  
ص٢٢١. الحريفيش، الروض الفائق، ص١١١. نقلا عن: (الرب الإلهي ولوازمه في شعر  
النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، أمين يوسف  
عودة).

\*\*\*\*\*

وقالت أيضاً:

- ١- كأسِي وخمري والنديم: ثلاثة وأنا المشوفة في المحبة: رابعه
- ٢- كأس المسرة والنعيم يديرها ساقِي المدام على المدى متابعه
- ٣- فإذا نظرتُ فلا أرى إلا له وإذا حضرتُ فلا أرى إلا معه
- ٤- يا عاذلي! إني أحب جماله تا الله ما أذني لعدلك سامعه
- ٥- كم بتُ من حُرقي وفرط تعلقي أجري عيوناً من عيوني الدامعه
- ٦- لا عبرتي تُرقا، ولا وصلي له يبقي ولا عيني القريحة هاجعه

.....

التخريج:

عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، ص١٧٣-١٧٤. (نقلا عن كتاب "شرح حال الأولياء"  
تصنيف عز الدين المقدسي، مخطوط رقم ١٦٤١ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس: شرح حال  
رابعة رضي الله عنها).

\*\*\*\*\*

## وقالت أيضاً:

- ١- صلاتك نوراً والعباد رقود ونومك ضد الصلاة عنيد
- ٢- وعمرك مُمنمٌ إن عقلت وقهله يسير ويفنى دائماً ويبيد

.....

### التخريج:

القاري: مصارع العشاق، ص ١٣٦. ومما ورد أن حورية من الجنة رافقت رابعة العودية في منامها وهي من أنشدت هذه الأبيات.

\*\*\*\*\*

## قيل لرابعة من أنتي؟ قالت: كنت أضرب الدف والطبل، فما سمع غيري:

- ١- بالله يا ريح الصبا مري على تلك الربا
- ٢- وبلغني رسالتي بنصها أهل قبا
- ٣- واحرباه هل يرد د فائتاً واحربا

.....

### التخريج:

انظر: ابن الخطيب السلماني، روضة التعريف بالحب الشريف، ج ١، ص ١٧٠. وانظر في خبر توبتها: قاشا، قديسة الإسلام رابعة العودية، ص ٦٣-٦٥.

\*\*\*\*\*

## وقالت:

- ١- أطاع الله قومٌ فاستراحوا ولم يتجرّعوا عُصص المعاصي

.....

### التخريج:

الشريشي: شرح مقامات الحريري، ج ٢، ص ٣٤٧.

\*\*\*\*\*

## ٢- ربحانة المجنونة:

### قالت:

- ١- من كان راكب يوم ليس يأمنه      وليله تائهاً في عقب دنياه  
٢- فكيف يلتذ عيشاً لا يطيب له      وكيف تعرف عين الغمض عيناه

.....

### التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٧٩.

\*\*\*\*\*

### وأنشدت أيضاً:

- ١- صبرت عن اللذات حتى تولت      وألزمت نفسي صبرها فاستمرت  
٢- وكانت على الأيام نفسي عزيزةً      فلما رأيت عزمي على الذلّ ذلت  
٣- وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى      فإن أطعمت تاقت وإلا تسالت

.....

### التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٧٩-٢٨٠.

\*\*\*\*\*

### ولها أيضاً:

- ١- وما عاشق الدنيا بناج من الردى      ولا خارج منها بغير غليل  
٢- فكم ملكٍ قد صقر الموت بيته      فأخرج من ظلٍ عليه ظليل

.....

### التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

\*\*\*\*\*

## وقالت :

- ١- قام المحبُّ إلى المؤمل قومه  
٢- لا تأنس بمن توحشك نظرته  
٣- واجهد وكِد وكن في الليل ذا شجن  
٤- ذهب الظلام بأنسه وبإفسه
- كاد الفؤادُ من السرور يطير  
فئمنع من التذكار في الظلام  
يسقيك كأس وداِد العزِّ والكرم  
ليت الظلام بأنسه يتجدد

.....

## التخريج:

البيت ١، في ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٤. والأبيات (٢-٤) ص ٧٢٥.

\*\*\*\*\*

## وقالت :

- ١- أنت أنسي ومُنيتي وسروري  
٢- يا عزيزي وهمتي ومُرادي  
٣- ليس سؤلي من الجنان نعيماً
- قد أبقى القلب أن يحبَّ سواكا  
طال شوقي متى يكون لقاكا  
غير أني أريدها لأراكا

.....

## التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠، وللأبيات رواية أخرى فيه، ينسبها إلى عباس الشامي، معاصر لصالح المرّي، ص ٢٥٨ بزيادة بيت في مطلعها هو:  
ياحبيب القلوب من لي سواكا ارحم اليوم مذنباً قد أتاك. وهي كذلك في: أبو نعيم الأصفهاني:  
حلية الأولياء، ج ١، ص ١٤٥، وفي: ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٨٦، من غير (البيت ٢). وبالرواية السابقة م غير الزيادة لريحانة في: السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٣٨. الجامي: نفحات الأنس، ج ٢، ص ٨١٥. ونسبت إلى جارية عتاب الكاتب بزيادة البيت المذكور في: ابن عربي: الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٥٩. ونسب إلى امرأة في: روض الرياحين، ص ١١٧-١١٨. السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٣٨. نقلاً عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب التسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*\*\*

ولها أيضاً:

- ١- حسب المحب من الحبيب بعلمه إن المحبّ ببابه مطروح
- ٢- والقلب أن تنفس في الدجى بسهام لوعات الهوى مجروح

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

\*\*\*\*\*

وأشدت أيضاً:

- ١- بوجهك لا تعذبني فإني أوْمَل أن أفوز بخير دار
- ٢- منجدة مزخرفة العلامي بها المأوى ونعم هي القرار
- ٣- وأنت مجاور الأبرار فيها ولولا أنت ما طاب المزار

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١. البيتان (١،٣)، في ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٧٢٤. في البيت الأول إقواء.

\*\*\*\*\*

وقالت أيضاً:

برى أعظمي شوقي فأوهن قوتي وحالفتُ أحزاني فهاج رقادي

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١

\*\*\*\*\*

## وأُنشِدت أيضاً:

- ١- اجعل لنفسك في الليالي نبهة      تتبهك من خلل المنام قيام
- ٢- وأنس إلى طول القيام مخلداً      واترك لذاذ النوم والأحلام

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

\*\*\*\*\*

**وقالت :**

- ١- تعود سهر الليل      فإن النوم خسـران
- ٢- ولا تركز إلى الذنب      فإن الذنب نيران
- ٣- وكن للوحي درّاساً      وللقراء أخصدان
- ٤- إذا ما الليل فاجأهم      فهم في الليل رهبان
- ٥- يميلون كما مال      من الأرياح أغصان

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٢.

\*\*\*\*\*

**وقالت:**

- ١- أرى الدنيا لمن هي في يديه      عذاباً كلما كبرت لديه
- ٢- تهين المكرمين بها بصغر      وتكرم كل من هانت عليه
- ٣- إذا استغنيت عن شيء فدعه      وخذ ما كنت محتاجاً إليه

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٣.

\*\*\*\*\*

**وقالت :**

١- يا حبيبَ القلوب أنت حبيبي      لم تزل أنت يا مناي سروري

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٢.

\*\*\*\*\*

**قالت :**

١- ويلي لذنبي في كتابي ويلي      ويلي إذا نودي باسمي ويلي

٢- ويلي إذا قيل خذوها ويلي      ويلي إلى النار مصيري ويلي

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٤.

\*\*\*\*\*

**٣- زينب الطبرية :**

**قالت :**

١-      صلاتك نور والعباد رقود ... قومي فصلي للغفور الودود

.....

التخريج:

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥١. ورد أن هذا البيت، قيل لها في المنام.

#### ٤- عثامة بنت بلال بن أبي الدرداء ، قالت:

- ١- أعثامُ مالكٍ لاهيئه حلتُ بداركٍ داهيه
- ٢- إبكي الصلاة لوقتها إن كنت يوماً باكيه
- ٣- وابكي القرآن إذا تلي قد كنت يوماً تاليه
- ٤- تتلنيه بتفكر ودموع عينك جاريه
- ٥- فاليوم لا تتلنيه إلا وعندك تاليه
- ٦- لهفي عليك صباية ما عشت طول حياتيه

.....

#### التخريج:

الأبيات (١-٤+٦) ذكرت في السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٤٦. ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٨٥٧. ابن حنبل: الزهد، ص ١٤٠. ابن الجوزي، التبصرة، ج ٢، ص ٢٣٠.

\*\*\*\*\*

#### ٥- ميمونة السوداء:

#### قالت:

١. يا واعظاً قام لاحتساب يزجر قوماً عن الذنوب
٢. تنهى وأنت السقيم حقاً هذا من المنكر العجيب
٣. لو كنت أصلحت قبل هذا غيك أو تبت من قريب
٤. كان لما قلت يا حبيبي موقع صدق من القلوب
٥. تنهى عن الغي والتمادي وأنت في النهي كالمريب

.....

#### التخريج:

ابن الجوزي، صفة الصفة، ص ٦٠٥-٦٠٦. داود بن عمر الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ص ١٧-١٨. ابن رجب، لطائف المعارف، ص ١٨.

\*\*\*\*\*

#### ٦- رابعة ( الشامية ) بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري.

- ١- حبيب ليس يعدله حبيب  
٢- حبيب غاب عن بصري وشخصي

- ولا لسواه في قلبي نصيب  
قلبي حبيب لا يغيب

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩. ابن الجوزي: التبصرة، ص ٣٠٢. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٣٤٩.

\*\*\*\*\*

وقالت:

- ١- ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي  
٢- فالجسم مني للجليس مؤانس

- وأبحت جسمي من أراد جلوسي  
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩. ابن الجوزي: التبصرة، ص ٣٠٢. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٣٤٩.

\*\*\*\*\*

وقالت أيضاً:

- ١- وزادي قليل ما أراه مبلغي  
٢- أتحرقني بالنار يا غاية المنى

- أللزد أبكي، أم لطول مسافتي؟!  
فأين رجائي فيك، أين مخافتي!؟

.....

التخريج:

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩. اليافعي: روض الرياحين، ص ١٩١. الجامي: نفحات الأنس، ج ٢، ص ٨١٩. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٣٥٠، وفيه أيضاً البيت الثاني ورد في: ج ١٧، ص ٢٢٩، لشاب حسن الوجه متعلق بأستار الكعبة قاله ضمن مقطوعة من خمسة أبيات، وهو الخامس. نقلاً عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب التسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*\*\*

وقالت:

- ١- تعصي الإله وأنت تظهر حبه  
٢- لو كان حبك صادقاً لأطعته

- هذا محال في الفعال بديع  
إن المحب لمن أحب مطيع

.....

التخريج:

السهروردي: عوارف المعارف، ص ٣٢١. وفيه: أنشدت رابعة. وفي ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٩، ص ١١٨، لرابعة بنت إسماعيل {الشامية} زوج أحمد بن أبي الحواري. ونُسب البيتان إلى عبد الله بن المبارك في: إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٤٩.

\*\*\*\*\*

٧- حيونة :

قالت:

١- يا ذا الذي وعد الرضى لحبيبه أنت الذي ما أن سواك أريد

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص: ٢٨٧.

\*\*\*\*\*

وقالت:

١- إن كنت تعلم أنني بك واله فاصرف سموم الشمس عني سيدي

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٧.

\*\*\*\*\*

وقالت:

١- خوالص أسرار ضوامر أعظم بليّنَ وباقي وحدهن جديدُ

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٨.

\*\*\*\*\*

## وقالت أيضاً:

- ١- وليس للميت في قبره فطر ولا أضحي ولا عشر
- ٢- بان من الأهل على قبره كذلك من مسكنه القبر

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٩.

\*\*\*\*\*

## ٨- آسية :

- ١- قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ما طول صمتي من عي ومن خرس
- ٢- الصمتُ أحمدُ الحاليين عاقبة عندي وأحسن بي من منطق شكس
- ٣- قالوا وأنت مصيب لست ذا خطأ فقلت هاتوا أروني وجه معتبس
- ٤- أنشر البز<sup>١</sup> من ليس يعرفه أم أنثر الدرّ بين العمى الغلس<sup>٢</sup>

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٥.

١- البز: الثياب، ٢- الغلس : ظلمة آخر الليل.

\*\*\*\*\*

## ٩- عوسجة :

قالت:

- ١- سرائر كتمان يبوح بها الهوى واطهار وعد ما يراد سواه

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٣٠٠.

### وقالت:

- ١- إرضَ بالله صاحبياً
- ٢- صافيه الودّ شاهداً
- ٣- لا تورّد غير ذي الجلا
- وذر الناس جانبياً
- كنت أو كنت غائباً
- ل رفيقاً مصاحباً

### وقالت:

- ٤- جعل الظلام مطية لقيامه
- لينال وصلأ ما يريد سواه

### وقالت:

- ٥- قل للظلام وللسكون مع السرى
- كن كيف شئت فإنني أهواكا

### وقالت:

- ٦- ظهر البلاء بجسمه فأذابه
- ورمى الوداد فؤاده فتصدعا

### وقالت وهي حول بيت الله الحرام:

- ٧- طاب المقام له وطاب نعيمه
- في دار عدن والجليل يراه

### وقالت:

- ٨- يا ذا الذي طرب الفؤاد بذكره
- أنت الذي ما إن سواك أريد

### التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٣٠١-٣٠٢.

\*\*\*\*\*

### ١٠- جارية عابدة :

### قالت:

- ١- أما والذي قد قدر البعد بيننا
- ٢- وحكمو بالصبر دوني وخصتي
- ٣- وصيرني مهما شممت نسيمكم
- ٤- لقد ذاب قلبي من دموعي عليكم
- ٥- فياليت شعري هل على ما لقبته
- وعدّني بالشوق وهو شديد
- بحزن عليكم بيتدي ويعيد
- أشدّ لقلبي راحتي وأميد
- على أنه في النائبات جليد
- وكابدت من جور الفراق مزيد

- ٦- لئن عاد ذلك الوصل أو عاد بعضه وملمت إليه إني لسعيد  
٧- على أنها الأقدار قد تبعد الفتى قريباً وقد تدنيه وهو بعيد

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٢.

\*\*\*\*\*

### ١١- امرأة متعلقة بأستار الكعبة وتقول:

١. إليك حجي لا للبيت والحجر ولا طوافي بأركان ولا جدر  
ثم قالت أيضاً :  
٢. أستغفر الله مما كان من زللي ومن ذنوبي وتفريطي واصراري  
٣. يارب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت حبل الرجايا يا خير غفار

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٢.

\*\*\*\*\*

### ١٢- وقالت أخرى في الطواف أيضاً:

١. أتيتك أشتكى سقمي ودائي وعندك يامى قلبي دوائي  
٢. فلا أحد سواك إليه أشكو فيرحم عبرتي ويرى بكائي  
٣. فيا مولى الورى جد لي بعفو ومن بنظرة فيها شفائي

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

\*\*\*\*\*

### ١٣- وقالت أخرى في الطواف أيضاً :

١. ببابك ربي قد انخت ركائبي ومالي من أرجوه يا خير واهب
٢. سواك فجد لي بالذي أنت اهله لعطي من الأفضال أسي المواهب
٣. إذا لم أمت شوقاً إليك وحسرة عليك فلا بلغت منك مآربي

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

\*\*\*\*\*

### ٤- وقالت امرأة بالطواف أيضاً:

١. تعطف بفضل منك يا مالك الورى فانت ملاذي سيدي ومعيني
٢. لئن أبعدتني عن جنابك زلتي فإن رجائي فيك حسن يقيني
٣. وظني جميل أني منك أرتجي عوافك الحسنى فخذ بيميني

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

\*\*\*\*\*

### ٥- قالت جارية من عاقلات المجانين في البصرة:

١. زهد الزاهدون والعاقدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
٢. أسهروا الأعين القريحة فيه فمضى ليلهم وهم ساهرونا
٣. حيرتهم محبة الله حتى علم الناس أن فيهم جنونا
٤. هم ألبا دؤو عقول ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا

التخريج:

الأبيات ١-٤ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٧٢١. جعفر بن أحمد القاري: مصارع العشاق،

ج ١، ص ١٨٢.

\*\*\*\*\*

## وتقول:

١. إن إلهي لغني حميد لي كل يوم منه رزق جديد
٢. الحمد لله الذي لم يزل يفعل بي أكثر مما أريد

.....

## التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢١ . جعفر بن أحمد القاري: مصارع العشاق، ج ١، ص ١٨٣.

\*\*\*\*\*

## ١٦- عابدة من بيت المقدس تقول:

١. تزودّ قريناً من فعالك إنما قرين الفتى القبر ما كان يفعل
٢. وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن بغير الذي يرضى به الله تشغل
٣. فلن يصحب الإنسان من بعد موته إلى قبره إلا الذي كان يعمل
٤. ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

.....

## التخريج:

البيتان (١،٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٣٢ . ابن الجوزي: مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ص ٥١٥، وردت المقطوعة فيه مكتوبة على قبر.

\*\*\*\*\*

## ١٧- عابدة قالت:

- ١- يا مؤنس الأبرار خلواتهم يا خير من حطت به التزال
- ٢- من ذاق حبك لم يزل متلهجاً أحسن فأنت المحسن المفضل
- ٣- مالي سواك وأنت غاية مقصدي والكل أنت وما عداك ضلال
- ٤- أنست قلبي يا حبيبي والمنى يا من له الأنعام والأفضال

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢١٧. ورد البيت الأول وصدر البيت الثاني في: القاري  
البغدادي: مصارع العشاق، ج ١، ص ٢٧٤، في مقطوعة من ثلاثة أبيات قالتها جارية لقيها ذو  
النون على ساحل البحر.

\*\*\*\*\*

## ١٨- تحفة :

سمعها السري السقطي تقول:

- |                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| ١- أعيدك أن تغل يدي | بغير جناية سبقت    |
| ٢- تغل يدي إلى عنقي | وما خاننت ولا سرقت |
| ٣- وبين جوانحي كبد  | أحس بها قد احترقت  |
| ٤- وحقك يا منى قلبي | يميناً برة صدقت    |
| ٥- لئن قطعتها قطعاً | غراماً فيك ما نطقت |

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص ٢١٩.

\*\*\*\*\*

وقالت:

- |                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| ١- معشر الناس ما جننت ولكن  | أنا سكرانة وقلبي صاحي    |
| ٢- قد غللت يدي ولم آت ذنباً | غير هتك في حبه وافتضاحي  |
| ٣- انا مفتونة بحب حبيب      | لست أبغي عن بابه من براح |
| ٤- فصلاحي الذي رأيتم فسادي  | وفسادي الذي رأيتم صلاحي  |

.....

التخريج:

الحريفيش: ص ٢١٩. اليافعي: روض الرياحين، ص ١٤٨، حيث أورد اليافعي من المقطعة بيتين هما (١، ٣).

\*\*\*\*\*

ومما قالتها، عندما كاشفت السري السقطي:

- ١- تحقق حق الحق في نور باطني فأصبح قلبي للحبيب مصافيا  
٢- قدمت على وصف وصفت لسيدي وهل ينعت العبد الضعيف المواليا

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢١٩.

\*\*\*\*\*

وقالت:

- ١- يا من رأى وحشتي فأنسني بالقرب من وصله فأنعشني  
٢- يا ساكني لا خلوت من سكني دهري ويا عدتي على الزمن  
٣- أوحشني ما فقدت منه فقد عاد بأحسانه يقربني  
٤- وعاد أيضاً وجاد منعطفاً كذاك ما كنت حين عودني  
٥- حسبي من الكون من شغفت به أصحابه مؤنساً ويصحبني  
٦- وكنت في غفلة فنبهني وكنت في رقدة فأيقظني

.....

التخريج:

الحريفيش: ص ٢١٩-٢٢٠.

\*\*\*\*\*

وقالت أيضاً:

- ١- وحقك لا نقضت الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو ودا  
٢- ملأت جوانحي والقلبَ وجداً فكيف ألدُّ أو أسلو وأهدا  
٣- فيا من ليس لي مولى سواه تراك تركتني في الناس عبدا

.....

التخريج:

اليافعي: روض الرياحين، ص ١٤٩. الحريفيش: الروض الفائق، ص: ٢٢٠. الجامي:  
نفحات الأنس، ج٢، ص٨٢٨-٨٢٩.

### ومما قالته لسري :

- |                         |                     |
|-------------------------|---------------------|
| ١- خاطبني الحق من جناني | فكان وعظي على لساني |
| ٢- قرّبني من بعد بعدٍ   | وخصى منه واصطفاني   |
| ٣- أجبت لما دُعيت طوعاً | مليئاً للذي دعاني   |
| ٤- وخفت مما جنيت قدماً  | فوقع الحب بالأمانني |

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢٠. اليافعي: روض الرياحين، ص ١٤٩، الجامي: نفحات  
الأنس، ج٢، ص٨٢٩.

### ومما قالته أيضا :

- |                      |                   |
|----------------------|-------------------|
| ١- قد تصبرت إلى أن   | عيل في حبك صبري   |
| ٢- قد كتمت الوجد لكن | ليس يخفى عنك امري |
| ٣- ضاق من قيدي وعلی  | وامتهاني فيك صدي  |
| ٤- إن تكن عني راض    | لا أبالي طول دهري |
| ٥- أنت لي خير أنيس   | يا منى سؤلي وذخري |
| ٦- من ترى يعتق رقي   | ويفك اليوم أسري   |
| ٧- غيرك اللهم ربي    | أنت لي كاشف ضري   |

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ٢٢٠.

\*\*\*\*\*

### وقالت أيضا :

- ١- هربت منه إليــــــــه  
٢- وحقه وهو مــــــــولى  
٣- حتى أنال وأحضى
- بكيت منه عايــــــــه  
لا زلت بيــــــــين يديــــــــه  
ما أرتهجيه لديــــــــه

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

**وقالت :**

- ١- يا سرور السرور أنت سروري  
٢- أنت نــــــــارِي وجنتي ونعيمي  
٣- كم ترى يصبر المحب على البعد
- يا حياة النفوس أنت حُبوري  
وأنيسي وأنت نور النور  
د وكم يلبث الهوى في الصدور

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

\*\*\*\*\*

**وقالت:**

- ١- قد تهنتكُ بـجـبـك  
٢- فترقق بفؤاد  
٣- خبتِ يا نفس إذا آ  
٤- فسلي العفو جهاراً
- كيف لي منك بقربكُ  
يشتكى شدّة بعدك  
خـذك الله بذنبك  
والرضا من عند ربك

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١ .

\*\*\*\*\*

**وقالت :**

١. أفادني كل المنى  
٢. وقد أزال سيدي  
٣. إن لم يدركني بما
- وخص قلبي بالغنى  
عن باطني ثقل العنا  
أرجو وإلا من اننا

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص ٢٢١.

\*\*\*\*\*

وقالت:

- ١- محبٌ الله في الدنيا عليلٌ      تطاول سُقْمُهُ فدواه داه
- ٢- سقاه من محبته بكأس      فأرواه المهيمنُ إذا سقاه
- ٣- فهم بحبه وسمما إليه      فليس يريد محبوبا سواه
- ٤- كذاك من ادعى لله حبا      يهيم بحبه حتى يراه

.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدرّي، ص ٢٧٠. اليافعي: روض الرياحين، ص ١٥١. وفي ص ٣٨٠ منه، ورد البيتان (١، ٤) برواية مختلفة لجارية معاصرة لذي النون. والأبيات لتحفة في: الجامي: نفحات الأنس، ج ٢، ص ٨٣٠. وفي ج ٢، ص ٨٣٦ منه، البيتان (١، ٤) منسوبان إلى جارية معاصرة لذي النون بأختلاف طفيف. نقلا عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*\*\*

١٩- جارية في جبل المقطم سمعها ذا النون تقول بصوت ضعيف:

- ١- يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره      أنت الذي ما إن سواه أريد
- ٢- يا منيتي دون الأنام وبغيتي      يا من له كل الأنام عبيد
- ٣- تفنى الليالي والزمان بأسره      وهواك غض في الفؤاد جديد

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص ١١٣. البيت (١) لجارية متعبدة معاصرة لذي النون في: اليافعي، روض الرياحين، ص ٧٣. وفيه أيضا البيتان (١، ٣) لفتى متعبد، ص ٧٢.

\*\*\*\*\*

## ٢٠- امرأة عابدة سمعها الجنيد بالطواف تقول:

١. أبا الحب أن يخفى وكم كتمته فأصبح عندي قد أناخ ووطنبا
٢. إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره وان رمت قرباً من حبيبي تقرباً
٣. ويمنحني وصلاً فأحي ابه له ويسكرني حتى أذ وأطربا

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائنض، ص ١١٤.

\*\*\*\*\*

وقالت أيضاً :

- ١- لولا التقى لم ترني أهجر طيبَ الوسن
- ٢- إن التقى شردني كما ترى عن وطني
- ٣- أفرُّ من وجدي به فحبُّه هيمني

.....

التخريج:

ابن عربي: محيي الدين محمد بن علي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٢٥٥. اليافعي: نشر المحاسن الغالية، ص ١٨٨، وروض الرياحين، ص ٨٣. الحريفيش: الروض الفائنض، ص ١١٤. مع اختلاف طفيف.

\*\*\*\*\*

وقالت :

- ١- يطوفون بالبيت العتيق تقرباً إليك وهم أفسى قلوبا من الصخر
- ٢- فلو يخلصون السر جادت صفاتهم وقامت صفات الحق منهم على الذكر

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائنض، ص ١١٤.

\*\*\*\*\*

## ٢١- عابدة زاهدة . لقيها ذو النون، تقول في سياحتها :

- ١- هو الحبيب الذي بالوصل قد وعدا وحقه لا سلته مهجتي أبداً

- ٢- كرر على مسمعي ذكراه تطربني  
 ٣- هو الحبيب فلا شيء يماثله  
 ٤- إن متُّ في حبه شوقاً فلا عجب  
 ٥- يا من يروم وصالاً منه يغنمه  
 ٦- وانظر لأهل التقى في الليل قد وقفوا  
 ٧- هذي صفاتهم نالوا الذي طلبوا

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١٥.

\*\*\*\*\*

## ٢٢- فاطمة أم أيمن بنت علي .

تقول :

- ١- فقلت دعوني واتباعي ركابكم  
 ٢- وما بال رغمي لا يهون عليهم  
 أكن طوعاً أيديكم كما يفعلُ العبد  
 وقد علموا أن ليس لي منهم بدّ

التخريج :

السلمي : ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٦ ، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٧٦ .

\*\*\*\*\*

## ٢٣- نكارة الوالهة .

تقول:

- ١- هيمُّ المُحبِّ تجولُ في المَلَكوتِ  
 والقلبُ يشكو والفؤادُ صَموتُ

التخريج:

السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٤ .

\*\*\*\*\*

## ٢٤- شعوانة : من عابدات الأُبلة .

تقول:

- ١- يؤمل دنيا لتبقى له  
فوافي المنية قبل الأمل  
٢- حثيثاً يُروِّي أصول الفسيل  
فعاش الفسيلُ ومات الرجل

وتقول:

- ٣- لقد أمن الغرورُ دار مقامه  
ويوشك يوماً أن يخاف كما أمن

التخريج :

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٤.

\*\*\*\*\*

## ٢٥- جارية سوداء في بعض مدن الشام، بيدها خوص تسفه وتقول:

- ١- لك علم بما يجن فؤادي  
فارحم اليوم ذلتي وانفرادي

التخريج :

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦٢.

\*\*\*\*\*

## ٢٦- أم نهار العدوية.

تقول:

- ١- الموت يُفني ولا يُبقي على أحد  
٢- يا موت كم من كريم قد فُجعت به  
ما أحسب الموت يبقي جدة الأبد  
من أقربيه ومن أهل ومن ولد

التخريج :

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٩٠٧.

\*\*\*\*\*

## ٢٧- جارية معاصرة لذي النون.

تقول:

- ١- لم أذق طيب طعم وصالك حتى  
٢- إلهي لا تعذّبنني فإنني

.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدري، ص ١٩٦. الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٤٩.

\*\*\*\*\*

## ٢٨- امرأة أخرى معاصرة لذي النون:

- ١- أنت تدري يا حبيبي من حبيبي أنت تدري  
٢- ونحول الجسم والد— غ ييوحان ب—سري  
٣- يا عزيزي قد كتمتُ ال— حباً حتى ضاق ص—دري

.....

التخريج :

ابن عربي: الكوكب الدري، ص ١٩٧، والفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٤٩. اليافعي: روض الرياحين، ص ٣٨٠. الجامي: نفحات الأنس، ج ٢، ص ٨٣٥. وقد وردت اختلافات طفيفة في رواياتها. نقلا عن: (الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*\*\*

## ٢٩- جارية (مجهولة):

قالت:

- ١- وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا له مقلة عبرى أضر بها البكا  
٢- وجسم نحيل من شجى لوعة الهوى فمن ذا يداوي المستهام من الضنا  
٣- ولا سيما والحب صعب مرامه إذا عطفت منه العواطف بالقنا

.....

التخريج:

اليافعي: روض الرياحين، ص ١٠٠.

\*\*\*\*\*

### ٣٠- امرأة في الطواف تقول:

- ١- رأيت الهوى حُلواً إذا اجتمع الوصل  
ومراً على الهجران لا بل هو القتلُ  
٢- ومن لم يذق للهجر طعماً فإنه  
إذا ذاق طعم الهجر لم يدُر ما الوصل

.....

التخريج:

ابن قدامة المقدسي: كتاب المتحابين في الله، تح: خير الله الشريف، ط١، دار الطباع  
للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م، ص ٩٤.

\*\*\*\*\*

### ٣١- قالت جارية معاصرة لذي النون:

- ١- لست أبكي فراقَ عيني لعيني  
إنما خشيتي لأن لا أراكا

.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدري، ص ٢٧١.

\*\*\*\*\*

### ٣٢- عابدة لقيها ذا نون عند الساحل قالت:

- ١- أحبك حبين حب الوداد      وحب لأنك أهل لذاكا  
٢- فأما الذي هو حب الوداد      فحب شغلت به عن سواكا  
٣- وأما الذي أنت أهل له      فكشفك للحجب حتى أراكا  
٤- فما الحمد في ذا ولا ذاك لي      ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

.....

التخريج:

القاري البغدادي: مصارع العشاق، ج ١، ص ٢٨٥. وتحفة السادة المتقين، ج ٩، ص ٦٨٨. وقد  
ورد شرح الزبيدي، ج ٩، ص ٨٨. وابن الجوزي، صفة الصفوة، ٨٩٨. نقلا عن: (الحب  
الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب  
النسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

\*\*\*\*\*

## مصادر ومراجع شعر النساء الصوفيات

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ط ٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
- التبصرة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، عودة، أمين يوسف، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٢، ٢٠٠٨م.
- روض الرياحين في حكايات الصالحين، عبد الله بن أسعد اليافعي، وضع حواشيه: خليل عمران منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين محمد ابن الخطيب السلماي، تح: محمد الكتاني، ط ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م.
- الزهد، أبو عبد الله بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.
- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد الشريشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٢م.
- عوارف المعارف، عبد القاهر السهروردي البغدادي، ملحق بذييل ج ٥ من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، دار الفكر، بيروت، د، ت.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب محمد بن علي المكي، المطبعة الميمنية، بمصر، ١٣٠٦هـ.
- الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري، ابن عربي، محي الدين محمد بن علي، تح وتقديم: سعيد عبد الفتاح، ط ١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ٢٠٠٢.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن رجب السلامي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، ق، تح: مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، ط ١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- محاضرة الابرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، محي الدين محمد بن علي، ابن عربي، دار صادر، بيروت، د.ت.

- مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، تح: روجة النّحاس، رياض عبد الحميد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٨٤م.
- مرآة الجنان، أبو محمد عبد الله أسعد، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.
- مصارع العشاق، أبو محمد جعفر السراج، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- معجم شعراء الحب الإلهي، محمد أحمد درنيقة، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الوافي بالوفيات، صلاح خليل بن أيك الصفدي، تح: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

## ثانياً: نثرُ النساءِ الصوّفِيّاتِ .

### ١- رابعة العدوية :

١- عن مسمع بن عاصم ورياح القيسي قالاً: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك، فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أنني استحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن أخذها ممن لا يملكها؟ .

٢- قال لها رجل: ادعي لي فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ اطع ربك، وادعه فإنه يجيب المضطرين.

٣- عن سجع بن منظور قال: دخلت على رابعة وهي ساجدة، فلما أحست بمكاني رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلمت فأقبلت علي فقالت: يا بني ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك، ودعت بدعوات، ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

٤- عن العباس بن الوليد قال: قالت رابعة: استغفر الله من قلة صدقي في قولي: استغفر الله!  
٥- وقالت: فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها، فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم! قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلى اقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

٦- قيل لرابعة: هل عملت عملاً تزين انه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتي أن يرد علي.  
٧- رفع سفيان الثوري يده وقال: اللهم اني أسألك السلامة! فبكت رابعة، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتني للبكاء فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت متلطح بها؟ وقال الثوري بين يدي رابعة: واحزنائه! فقالت: لا تكذب؛ قل: واقله حزنائه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

٨- عن جعفر بن سليمان قال: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وانت تعلم، فاعمل.

٩- وعن عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابعة - قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت اسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تتامين؟ والى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دابها دهرها حتى ماتت، فلما حضرته الوفاة دعنتي فقالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي احداً، وكفني في جبتي هذه - جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة، وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس اخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إن والله نزع عني وابدلت به هذا الذي ترينه علي، وطويت اكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ قالت: وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه؟ قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى قالت: قلت: وبم؟ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها! قالت: إنما لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً قالت: يزور الله متى شاء قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ اعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت: فمريني بأمر اتقرب به إلى الله عز وجل، قالت: عليك بكثرة ذكره، اوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

١٠- قيل لها: كيف حبك للرسول (صلى الله عليه وسلم)؟ فقالت: إني لأحبه، ولكن شغلني حب الخالق عن حب المخلوقين.

١١- وقالت: حينما رأته رباحاً يقبل طفلاً أتعبه؟ قال: نعم، فقالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضع محبة لغير الله عز وجل!.

١٢- دخل محمد بن واسع، على رابعة وهي تتمايل، فقال لها: مم تمايلك؟ فقالت: سكرت من حب ربي الليلة، فأصبحت وأنا منه مخمورة.

١٣- وقال لها سفيان الثوري: ما أقرب ما تقرب به العبد إلى الله عز وجل؟ فبكت وقالت: مثلي يُسأل عن هذا؟ أقرب ما تقرب العبد به إلى الله تعالى أن يعلم أنه لا يحب من الدنيا والآخرة غيره.

١٤- قال الثوري بين يدي رابعة: واحزنناه! فقالت: لا تكذب، قل: واقلة حزنناه. لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

١٥- قالت: ما حزني أتى حزنت، ولكن حزني أتى لم أحزن.

١٦- قالت: الباب مفتوح، ولكن الشأن فيمن يرغب أن يدخله.

١٧- مرت رابعة على رجل بالبصرة أخذ على فاحشة فصلب. فقالت: بأبي ذلك اللسان الذي كنت تقول به: لا إله إلا الله.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (٧-١) ص ٧٠٨، و(٨، ٩) ص ٧٠٩ منه. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات. ورد فيه (١٠، ٤، ١١) ص ٢٩، و(٧) ص ٢٨، و(١٢، ١٤، ١٣) ص ٣٠، و(١٦، ١٥، ١٧) ص ٣١ منه.

\*\*\*\*\*

## ٢-جوهرة العابدة البراثية:

١- قال أبو عبدالله البراثي: قالت لي جوهرة يوماً: يا أبا عبدالله النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم، قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما افاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

٢- قال أبو عبدالله البراثي: رأيت جوهرة في منامها خياماً مضروبة فقالت: لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل: للمجتهدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام.

٣- عن أبي عبدالله البراثي قال: كانت جوهرة تنبهي من الليل وتقول: يا أبا عبدالله ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: اليس يقال في الحديث: "إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وانت غداً في بطني"؟ قال: قلت: نعم قالت: فأخرج هذه الجلالة لا حاجة لنا فيها فقمتم - والله - فأخرجتها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٢.

\*\*\*\*\*

## ٣- أخوات بشر الحافي:

مخة :

١- قالت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله أنا امرأة اغزل بالليل في السراج فربما طفيء السراج فاغزل في ضوء القمر: فعلي أن ابين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، قال: قالت: يا أبا عبدالله أنين المريض شكوى؟ قال: ارجو إلا يكون، ولكنه اشتكأ إلى الله عز وجل.

٢- وقالت أيضا: إني امرأة رأس مالي دانقان اشتري القطن فأغزله وابعه بنصف درهم، فأتوق بدانق من الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المسالِح فاستغمت ضوء المشعل فغزلت طاقات ثم غاب عني المشعل فعلمتُ أن الله في مطالبة: فخلصني خالصك الله؟ فقال لها: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٣.

\*\*\*\*\*

#### ٤- زبدة :

١- قال السلمي: قالت زبدة اخت بشر: انقل شيء على العبد الذنوب، واخفه عليه التوبة فما له يدفع انقل شيء باخف شيء؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٤. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٨٨.

\*\*\*\*\*

#### ٥- ميمونه أخت ابراهيم الخواص:

١- قال احمد بن سالم: دق داقُ باب ابراهيم الخواص فقالت له أخته: من تطلب؟ فقال: ابراهيم الخواص، فقالت: قد خرج فقال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع؟ .

٢- قالت: من ضاق قلبه ضاقت عليه الدنيا بما فيها ، ألا ترى أن الله تعالى يقول: (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) (التوبة: ١١٨)، في الأرض متسع ، ولكن لما ضاقت عليهم أنفسهم ضاقت عليهم الدنيا بما فيها .

.....

التخريج:

الأول، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٤. الثاني، أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ١١١.

\*\*\*\*\*

٦- مؤمنة بنت بهلول: وهي من زاهدات دمشق.

١- قال عيسى بن إسحاق الانصاري: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأناجى بالله والموافقة لتدبيره.

٢- قالت ما طابت الدنيا والآخرة إلا بالله، أو بالنظر الى آثار صنعه وقدرته. ومن منع

من القرب أنيس بالأثر. وما أوحش ساعة لا يُذكر الله فيها.

٣- وسئلت مؤمنة: من أين إستفدت هذه الأحوال؟ قالت: من أتباع أمر الله،

على سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتعظيم حقوق المسلمين، والقيام بخدمة الأبرار الصالحين.

٤- وتقول: قرّة عيني، ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٤. و المقطوعات (٢-٤) في: أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٣٤.

\*\*\*\*\*

٧- أم حسان الكوفية :

قال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني اعمامك لغيروا من سوء حالك؟ فقالت: يا سفيان قد كتب في عيني أعظم وفي قلبي أكبر مذ ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها؛ فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي علي وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله فأبكت سفيان.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٢.

\*\*\*\*\*

## ٨- أم سفيان الثوري/ ص ٦٠٢

١- قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وانا اكفيك يمغزلي،  
وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة احرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك  
وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم انه لا يضرك ولا ينفحك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٢.

\*\*\*\*\*

## ٩- أخت فضيل بن عبد الوهاب:

١- قالت: الآخرة اقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك  
سفرأ يكون فيه تعب بدنه وانفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته، والرجل يطلب الآخرة  
فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشئ سفرأ أو ينفق أو يتعب بدنا، ما  
هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

٢- وتقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الارواح  
من الابدان، فانظروا أي عبيد تكونون حينئذ؟ قال: ثم صرخت وغشي عليها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٣.

## ١٠- ميمونة السوداء :

١- قال لها ابن زيد: عطيني؟ فقالت: واعجباً لو اعط يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد انك  
وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد انه بلغني  
انه ما من عبد اعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد  
القرب البعد، وبعد الانس الوحشة .

فقلت لها: أي أرى هذا الذئب مع الغنم، فلا الغنم تفرع من الذئب، ولا الذئب تأكل الغنم،  
فأي شيء هذا، فقالت: اليك عني؛ فإني اصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئب والغنم.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٥.

\*\*\*\*\*

## ١١- بخة :

١- قال يحيى بن إسماعيل: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يدق في نصف الليل، فقلت: من هذا؟ قالت: بخة قلت: أختي؟ قالت: اختك، قلت: لبيك، وقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا اختاه خير، قالت: خير، أتيت الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بخة، فقلت: وعليك السلام، فقيل لي: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة بن كهيل جدك، وحفظك لأبيك إسماعيل، فإن شئت دعوت الله لك فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما، فقلت: إن كان لأبدي من اختار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاضمه شيء، إن شاء أن يجمعهما لي فعل، قالت: فقيل لي: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي، فأذهب الله ما كان بها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٦.

\*\*\*\*\*

## ١٢- حفصة بنت سيرين : وكنيتها أم الهذيل، وهي من متعبدات البصرة.

١- عن هشام بن حسان قال: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وانتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٠٦-٧٠٧.

\*\*\*\*\*

## ١٣- منية البصرية وابنتها :

١- بينا الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت؟ فوثب الحسن، فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا (أختاه) ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد التراب يُحشى على شبابي ولم اشبع من طاعة ربي! يا أبا سعيد انظر إلى والدتي

وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطل بكائي، كيف وانا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها؟ وبيت الظلمة والدور؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٠٧.

\*\*\*\*\*

#### ١٤- عجدة العمية :

١- فإذا كان السحر نادى بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الاسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك الهي لا بغيرك أسالك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وان ترفعني إليك في درجة المقربين، وان تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت اكرم الكرماء، وارحم الرحماء، واعظم العظماء، يا كريم، وكان هذا دأبها لثلاثين سنة حتى ماتت.

٢- قال لها بعض أهل الدار: لو نمت من الليل شيئاً؟ فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام .

٣- وكانت إذا صحت قالت: أوه ! قطع بنا النهار عن مناجاة سيدنا ،وردنا الى ما نستحقه من كلام المخلوقين، سماعاً وقولاً .

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٠٩-٧١٠. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (٣) في: ص ٥٥.

\*\*\*\*\*

#### ١٥- حبيبة العدوية :

١- عن عبدالله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: الهي غارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فاهني؟ أم رددتها علي فأعزى؟ فوعزت لك لهذا دأبي ودأبك ما ابقيتني، وعزت لك لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٠. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ٩٣.

\*\*\*\*\*

## ١٦- أم الأسود بنت زيد العدوية:

١- قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال، فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً، لعلك أن توفقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه.  
٢- تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتني فريضة أو ورد من اورادي.  
٣- عن عمران بن خالد، قال: حدثتني أم الأسود بنت زيد، وسئلت عن قول الله عز وجل (فَأَصْحَحْ الصَّحْحَ الْجَمِيلَ) (الحجر: ٨٥) قالت: رضاً بلا عتاب .

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٠. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (١) في: ص ٧٥، رقم (٣) في: ص ٤٣.

\*\*\*\*\*

## ١٧- مريم البصرية :

١- قال عبد العزيز بن عمير: قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: "الله لطيف بعباده" (الشورى: ١٩) ثم لم تجزه حتى أصبحت.  
٢- وقالت مريم: ما اهتمت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول: "السماء رزقكم وما توعدون" (الذاريات: ٢٢).  
.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٠. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، فيه (١، ٢) ص ٣٣.

\*\*\*\*\*

## ١٨- أم عبد الله بنت خالد بن معدان :

١- قالت: لو تيفئت أن الله تعالى يُدخِلني الجنة ما أزددتُ إلا إجتهداً وخدمةً ٠٠٠ أحسن على العبيد من حُسن الخدمة لمواليهم.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٤١.

\*\*\*\*\*

## ١٩- عفيرة العابدة :

١- قال روح بن سلمة الوراق لعفيرة العابدة، بلغني أنك لا تتامين بالليل؟ فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن انام فلا اقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أراني في شيء وراك في شيء.

٢- قال يحيى بن بسطام دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت، فقال بعض اصحابنا لرجل إلى جنبه: ما اشد العمى على من كان بصيراً فسمعته عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب - والله - عن الله اشد من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وانه لم تبق مني جارحة إلا اخذها.

٣- قيل لها: يا عفيرة ادعي الله لنا، فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء، جعل الله قراكم من بيتي الجنة وجعل الموت مني ومنكم على بال.

٤- عن مالك بن ضيغم قال: سمعت عفيرة تقول: عصيتك بكل جارحة مني على حدثها، والله لئن اعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها.

٥- قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد العمي قال: قلت لعفيرة: أما تسأمين من طول البكاء؟ قال: فبكت، ثم قالت: يا بني كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو أن له فيه من دائه شفاء؟ قال: ثم بكت فقامت فخرجت وتركتها.

٦- عن يحيى بن راشد انه قال: كنا عند عفيرة العابدة، فقدم ابن اخ لها كانت طالته غيبته فبشرت به فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور! فازدادت بكاء، ثم قالت: والله ما اجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد اذكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور! ثم غشي عليها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١١. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ورد فيه رقم (٢) فقط ، مع اختلاف بسيط .

\*\*\*\*\*

## ٢٠- عافية المشتاقه :

١-وتقول: المحب لا يُسَام من مناجاة حبيبه، ولا يَهْمُه سواه، واشوقاه واشوقاه واشوقاه، ثلاثاً .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٤٠.

\*\*\*\*\*

## ٢١- عبيدة بنت أبي كلاب :

١- عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمة الافقم، وكان ينزل الطفاوة قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت قلت: ولم؟ قالت: لأنني والله في كل يوم أصبح اخشى أن اجني على نفسي جناية يكون فيها عطيبي أيام الآخرة.

٢- قالت لمالك: يا أبا يحيى متى يبلغ المتقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخ بخ يا عبيدة إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله قال: فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشياً عليها.

٣- عن عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام فقلت: ما فعلت عبيدة بنت ابي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى! قلت: وبم وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها قالت: أنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

٤- وحكى عنها أنها قالت: من صحَّ تقواه ومعرفته لا يكون عليه شيء أحبُّ من لقاء ربِّه والقدوم عليه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٢. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (٤) ص ٥٩.

\*\*\*\*\*

## ٢٢- عمرة امرأة حبيب العجمي :

١- عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة وهو نائم؛ فانبهته في السحر وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

٢- عن مسلم بن إبراهيم قال: سمعت سهيلاً أبا حزم قال: كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها عمرة، فاشتكت عينها، فقيل لها: كيف تجدنيك؟ قالت: وجع قلبي أشد من وجع عيني.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٢.

\*\*\*\*\*

## ٢٣- بردة الصريمية :

١- كانت إذا قيل لها: كيف أصبحت؟ تقول: أصبحنا اضيفاً منتجعين بأرض غربة، ننتظر اجابة الداعي.

٢- كان يقال لها بردة، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها، فقيل لها: اتقي الله أما تخافين على بصرك أن يذهب؟ قالت: دعوني فإن أكن من أهل النار فأبعدني الله وابعد بصري، وان أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيراً من عيني.

٣- قالت لأبي سعيد: يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصرأ خيراً من بصري، وان أكن من أهل النار فابعد الله بصري.

٤- فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادى بصوت لها حزين: هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي؛ افتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٢.

\*\*\*\*\*

## ٢٤- أم طلق :

١- عن شيبه بن الارقم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً.

٢- عن سفيان بن عيينة قال: قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن فليتة لا يكون عليك وبالأ يوم القيامة! فبكى حتى غشي عليه.

٣- عن سلمة الأيهم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: النفس ملك إن اتبعتها، ومملوك إن اتعبتها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٣. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيّات، رقم (١، ٢) ص ٤٩.

\*\*\*\*\*

## ٢٥- أمة الجليل بن عمرو العدوية :

١-أختلف العابدون في الولاية، فأتوا أمة الجليل وكانت منقطعة من طول الاجتهاد، فعرضوا عليها اختلافهم، فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي في الدنيا حاجة. ثم أقبلت على كلاب فقالت له: بنفسي أنت يا كلاب من حدثك أو أخبرك أن وليه له همٌ غيره فلا تصدّقه.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٣.

\*\*\*\*\*

## ٢٦- أم ابراهيم العابدة :

١-عن عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها. فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس.

٢-قال أبو موسى الشواء: كنت مع أم إبراهيم العابدة، فلما عند الجمرات رأيت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك. ثم صاحت واجتمع الناس... ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها: يا أم إبراهيم أي شيء هذه الشهرة؟ فقالت: يا بطل إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنع؟

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٤.

\*\*\*\*\*

## ٢٧- بحيرة العابدة :

١-عن رباح أبي الجراح قال: رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول: نركنها وأنا رطبة، وأنتيك وأنا حشفة، فاقبل الحشفة على ما كان منها.

٢-عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثتني عجوز من أهل البصرة قالت: سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم، واتبعه، واحتمل كل ما يرد عليه.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٤.

\*\*\*\*\*

## ٢٨- حسنة العابدة :

١- كانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي! فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أنتعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكينني، ويصوم ويأمرني، وتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٧١٥.

\*\*\*\*\*

## ٢٩- زجلة العابدة مولاة معاوية :

١- عن أحمد بن سهل الأزدي قال: دخل على زجلة العابدة نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاتته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوانه لأصلين له ما أقتلني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟ .

٢- قالت: عملي بنفسى قرح فؤادي، وكلم فالب، والله لو ددت أن الله لم يخلقني، ولم أك شيئاً مذكوراً، ثم أقبلت على صلاتها، تركناها فخرجنا من عندها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفة، ص ٧١٥.

\*\*\*\*\*

## ٣٠- كردوية بنت عمرو البصرية :

١- قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: كانت كردوية تخدم شعوانة فقيل لها: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتمت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرت احداً من المسلمين قط .

٢- قالت: بت ليلة عند شعوانة، فنمت فركضتني، وقالت: قومى يا كردوية، ليس هذا دار النوم، إنما النوم في القبور.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفة، رقم (١) في: ص ٧١٦. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (٢، ١) ص ٤٨.

\*\*\*\*\*

### ٣١- راهبة :

١- عن عثمان بن سودة الطفاوي - وكانت أمه من العابدات يقال لها راهبة - قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري.

قال: فماتت: فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها واستغفر لها ولأهل القبور قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان، وتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور فقلت: لك حاجة؟ قالت: نعم قالت: لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا قبلت من عند اهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك فاستر بذلك ويسرّ ذلك من حولي من الاموات.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٦.

\*\*\*\*\*

### ٣٢- سلمى، عابدة بصرية :

١- عن خلف بن الوليد الجوهري قال: قالت سلمى - امرأة بصرية - : إلهي علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذادة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسعت عليّ خلقي فيما بيني وبين عبادك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٦.

\*\*\*\*\*

### ٣٣- مسكينة الطفاوية :

١- عن اسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب وكان والله من العاملين لله في دار الدنيا - قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً، فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر، قلت: هيه! قالت: ما تسأل عن ابيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء قال: قلت: وبم ذلك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر، والصبر على الحق، قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالابلّة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: قلت: يا مسكينة ما فعل عيسى؟

فضجت ثم قالت: كسي حلة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخدام، ثم حلي وقيل، يا قارئ ارق،  
فلعمري لقد برأك الصيام، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٦.

\*\*\*\*\*

### ٣٤- غنضة :

١- قالت: أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون!  
فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٧.

\*\*\*\*\*

### ٣٥- ابنة أم حسان :

١- قالت: إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سخن يسخن  
من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار.

٢- وقالت: يا سفيان قل: الحمد لله فقلت: الحمد لله فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم  
قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكر، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً.

قال سفيان: فقصر - والله - علمي وفه لسانه فوليت أريد الخروج فقالت: يا سفيان كفى  
بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم انه لن تنقى القلوب من  
الردى حتى تكون الهموم كلها في الله همأ واحداً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٧-٧١٨.

\*\*\*\*\*

### ٣٦- جارية خالد الوراق :

١- بلغنا عن خالد الوراق انه قال: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يوماً فاخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت: يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لاشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الامانة، واني لاعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور وركب الابرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً، ولو حبا المجد حبوراً، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراکضون وقد رفعت اعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد انظر؛ لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون؟ .

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧١٨.

\*\*\*\*\*

### ٣٧- شعوانة :

١- قال معاذ بن الفضل أبو عون بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى فقلنا لها في ذلك؟ فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إلى من أن أعمى في الآخرة من النار.

٢- قال: ثم قالت: ومن شعوانة؟ وما شعوانة؟ أمة سوداء عاصية.

٢- بكت شعوانة ثم قالت: والله لو ددت اني ابكي حتى تنفذ دموعي، ثم ابكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، واني لي البكاء؟ قال: فلم تزل تردد ذلك حتى انقلبت حدقتاه، ثم مالت ساقطة مغشياً عليها، فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

٢- تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفة بما أتى إلى نفسه.

٣- عن فضيل بن عياض قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء فقالت: يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ قال: فشهب الفضيل وخر مغشياً عليه.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٢-٧٢٣. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر التَّسوة المتعبّات الصوفيات، ورد فيه رقم (١) ص ٤٤.

\*\*\*\*\*

### ٣٨- خشة الأبلية :

١- قال يعقوب بن محمد: قالت خشة الأبلية: إنّ الذنوب أقل في جودك من أن لا تغفرها، فمن ثم خلا قلبي من الذنوب لمحبتك، رضي الله عنها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٤.

\*\*\*\*\*

### ٣٩- منيفة بنت أبي طارق :

١- قال مسمع بن عاصم المسمعي: كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمن، فنتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها، فكانها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتى ينادي بالعصر، فإذا صلت العصر هجعت إلى غروب الشمس. هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النوم في الليل كان أهدأ لبدنك! فقالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

٢- قال أبو سفيان: فحدثني رجل من البحرين يقال له عامر بن مليك قال: رأيت منيفة بعد موتها في منامي فقلت: يا منيفة ما حال الناس هناك؟ فأقبلت علي وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لاهل الطاعة يتعالون فيها بالاعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار! قال: فبكيت والله من قولها: لا تسأل عن حال أهل النار، ثم وليت، فأتبعني صوتاً: يا عامر عليك بالجد والاجتهاد لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً، قال عامر: فمرضت والله من هذا الرؤيا شهراً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٣٣.

\*\*\*\*\*

#### ٤٠- ماجدة القرشية :

- ١- قال المنهال بن يحيى البصري: حدثني اياس بن حمزة - رجل من أهل البحرين - قال: قالت امرأة من قريش يقال لها ماجدة، كانت تسكن البحرين: طوى أملي طلوع الشمس وغروبها، فما من حركة تسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في اثرها.
- ٢- وكانت تقول: سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى، يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم! أو التأذين ليس لهم، والمعنى بالأمر سواهم، أه من عقول ما انقصها! ومن جهالة ما أتمها! بؤسا لأهل المعاصي ماذا غروا به من الامهال والاستدراج؟ .
- ٣- وكانت تقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفت عليهم الأعمال.
- ٤- وكانت تقول: لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الابدان لله والقيام لله بحقه في المنشط والمكروه.
- ٥- وكانت تقول: كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلا.
- ٦- وكانت تقول: لو رأت أعين الزاهدين ثواب ما أعد الله لأهل الأعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقاً إلى الموت لينالوا من ذلك ما املوا من تفضله تعالى، رضي الله عنها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٣٤.

\*\*\*\*\*

#### ٤١- فاطمة النيسابورية :

- ١- سئل ذو النون عنها فقال: من أولياء الله عز وجل وهي استاذي، فسمعتها تقول: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال اخرسه إلا عن الصدق، والزمه الحياء منه والاخلاص.
- ٢- وقالت فاطمة: الصادق المقرّب في بحر تضطرب عليها أمواج، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة.
- ٣- وقالت: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص.

٤- وقال لها ذو النون: عظيمي، وقد اجتمعا ببيت المقدس- قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك في افعالك.

٥- قالت فاطمة: ليس في الدنيا صوفيٌ أخسُّ ممن يرى السببَ .

٦- وقالت: مَنْ عَمِلَ لِهَيْبَةِ اللَّهِ فَهُوَ عَارِفٌ ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى مَشَاهِدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ فَهُوَ الْمُخْلِصُ .

ماتت فاطمة بمكة في طرق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٤) ص ٧٦٣. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات،

(١، ٥) ص ٦١، و(٢، ٤، ٦، ٤) في: ص ٦٢. وبيزادة: و أقوالك ، لأنَّ الله تعالى قال: (فإِذَا عَزَمَ

الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) (محمد: ٢١) في المقطوعة الرابعة.

\*\*\*\*\*

٤٢- عائشة بنت أبي عثمان النيسابوري :

قالت:

١- قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كانت عائشة من أزهد أولاد أبي عثمان وأورعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً، وكانت مجابة الدعوة سمعت ابنتها أم أحمد بنت عائشة تقول: قالت لي أمي: لا تفرحي بفان، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عز وجل، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل.

٢- و تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحدُ الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، ولا اساء احد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

٣- قالت: من استوحش من وحدته فذاك لقلّة أنسه بربه.

٤- وقالت: من تهاون بالعبد فهو من قلة معرفته بالسيد، فمن أحب الصانع أحب صنعته. ماتت عائشة سنة ست واربعين وثلاثمائة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٦٣. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات،

ص ٥٨.

\*\*\*\*\*

### ٤٣- ألوف الموصلية :

١- قال أبو سليمان: خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها ألوف، فقالت للرسول: قل له: ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وأنت شغلنتني عن الله عز وجل طرفة عين!.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٩٧.

\*\*\*\*\*

### ٤٤- رقية :

١- قالت: الهي وسيدي ومولاي لو أنك عدبتي بعذابك كله، لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر .

٢- عن منصور بن محمد قال: قالت رقية الموصلية: اني لاحب ربي حبا شديدا، فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبة ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه، هو الغالب علي.

٣- عن محمد بن كثير المصيبي قال: قالت رقية العابدة، وكانت بالموصل: حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يزوق حلاوة الإيمان شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجل، ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطرف الفوائد.

٤- وكانت تقول: تفقهوا في مذاهب الإخلاص، ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٩٧.

\*\*\*\*\*

### ٤٥- أمية بنت أبي المورع :

١- كانت من الخائفين وكانت إذا ذكرت النار قالت: ادخلوا النار، واكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا، ثم تبكي، وكان بكائها أطول من ذلك، وكانت كأنها حبة على مقلتي، وكانت إذا ذكرت.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٩٧.

\*\*\*\*\*

#### ٤٦- موافقة :

١- يقال لها: موافقة، فعثرت فسقط ظفر ابهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موافقة يسقط ابهامك وتضحكين؟ فقالت: إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

٢- وبرواية أخرى : يا موافقة سقط ظفر ابهامك وتضحكين؟ فقالت: والله إن ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقد روي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلية؛ قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأة فتح الموصلية فانقطع ظفرها فضحكت! فقيل لها: فأين ما تجدينه من حرارة الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٩٨.

\*\*\*\*\*

#### ٤٧- راهبة الموصلية :

١- قال أحمد بن أبي الحواري: حدثتني امرأتي رابعة قالت: دخلت على أخت لي عاتق بالموصل، فقالت لي: هل تدرين ما معنى: "إلا من أتى الله بقلب سليم" (الشعراء: ٨٩)؟ قالت: قلت: لا قالت: القلب السليم الذي يلقي الله عز وجل وليس فيه شيء غير الله عز وجل، قال أحمد: حدثت بهذا أبا سليمان، فقال: ليس هذا كلام الراهبة، هذا كلام الأنبياء.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٩٨.

\*\*\*\*\*

#### ٤٨- طافية :

١- كان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما أشد العمل عليك؟ فتقول: ما أجدني أجد شيئاً عليّ من طول الفكر، قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله عز وجل وأمر الآخرة طاش

عقلي، واطلم علي بصري، واسترخت لذلك مفاصلي، فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذلك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٣١.

\*\*\*\*\*

#### ٤٩- أبواب المتعبدة : من بيت المقدس.

١- عن محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبدة في بيت المقدس: إني لأستحي منه أن يراني مشغلة بغيره.

٢- عن محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبدة: مازلت مجتهدة في العبادة حتى صرت استروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق أنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته.

٣- وقال لها رجل: هو ذا أريد الحج فماذا أدعو بالموسم؟ فقالت: سل الله تعالى شيئين أن يرضى عنك، ويبلغك منزل الراضين عنه، وأن يجعل ذكرك فيما بين أوليائه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٣١. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات،

ص ٣٢.

\*\*\*\*\*

#### ٥٠- زينب الطبرية :

١- قال هارون بن الحسن: خرجت يوماً في حاجة فعثرت فانقطع أصبع من أصابعها قال: فاجتمعنا رجالاً ونساء نعزيها في اصبعها فقالت: يا إخوتي وأخواتي أنساني لذة ثوابها وجعها، فوهب الله لي ولكم الرضا والعفو عما مضى، قوموا حتى نخدم من الطريق عليه غداً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥١.

\*\*\*\*\*

## ٥١- أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

- ١- عن علي بن أبي جملة قال: سمعت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.
- ٣- وكانت تبعث إلى نساءها فيجتمعن ويتحدثن عندها، وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف اليهن فتقول: أحب حديثكم، فإذا قمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيئكن.
- ٤- قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة، وتعطينهن الدنانير وتقول: الكسوة لكن، والدنانير أقسمنها بين فقرائكن.
- ٥- وكانت تقول: جعل لكم قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والاعطاء، والله للصلة والمواساة أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ!
- ٦- وكانت تقول: وهل ينال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت احداً قط على شيء، إلا أن يكون ذا معروف فاني كنت أحب أن اشركه في ذلك.
- ٧- قالت: ما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله في صدورهم.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٤) في: ص ٨٥٧. و(٥-٧) في: ص ٨٥٨ منه.

\*\*\*\*\*

## ٥٢- عبدة أخت أبي سليمان الداراني :

- ١- وقد روى أحمد بن الحواري عن أبي سليمان (ت ٢١٥هـ) أنه قال: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم اموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره.
- ٢- قالت: الزهد يُورثُ الراحة في القلب، وسخاء النفس بالمال.
- ٣- وقالت: العاقلُ من يحفظُ صلاحَ إخوانه ، لا من يتبعُ مرادهم .

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، رقم (١) ص ٨٥٨. أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، (١-٣) ص ٨٩. ورد القول رقم (١) في كتاب ذكر النسوة، أنه لأمنة أخت أبي سليمان الداراني.

\*\*\*\*\*

### ٥٣- رابعة بنت اسماعيل زوجة أحمد بن أبي الحواري :

١- قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لرابعة - وهي امرأتي وقد قامت بليل - قد رأينا أبا سليمان وتعبنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل، فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت قال: وجلست أكل وجعلت تذكرني فقلت لها: دعينا يهيننا طعامنا قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنصص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

٢- عن أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لي رابعة: أي أخي أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله اطلع الجبار على مساوئ عمله فينشاغل به دون خلقه؟ .

٣- عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: إني لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن قال: وربما قلت لها: اصائمة أنت اليوم؟ فنقول: ما مثلي يفطر في الدنيا، قال: وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها، ما لا يتحرك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة،

٤- وقالت لأحمد: لست احبك حب الأزواج إنما احبك حب الاخوان، وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك، وإنما كنت أحب واتمنى أن يأكل ملكي ومالي مثلك ومثل اخوانك.

٥- قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي، فكانت إذا طبخت قدراً قالت: كلها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لي: لست استحل أن امنعك نفسي وغيري، إذهب فتزوج.

٦- قال أحمد: تزوجت ثلاثاً، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك وكنت إذا أردت جماعها نهراً قالت: أسألك بالله لا تطرني اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: أسألك بالله لما وهبتي لله الليلة.

٧- عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر.

٨- عن أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لنا رابعة: نحواً عني ذلك الطست، وإنما عليه مكتوب، مات أمير المؤمنين هارون الرشيد، قال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

٩- عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن مني باكامهن، وقالت بيدها على راسها.

١٠- قال أحمد: ودعوت رابعة فلم تجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتي وقالت: إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلاً فرحاً بالله، فلم أقدر أن أجيبك.

١١- قالت رابعة يوماً لأحمد بن أبي الحواري: كنت أدعو الله تعالى أن يأكل مالي مثلك ومثل أصحابك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٥) في: ص ٨٥٩، (٦-١٠) في: ص ٨٦٠. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، (٨، ١١) في: ص ٥٩، و(٧، ٩، ١٠) في: ص ٦٠.

\*\*\*\*\*

#### ٥٤- أم هارون الدمشقية :

١- عن عبد العزيز بن عمير قال: قالت أم هارون: وكانت من الخائفين العابدين، قد انزلت الدنيا منزلتها وكانت تأكل الخبز وحده، قالت: يأبى الليل لما أطيبه إني لاغتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي.

٢- وبالاستناد قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أم هارون فأتينا نعوذها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها؟ فقلت لها: أم هارون يكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه! وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها قال قاسم: وكانت أم هارون تأتي ببيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها.

٢- قال القاسم الجوعي دخلت عليها، فقالت: يا قاسم كنت امشي ببيسان فإذا قد عرض لي هذه الكلب الاسد فمشى نحوي، فلما قرب مني نظرت إليه فقلت: تعال يا كلب، إن كان لك رزق فكل، فلما سمع كلامي اقعى قم ولى راجعاً.

٣- عن احمد بن أبي الحواري قال: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا قلت: ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦٠. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، فيه رقم (٣) ص ٦٤.

\*\*\*\*\*

#### ٥٥- ثويبة بنت بهلول :

١- عن ابن أبي الحواري قال: سمعت ثويبة بنت بهلول وكانت زاهدة دمشق، تقول: قرّة عيني ما طابت الدنيا والآخره إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦١

\*\*\*\*\*

### ٥٦- البَيضاء بنت المُفضَّل :

١- عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أسماء الرملمية - وكانت من العابدات - تقول: سألت البَيضاء بنت المفضل فقلت: يا أختي هل للمحب لله دلائل يعرف بها؟ قالت: يا أختي والمحب للسيد يخفى؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفي، قلت: صفة لي، قالت: لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجباً من واله ما يقر على الأرض، طائر مستوحش، أنسه في الوحدة، قد منع الراحة، طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦١.

\*\*\*\*\*

### ٥٧- آمنة الرملمية :

١- عن جعفر بن محمد-صاحب بشر- قال: إعتلّ بشر بن الحارث، فعادته آمنة الرملمية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملمية، بلغها علتي فجاءت من الرملة تعودني، قال: فسألها تدعو لنا فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث واحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجارهما، قال احمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طرحت الي رقعة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: "قد فعلنا، ولدينا مزيد".

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦١.

\*\*\*\*\*

### ٥٨- أم ايمن بنت علي :

امراة أبي علي الروذباري، واسمها عزيزة:

١- قال : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين : سمعت بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امراة أبي علي تقول: كيف لا ارغب في تحصيل ما عندك واليك مرجعي؟ وكيف لا أحب وما لقيت خيراً إلا منك؟ وكيف لا اشتاق إليك وقد شوقنتني إليك؟ .  
٢- وحكي عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٧٦.

\*\*\*\*\*

### ٥٩- تحية النوبية :

١- قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي، سمعت الماليني الصوفي يقول: دخلت على تحية زائراً، فسمعتها من داخل البيت وهي تتاجي وتقول في مناجاتها: يا من يحبني وأحبه. فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية هبي إنك تحبين الله تعالى، فمن أين تعلمين انه يحبك؟ فقالت: نعم إنني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين، وكانت أُمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبلي الصليب، فإذا هممت بذلك أرى كفا تخرج فتزد وجهي حتى لا أقبله فعلمت أن عنايته بي قديمة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٧٦.

\*\*\*\*\*

### ٦٠- منفوسة بنت زيد الفوارس :

١- أصيب ابنها، وهو في حجرها، فقالت: والله لتقدمك أمامي أحب إلى من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحل من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك، ولئن كان فراقك حسرة إن توقع اجرک لخيرة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٦.

\*\*\*\*\*

### ٦١- عاتكة المخزومية :

١- قال ابراهيم بن محمد المخزومي: بكت امرأة من بني مخزوم يقال لها عاتكة حتى ذهب بصرها، فعوتبت في ذلك وقيل لها: ما بعد ذهاب البصر شيء؟ فقالت: ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجف له دمة حتى يعرف موقع الامان من ذلك! فلم تزل على ذلك البكاء حتى مات عليه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٦.

\*\*\*\*\*

## ٦٢- منيرة السدوسية :

١- كانت تقول إذا جاء الليل: قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبه هذا بيوم القيامة! ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٦.

\*\*\*\*\*

## ٦٣- أم نهار العدوية :

١- عن عتبة بن صالح الهلالي، كانت أم نهار العدوية واقفة على قبر رجل ونحن ندفنه، فقالت: ايها الناس انكم من الله عز وجل في نعمة ستر، ومن الناس بمحل تزكية، فاياكم ومصاداة زخاريف الرخاء فإنها ليست من صفة الألباء، فاجلوا شمادير الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل هذه العرصات الخرس، والربوع الصموت وارجعوها صوراً بوهمكم، تنتسمون روح الحياة، فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يخبروا، فاحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم وخذوا خوفكم من أمنهم وحذرهم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم وكيف حكم فيهم التراب إذ ولي الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً وبالحرركات سكونا! رحم الله امراً أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب وخشي وقت العقاب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٧.

\*\*\*\*\*

## ٦٤- عاتكة الغفوية :

١- قالت عاتكة: يا ضرار توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل، فإنك تجد ذلك لك موفراً عند حلول الأمور الجلائل، وانقطع إليه في حوائجك لديه، يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب، واعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه، ولحلاوة ساعة من مطيع، أذ في قلوب المريرين من جميع ما أخرج إلى

الدنيا من زهرة ولدّة، ولن يجد المرید فقد شيء تركه رجاء ثواب الله، فجد أي أخي قبل أن لا يمكنك الجد، وبادر قبل فوات المبادرة فإن الدنيا لا تطيب لعارفها، وإنما تورطها أهل الغرة، وعمّا قليل فسوف يعلمون. قال: ثم أمسكت فقامت.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٧.

\*\*\*\*\*

### ٦٥- عليّة بنت الكميّ :

١- قال خالد القرشي: استأذنا على عليّة بنت الكميّ- وكانت من العابدات- قال: وذلك وقت الظهر. فقالوا: هي تصلي، فلم نزل ننتظرها إلى العصر، فلما صلت العصر أذنت لنا، فدخلنا عليها فقلنا: رحمك الله لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك! قالت: سبحان الله قعوداً لم تصلوا بين الظهر والعصر؟ قلنا: لا قالت: ما ظننت أنّ أحداً لا يصلي بين الظهر والعصر. قال: وانقبضت عنا انقباضاً شديداً.

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٨.

\*\*\*\*\*

### ٦٦- قريشية النسوية :

١- حكي عنها أنها قالت : خلق الله تعالى الجنّة لمن يعبدّه ويخافه ، لا لمن يعصيه ويتمنى عليه .  
٢- مكابده الصمت أيسر من اعتذار بكدب .  
٣- وقالت يوماً للنصرآبادي (ت٣٦٧هـ): ما أحسن أقوالك وأوحش أخلاقك ! وحكى أن النصرآبادي قال لها يوماً: أسكتي . فقالت: اسكت حتى أسكت .  
٤- وقالت قريشية: ما هيّمتني إلا الظنون . لو تحققت في شيء لخرست وخمدت ، وظهرت عليّ بركائه .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٠٥.

\*\*\*\*\*

## ٦٧- فاطمة البردعية :

١- سمعتُ أبا الحسن السَّلامِيَّ ، يقول: سألتُ فاطمةَ البردعيةَ بعضَ المشايخِ ، عن قول النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، حاكياً عن ربِّه: (أنا جليسُ مَنْ ذكَّرني) \* ففاوضها ساعةً، فقالت: لا، ولكنَّ أتمَّ الذِّكْرَ أن تشهدَ ذِكْرَ المذكورِ لك مع دوامِ ذِكْرِكَ له ، فيقنَى ذِكْرُكَ في ذِكْرِهِ ، ويبقى ذِكْرُهُ لك حينَ لا مكانَ ولا زمانَ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: ذكر النَّسوة المتعبدات، ص ٦٧.

\* هو من حديث موسى عليه الصلاة والسلام، قال: "يارب ، أقریب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى؛ أنا جليس من ذكرني" كشف الخفاء ٢٠١/١.

\*\*\*\*\*

## ٦٨- سعيدة بنت زيد :

١- روى عنها أنها كانت تقول: مَنْ تَفَكَّرَ في نِعَمِ الله عليه، وتقصيره في شُكْرِهِ اسْتَحْيَا من السُّؤالِ مع كثير ما عليه من النَّوَالِ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: ذكر النَّسوة المتعبدات، ص ٤٥.

\*\*\*\*\*

## ٦٩- حسنا بنت فيروز :

١- وكانت تقول: إلهي، حتى متى تَدْعُ أولياءك تحتَ التُّرابِ والنُّرى ؟ ألا تُقيمُ القيامةَ حتى تُنجِزَ لهم ما وعدتهم.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمِي: ذكر النَّسوة المتعبدات، ص ٥٠.

\*\*\*\*\*

## ٧٠- شبكة البصرية :

١- وكانت تقول: نُظِهَرُ النفوسُ بالرياضاتِ، وإذا طَهُرَتْ استراحتْ إلى العبادة، كما كانت قبلَ ذلك تتعنى فيها.

.....  
التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٣٦.

\*\*\*\*\*

## ٧١- نُسَيَّة بنت سَلْمَانَ : وكانت امرأة يوسف بن أسباط (ت ١٩٩ هـ) .

١- قالت ليوسف بن أسباط: الله سائلك عني، لا تُطعمني إلا حلالاً، ولا تمد يدك إلى شُبْهَةٍ بسببي.

٢- قال: وولدتُ ولداً، فقالت: يا رب، لم ترني أهلاً لخدمتك فشغلتني بالولد !.

.....  
التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٣٧.

\*\*\*\*\*

## ٧٢- لبابة العابدة :

١- قالت لبابة: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مشغولة بغيره بعد أن عرفته .

٢- وقالت: المعرفة لله تُورثُ المحبة له، والمحبة لله تورثُ الشوق إليه، والشوق إليه يُورثُ الأُنسَ به، والأُنسُ به يُورثُ المداومة على خدمته وموافقته.

.....  
التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٥٢.

## ٧٣- حُكَيْمَةُ الدَّمَشَقِيَّة :

من سادات نساء الشام، وكانت أستاذ رابعة وصاحبته.

١- عن العباسُ ابنُ حمزة، قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: قالت لي رابعة: دخلت على حُكَيْمَةَ وهي تقرأ في المصحف، فقالت لي: يا رابعة، بلغني أن زوجك يتزوج عليك، قلت: نعم . قالت: كيف يرضى مع ما يبلغني من عقله، أن يشتغل قلبه عن الله تعالى بامرأتين ؟ أما بلغك تفسيرُ هذه الآية: (إلا من أتى الله بقلب سليم) ؟ (الشعراء: ٨٩) قلت: لا، قالت: هو أن يلقي

الله تعالى وليس في قلبه أحدٌ غيرُه ، قال أبو سليمان: ما سمعت منذ ثلاثين سنة حديثاً أرفعَ من هذا.

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٥٣.

\*\*\*\*\*

٧٤- رابعة الأزديّة : من أهل البصرة، كانت من كبار أصحابهم وورعهم.

١- خطبَ عبدُ الواحد بن زيد(ت١٥٠هـ) رابعة الأزديّة فحجّبته، فاعتمّ، فتحملَ عليها حتى أذنته، فلما دخل قالت : يا شهوائى، أيّ شئ رأيتَ فيّ من آله الشهوة ؟ ألا خطبتَ شهوائيةً مثلك !.

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٥٤.

\*\*\*\*\*

٧٥- أمّ سالم الرّاسبيّة : من أهل البصرة، كانت من المُجاهدات الكبار.

١- كانت تقول إذا قصدت الحجّ مُحرمّة : ما ينبغي للعبد أن يقصدَ سيّدَه إلا بعقدٍ يرى على نفسه آثارَ خدمته ، فإن العبدَ إذا تعطلَ عن آثار الخدِمة عن قريبٍ يتعطلَ عنها .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٥٦.

\*\*\*\*\*

٧٦- هند بنت المهلب : البصريّة .

١- قالت هندُ بنتُ المهلب : إذا رأيتُم النّعمة مُستدرّةً فبادروها بالشكر قبل حُلُول الزّوال .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٥٨.

\*\*\*\*\*

## ٧٧- عائشة الدينورية:

١- سألت عائشة الدينورية عما أوصاها به إبراهيم بن شيبان (ت ٣٣٧هـ)، قالت: دخلتُ عليه وأنا أريدُ الحجَّ، فقلتُ: أوصيني بشئٍ يُحمِّلني في الطريق فقال: إذا خرجتِ من عتَبَةِ دارك، ووضعتِ قدماً، فلا تأملي أنك ترفعين الآخرَ حتى يكونَ قبرُك هناك قالت: فكان ذلك الذي حمِّلني في الطريق، قالت: وحضرته عند وفاته، فقلت: أوصيني بشئٍ، قال: تبركي بكل ما يدفعه إليك الشيوخ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٦٨.

\*\*\*\*\*

## ٧٨- أمة الحميد بنت القاسم :

١- أخبرنا أبو بكر المفيدُ الجرجاني، قال: سمعتُ أمة الحميد بنت القاسم، تقول: سمعتُ أبا سعيد الخِرَازي (ت ٢٨٦هـ)، يقول: الواصلون قومٌ أدخلت قلوبهم خزائن الأنوار، فأناخت بين يدي الجبار.

٢- وقالت: قلت لأبي سعيد الخِرَازي: أوصيني - فقال لي راقبي الله تعالى في سيرك، واتبعي أوامره على ظاهره، واجتهدي في قضاء حوائج المسلمين، والقيام بخدمتهم، تصلي بذلك إلى مقام الأبرار، إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٦٩.

\*\*\*\*\*

## ٧٩- أم أحمد بنت عائشة :

وكانت واحدة وقتها، همّة وحالاً وحُلُقاً.

١- تقول: العلم حياةُ الخلق، والعمل مطبته، والعقل زينته، والمعرفة نوره وبصيرته.

٢- وقالت: الأفعال كلها معيوبة، ولا يعرف عيوب نفسه إلا المبرِّعون من العيوب.

٣- وقالت: من رضي بعيوب نفسه ولم يداوها بذواتها أورثه الله الدعاوى الباطلة .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص ١٠٢.

\*\*\*\*\*

#### ٨٠- فاطمة : الملقبة زيتونة .

خادمة أبي حمزة الخراساني(ت ٢٩٠هـ)، والجُنيد بن محمد البغدادي، والثُّوري(ت ٢٩٥هـ)، وكانت من الأولياء.

١- قالت أتيتُ أبا الحسين الثُّوري ، في يومٍ شديدِ الفَرِّ، فقلتُ له : أجيئك بشيءٍ تأكله ؟ قال: نعم- قلت : ما تريدُ ؟ قال: خبزٌ ولبنٌ. وكان بين يديه نارٌ يُقَلِّبُها بيده فأكل من ذلك الخبز واللبن، ويده أسودٌ من الرماد. فجعل اللبْنُ يسهُلُ على يده، ويغسلُ ذلك السَّوادَ عنه.. فنظرتُ اليه ، وقلتُ: يا ربِّ ما أقدَّرَ أولياءَ ك ! ما فيهم أحدٌ نظيفٌ ! ثم خرجتُ من عنده ، فجَزْتُ على صاحب الرُّبْع. فإذا بامرأةٍ تعلقتُ بي، وقالت: الرُّزْمَةُ التي كانت ها هنا أخذتِها .فحمَلني صاحبُ الرُّبْع إلى الأمير، وبلغ ذلك الثُّوري ، فأسرِع في طلبي، فلمَّا صرنا بين يدي السُّلطان قال الثُّوري : لا تتعرَّضْ لها فإنها وليَّةُ الله . قال: ما حيلتي ومعها من يُطالِئُها ؟ فإذا بجاريةٍ سوداءَ معها الرُّزْمَةُ ،فالت : قد وجدنا الرُّزْمَةَ. فأخذ الثُّوري بيدي، وأخرجني من عند السُّلطان، وقال : لِمَ تقولين : ما أوْحَسَ أولياءك وأقدَرهم ؟ فقلت : تبتُ إلى الله تعالى من قولي هذا .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٧١-٧٢.

#### ٨١- عائشة امرأة احمد بن السري :

- ١- قالت: من لم يحرص على التكبيرة الأولى والجماعة فهو على الصلاة أقل حرصاً.
- ٢-وقالت: عقلُ العارفِ مرآة قلبه، وقلبه مرآة نفسه ، وروحه مرآة عقله، وسرّه مرآة روحه، والتوفيقُ نورُ المرأة ، ودقّة البصيرة في المرأة يُظهر له الخطأ من الصواب .
- ٣-وقالت: ما أكلتُ أكلة قطُّ أتهنى بها إلا أكلة مع فقير، أو في متابعة فقير، أو في مُشاهدته .

٤- وقالت : ما قصدنى أحدٌ من الفتیان من موضع إلا وجدتُ في سرى نُوراً بقصده ، إلى أن يصل إلىّ . فإن وفتتُ لخدمته، والقيام بواجبه ، ثم لى ذلك النور ، وإن قصرتُ في خدمته طفياً ذلك النور .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩٠.

\*\*\*\*\*

## ٨٢- أنيسة بنت عمرو العَدَوِيَّة : من أهل البصرة. تلميذة مُعَاذَةَ العَدَوِيَّة (ت ١٠١هـ).

- ١- كانت أنيسة بنت عمرو تخدمُ مُعَاذَةَ العَدَوِيَّة، وكانت تقول: ما رُضتُ نفسي على شئ فأبَت على إياها إياي على أكل الحلال والكسب .
- ٢- كانت تقول : العملُ يجب أن يكونَ معه ثلاثةُ أشياء : الأُخْلَاصُ والصَّوَابُ والسَّتَّة .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٧٤.

\*\*\*\*\*

## ٨٣- أم عليّ، امرأة أحمد بن خَضْرَوِيهِ البَلْخِي (ت ٢٤٠هـ) :

- ١- حُكِيَ عن أم عليّ أنها قالت : دعا الله تعالى الخلقَ إليه بأنواع البرِّ واللُّطْف ، فما أجابوه . فصَبَّ عليهم أنواعَ البلاء ، لِيُرُدَّهُمُ بالبلاءِ إليه ، لأنه أحبُّهم .
- ٢- قالت أم عليّ : ما ذكرتُ فقري قطُّ إلا ذكرتُ استِغْنائِي برَبِّي وغِنَاه ، فَيُزِيل عَنِّي مواقف الفقر، وأقول: يكونُ فقيراً مَنْ له سيدٌ مثله ؟
- ٣- قالت: فَوَتِ الحَاجَةَ أيسرُ من الدُّلِّ فيها .
- ٤- وجاءتها امرأةٌ من أهل بلخ ، فقالت لها: ما حاجتك ؟ قالت: جئتُ لِأَتَقَرَّبَ إلى الله بخدمتك . فقالت لها: لِمَ لا تَتَقَرَّبِينَ إِلَيَّ بِخِدمَةِ رَبِّكَ ؟ .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٧٦، رقم (٣، ٤) في: ص ٧٧.

\*\*\*\*\*

#### ٨٤- فخروية بنت علي من أهل نيسابور (ت ٣١٣هـ) :

- ١- قالت: حالٌ ضعيف ، وخطرٌ عظيمٌ، ودعوى عريضة ، وصدقٌ قليل .
- ٢- وقالت فخروية مرةً لأبي عليّ الثقفيّ (ت ٣٢٨هـ): إنّ الإنسانَ إذا تكلمَ بالعلمِ يُريح قلبه ونفسه، ويعظم في نفسه، لأستحسانه كلامه . وإذا استعمل العلمَ أتعبَ نفسه وقلبه، ويصغر في نفسه، لعلمه بقلة إخلاصه في معاملته .
- ٣- وحكي عنها أنها قالت: من جعل السبب إلى الوصول إلى ربّه غير مُلازمة طاعته، واتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد أخطأ السبيلَ إليه .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٠، رقم (٣) في: ص ٨١ منه.

\*\*\*\*\*

#### ٨٥- فاطمة بنت عبد الله المعروفة بجويرية :

- ١- تقول: أول همّ يردُّ على العارف يقطعه عن كل شيء . إنما ذلك نظرٌ من الله لهم ، ليطهّرهم عن كل شيء بذلك .
- ٢- قالت : سمعتُ أبا سعيد الخراز، يقول: من شأن المحب لمولاه إذا تمكنت مودّته في ضميره، أن يُطهّر قلبه للكلف به، والشغف بحبه، والهديان بذكره، ويمنعه من الأتساع، ومن شأن من قد باشر قلبه شيئاً من الشوق أن ينسى حظّه من الدنيا والآخرة، ويفقد تدبيرَ نفسه، ولا يجد طعمَ الخدمة كما وجده المجنون ، يكون بمولاه كلفاً دنفاً هائماً متحيراً .
- ٣- قالت : سمعتُ أبا سعيدٍ ، يقول : من شأن العارف أن تراه مرةً والها مُنقطعاً ، لا فعلَ فيه لغير سيده . وتارةً تراه مع الخلق، كأنه واحدٌ منهم ، قد خفيَ عليهم مكانه ، إلا أنه ساكنٌ من هيجانه، مُصلُّ الهمة بواجده .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٧٨.

\*\*\*\*\*

## ٨٦- أمُّ الفضل الوهّابية :

كانت واحدة وقتها لساناً وعلماً وحالاً. ورحلت آخر عمرها إلى الشيخ أبي عبد الله بن خفيف (ت ٣٧١هـ).

١- قالت : احذروا ألا يكون شغلكم طلب راحات النفوس ، وتوهّمون أنكم في طلب العلم، وطالب العلم هو العاملُ به ! وليس العملُ بالعلم كثرة الصوم والصدقة والصلاة، وإنما العملُ بالعلم إخلاصُ العمل لله، بصحة النية، ومراقبة نظر الله تعالى إليه، إن لم يكن هو ناظراً إلى ربه ، ومشاهداً له .

٢- وقالت: من آله الصوفي المتحقق ألا يطلب ، ولا يتشرفَ إلى شيء ، ولا يردُّ فتوحاً ، إذا كان من وجهٍ غير متهم ، ويدّخرَ من وقتٍ إلى وقت ، أو لوقت .

٣- وقالت: لا يكونُ لصاحبِ حقيقةٍ رجوعٌ إلى الأحوال بعدَ التحقق، بل تكون الأحوال كلها تبعاً له .

٤- وقالت: حقيقةُ المحبة أن يحرس المحب إلا عن محبوبه، ويصمّ إلا عن سماع كلامه.

٥- وسألت عن التصوّف، فقالت: نقضُ الأسباب وقطعُ العلائق .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، (١-٣) ص ١٠٦، و (٤) ص ١٠٧، ورقم (٥) في: ص ١٠٨، منه.

\*\*\*\*\*

## ٨٧- أمُّ عبد الله، امرأة أبي عبد الله السّجزيّ :

١- يقول جدّها: سمعتُ أم عبد الله تقول: من احتقر الفقراء لا يكون له همّة بالله ، ولا حالٌ...

٢- وسمعتها تقول: صحبة الإخوان في الدنيا نعيمُ دار الدنيا .

٣- قال: وسمعتها تقول: العيشُ في لقاء من شرح صدرك بلقائه، ويدلك على الإقبال على الله، والإعراض عن الدنيا وأهلها .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩٢.

\*\*\*\*\*

## ٨٨- آمنة المرجية :

- متعهدة للفقراء، كانت صائنة مستورة ، رفيعة الهمة .  
١- قالت: الأولياء لا تشبعهم الأقوات، ولكن تشبعهم الكفايات .  
٢- وقالت: خدمة الفقراء فيها نور القلب وصلاح السر .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ١٢٢.

\*\*\*\*\*

## ٨٩- عزيزة الهروية :

- ١- قالت: الزاهد من لزم الملك لحاجته ، والعارف لزمه الملك لمجالسته .  
٢- قالت أم الحسين القرشية: سمعت عزيزة الهروية ، تقول: الزاهد والمتقرب، في علو نفسه وارتفاعها ينظر إلى الناس، لذلك يتصاغرون في عينه .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٥.

\*\*\*\*\*

## ٩٠- فاطمة بنت أحمد الحجازية :

- ١- قالت: ما قال أحد لأحد: يا أحمق ، إلا قلت: لبيك ، ظننت أنه يعنيني به . فلا أحد أظهر حُماً ممن يوالى عدوه ، ويعادى وليه ! النفس والشيطان عدوان ، ونحن نواليهما ونطيعهما .  
وَالْكِتَابُ وَالسَّنَةُ مَوَاضِعُ نَجَاتِنَا وَخِلَاصِنَا ، وَقَدْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمَا .  
٢- وقالت فاطمة يوماً لأبي العباس الدينوري (ت ٣٤٠هـ)، وهو يتكلم في شيء من الأنس: ما أحسن وصفك عما أنت غائب عنه !.

التخريج:

أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٢.

\*\*\*\*\*

## ٩١- فاطمة بنت أحمد بن هاني النيسابورية :

١- سألت فاطمة أبا عثمان: كيف السبيلُ إلى معرفة الله عزّ وجلّ؟  
فقال لها: بنسيانك نفسك والخلق، وإنكارك كل شيء سوى الله، حتى تبُلغي إلى حقيقة معرفة الله.

٢- وقالت فاطمة: الدنيا شبكةٌ للحمقى، لا يقعُ فيها إلا من لا عقلَ له ولا توفيقَ.

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩١.

\*\*\*\*\*

## ٩٢- فاطمة الخانقهيّة :

١- حُكي عنها أنها قالت: الفتوةُ هي القيامُ إلى الخدمة من غير تمييز .  
٢- وحُكي عنها أنها قالت: سرورُ قلوبِ العارفين برؤيةِ الفتيان، وغمها بمفارقتهم .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٢٣.

\*\*\*\*\*

## ٩٣- عائشة بنت أحمد الطويل المروزيّة، زوجة عبد الواحد السيارى (ت ٣٧٥هـ)

رحمهم الله . كانت من الأفاضل والمجتهدين.

١- قال لها بعض المدّعين: افعلى كذا وكذا ليقع لك كشفٌ، فقالت: الستر أولى للنساء من الكشف، لأنهن عورات .

٢- وقالت: من لم يستلذّ طعم الفقر لا يُكشفُ له عن فضائل الفقر .

٣- وقيل لها: إن فلاناً لم يقبلُ رفقك، وقال: في قبول أرفاق النسوان مدّة، فقالت: إذا طلب العبدُ التّعزّزَ في عبوديته فقد أظهر رُعونته .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٢٤.

\*\*\*\*\*

## ٩٤- أم عليّ بنت عبد الله بن حمشاذ :

من كبار نساء نيسابور . رفيعة الحال ، عظيمة القدر صحبتُ أبا القاسم النصراباذي، وغيره من المشايخ ، كان المشايخ يكرمونها ويعرفون محلها .

١- قالت: طرح الحشمة من غير انبساطٍ متقدم يورث الطرد .

٢- وقالت: الأكوان كلها أسبابٌ لقطع العبيد عن مكوتها .

٣- وحكي عنها أنها قالت : من صحَّ له علم حقيقة العبودية فإنه عن قريب يصلُ إلى علم الربوبية .

.....  
التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٦ .

\*\*\*\*\*

## ٩٥- ذُكارةٌ : وهي من الوالهاات.

١- قال عباس الإسكاف: كانت عندنا مجنونةٌ يقال لها : ذُكارةٌ . فنظرتُ إلى يومَ العيد وفي يدي قطعةً فإ لوذُج فقالت : ما معك ؟ قلت : فالوذُج<sup>١</sup> . فقالت: إني أستحيي أن يراني اللهُ تعالى حيثُ يكره . ألا أصفُ لك فالوذُجاً تذهب فتعمله إن قدرتَ عليه ؟ قلت : بلى .

قالت: خُذ سَكَّرَ العطاء، ونشا سُنَّج<sup>٢</sup> الصِّفاء، وماء الحياء، وسَمَنَ المُرَاقبة، وزَعفران الجَزاء، وصَفَّهَ بمناخل الخَوف والرَّجاء، وانصِبْ تحته دَيْكِدان<sup>٣</sup> الحزن، وركب ظناجير الكسد، واعقده باسطام الاعتبار، وأوقدْ تحته نيرانَ الرُّفِير، وابسطه على الحذر حتى يَضربَه نسيْمُ هواءِ النَّهْجُد . فإذا أكلتَ منه لقمَةً تصيرُ من الأكياس، وتبرأ من الوسواس، وحببكَ إلى صدور الناس ، وتُبغضُ إليك ربط الأكياس، وتكفيك من شر الوسواس الخَناس، وتدور عليك الحورُ العين في الفردوس بالكاس .

.....  
التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٣-٨٤ .  
التعريفات : ١- نوع من الحلوى، ٢- النشأ .

\*\*\*\*\*

## ٩٦- فاطمة أمُّ اليُمن :

١- قالت مناجية: كيف لا أرغبُ في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي؟ وكيف لا أحبك وما لقيتُ خيراً إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقنتي إليك؟

٢- وحكى عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشئ من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال.

٣- وقالت فاطمة: الزاهدُ طالبُ حظه، لأنه يطلبُ الاستراحة من طلب الدنيا وتعبها، لا غير.

٤- خَرَجَتْ يوماً من المِصر وقت خروج الحاج، والجمالُ تمرُّ بها، وهى تبكى وتقول: واضعفاً! ... وقالت: هذه حَسْرَةٌ من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تُرى حَسْرَةٌ من انقطع عن الوصول إليه؟ .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٦.

\*\*\*\*\*

#### ٩٧- سُريرة الشَّرْقِيَّة :

١- عن أم الحسين القرشية، تقول: سمعتُ سُريرة، تقول: أكثر سبب الأنكار العجزُ عن الإدراك.

٢- قالت: وسمعتها تقول: المنتهى فيما يُقال من دقائق العلوم: علم الربوبية والعبودية ثم تتلاشى العبودية، وتبقى الربوبية.

٣- قالت: وسمعتها تقول: صحَّة الإقرار أن يكون عن الجهل خالياً، والمعرفة أن تكون عن التشبيه نقيه، والعمل أن يكون عن الشرك صافياً.

٤- قالت: وسمعتها تقول: البلاءُ والنعمةُ كلها من معدن واحد، إلا أن الصادقين تتبين في الثبات عند نزول البلاء.

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٧.

\*\*\*\*\*

#### ٩٨- عنيزة البغدادية :

١- عن بعض أصحابها قال: قلت لعنيزة: أوصيني، فقالت: كُنْ لله اليومَ ، كما تحبُّ أن يكون ذلك غداً .

٢- وحكي لى عن عنيزة، أنها قالت : من أحبه لم يتعب في خدمته ، بل يتلذذُ بها .

٣- وحكي عنها أنها قالت: العارفُ لا يكون واصفاً ولا مُخيراً .

٤- وحكي عنها أنها قالت: العلمُ يورث الحشية ، والمعرفةُ تورث الهيبة .

٥- وقالت: قوالب البشرية معادنُ العبودية .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٨ .

\*\*\*\*\*

## ٩٩- عبدوسة بنت الحارث :

كانت خادمة الفقراء في بلدتها دامغان، ثلاثين سنة.

١- سألها رجلٌ فقال: ما حالك؟ فقالت: السؤالُ عن الحالُ مُحالٌ .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٢ .

\*\*\*\*\*

## ١٠٠- أمُّ الحسين بنت أحمد بن حمدان (ت ٣١١هـ) : وتعرف بأمِّ الحسين القرشية.

١- بعض صَحبِها من النسوان، تقول: سمعتُ أمَّ الحسين، تقول : من أحبَّ أن تصبح له طريقةً

الفقر فليختر من الفُرُش التراب، ومن الأَطعمة الجوع، ومن السرور الهَمُّ، ومن القبول

الردِّ، ومن العِزِّ الدُلُّ .

٢- وحكيَ عنها أنها قالت : إن الله تعالى لم يجعلْ لأنفس المؤمنين ثمناً إلا الجنة، وجعل قلوبهم

محلاً لنظره ، فلا تبيعوا أنفسكم باللون من العروض، وطالعوا موضعَ نظرِ الله تعالى أن

يكونَ مَصوناً عمّا لا يرضاه .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٣ .

\*\*\*\*\*

## ١٠١- جُمعة بنت أحمد بن محمد بن عبيد الله، المعروفة بأُمّ الحسين القرشية :

١- تقول: دخلتُ ببغداد على الشيخ أبي الحسين الخضري ، فقال لي: من صحبتِ ؟ قلتُ: النصراباذي، فقال لي: أيش تحفظين من كلامه ؟ قلت: إنه يقول: من صَحَّتْ نسبته كملت معرفته، فسكت الخضري .

فلما رجعتُ، رضي النصراباذي ذلك، وقال: كذا يجب على من يدخل على شيخ .

٢- وسمعتها تقول: جرى بين يديّ فضلُ العلم والعمل .

٣- وسمعتها تقول: من لم تكن له أوائلُ ثفنيه لم تكن له أوخرُ تبقيه .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٩، و(٣) في: ص ١٢٠ منه.

\*\*\*\*\*

## ١٠٢- أُمّ الحسين الوراقَة : من العراق .

حسنة الكلام ، مجتهدة ورعة .

١- سمعتها تقول: ليس للأعمى من رؤية الجواهر إلا مسُّه .

٢- وسمعتها تقول: قال الشبلي: إن فاتكم الله فلا يفوتنكم أمره .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٢١.

\*\*\*\*\*

## ١٠٣- فاطمة الدمشقية :

١- سمعتُ عليّ بن أحمد الطرسُوسيّ يقول: لما دخل أبو الحسين المالكي دمشق، تكلم في

جامع دمشق، وأحسن الكلام . فحضرتُ مجلسه فاطمة، وقالت له: يا أبا الحسن: تكلمتَ

فأحسننتَ، وأنتَ تحسِنُ أن تتكلم، هل تحسن أن تسكت ؟ فسكت أبو الحسن، ولم يتكلم بعد ذلك .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩٤.

\*\*\*\*\*

## ١٠٤- فُطَيْمَة : امرأة حمدون القصار (ت ٢٧١هـ) :

- ١- حُكي عن فُطيمة أنها قالت : من أخلاق الصوفى في المعاشرة: أن من قصده قبله، ومن غاب عنه لا يفتقده ، ومن عاشره تخلّق معه ، ومن كره عشرته لم يجبره على صحبته .
- ٢- وسئلت فُطيمة عن العاقل . قالت: من يحيا قلبك بمجالسته .
- ٣- وقالت فُطيمة: من عرف نفسه لم ينسجم إلا بالعبودية ، ولا يفتخرُ إلا بمولاه .
- ٤- وقالت فُطيمة: عمارَةُ القلب بالإعراض عن الدنيا ، وخرابُ القلب بالاستعانة بالخلق .
- ٥- قالت فُطيمة: من أبصرَ نعمَ الله عليه شغله القيام بشكرها عن كل شيء .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩٥.

\*\*\*\*\*

#### ١٠٥- مَرهَاءِ النَّصِيْبِيَّةِ :

صحبت أبا الحسين البصري، وأبا عبد الله الرُّوذباري وغيرهم .

١- كانت تقول : الفقرُ لباسٌ عَزُ إذا تحقَّق الفقيرُ فيه .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٩٩.

\*\*\*\*\*

#### ١٠٦- أُمَّةُ الْعَزِيْزِ ، الْمَعْرُوفَةُ بِهَوْرَةَ :

كانت إحدى الصّوّفيات والعارفات، وأرباب الأحوال . وكانت من أفتى وقتها في النّسوان .

١- سمعتُ أبا نصر بن أبي إسحاق بن أبي بشر بن مارويّه، يقول: دخلتُ امرأةً عليها ، وعليها جُبَّةٌ صوفٍ وقميصٌ صوفٍ . فقالت لها: مَنْ لبس الصوف يجب أن يكون أصفى الناس وقتاً ، وأحسنَ الناس خُلُقاً ، وأكرمَ الخلق حركةً ، وأعذب الناس طبعاً ، وأجودهم نفساً ، وأسأخاهم يداً، كما تميز عن الخلق بلباسه، كذلك يميز عنهم بأوصافه .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٠٤.

\*\*\*\*\*

## ١٠٧- عونۃ النيسابورية :

كانت زاهدة، كثيرة المجاهدات، وكان يقال: إنها مُجابهة الدعوة .  
١- سمعتُ أبا أحمد الحسنوى ، يقول: سمعتُ عونۃ تقول: أنا أتوبُ من صلاتي وصيامي ، كما يتوبُ الزانى من زناه ، والسارقُ من سرقة .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١٠٣ .

\*\*\*\*\*

## ١٠٨- أم كلثوم، الخالة :

١- قالت أم الحسين الفرشية: خرجتُ معها إلى الجبل ،فقالت لي : رُدِّنى إلى البلد ، فقد ضاق صدري فلما انصرفنا سألتها: بماذا ضاق صدرك ؟ فقالت: كادتُ رؤْيۃ القدرة أن تشغلَ عن القادر .

٢- وقالت: سمعتُ أم كلثوم الخالة ، تقول: الوجدُ لا تصحُّ عنها العبارة، لأنه سرُّ الله تعالى في العبد، إذا شاء أن يُظهره أظهره، وإذا شاء أن يخفيه أخفاه، والمتكلفُ فيه ظاهرٌ عليه تكلفه .

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ١١٤ .

\*\*\*\*\*

## ١٠٩- هنيذة :

١- كانت إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فنقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلوا فستغبتون بكلامي هذا، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه، إن كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهم من الجنة فاخلفهما في أهلهم بمثل عملهما، قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات، فكانوا يدعون القوامين .

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٨ .

\*\*\*\*\*

## ١١٠- عمرة الفرغانية :

١- وهي امرأة أحمد بن السريّ (ت٣٥٧هـ-)، تقول: قالت عمرة الفرغانية : ميراثُ

الصمت الحكمة

والتفكر . ومن أنس بالخلوة مع العلم أورثه ذلك أنساً من غير وحشة .

٢- وقالت: من خدم الأحرار والفتيان أورثه ذلك عزاً عند الخلق ومهابة في أعينهم ، ودَّ له

ذلك على رُشدِه ، وبلَّغه درجاتِ الأولياء .

٣- وسئلت: كيف عرف موسى عليه السلام أن الذي يسمعه كلامُ الله تعالى ؟ قالت: لأن ذلك

الكلام أفنى عنه أوصافه، وبغض إليه بعد ذلك كلام الخلق .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٧.

\*\*\*\*\*

## ١١١- عابدة مجهولة من بني عبد القيس:

١- عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبد القيس متعبدة، فكانت تقول: عاملوا

الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطبقوا فعلى قدر ستره فإن لم تطبقوا فعلى

الحياء منه، فإن لم تطبقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطبقوا فعلى خوف عقابه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٨.

\*\*\*\*\*

## ١١٢- عابدة مجهولة :

١- مات ابن لها فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حنو الوالدين على ولدهما فلذلك لم

تامرهما ببره، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالديه من أجل ذلك حضضته على طاعتها، وألزمته

برهما، وقد كان ولدي من البر بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجره بذلك مني صلاة

ولقه سروراً ونصرة.

فقال لها إعرابي: نعم ما دعوت له، لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدي عليه! فقالت:  
٢- إذا وقعت الضرورات لم يجز عليها حكم المكتسبات وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة  
صرفه، ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضلته، فقد قال عز وجل "فمن اضطر غير باغ  
ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم" (البقرة: ١٧٣).

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، الأول في ص ٩٠٨، والثاني، ص ٩٠٩.

\*\*\*\*\*

### ١١٣- عابدة مجهولة:

١- قال أبو عبد الرحمن القرشي عن رجل من بني ثعلب قال: شهدت امرأة من أهل البادية  
توصي ابناً لها وأراد سفرًا فقالت: يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير  
عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثل لنفسك ما تستحسنه من  
غيرك مثلاً ثم اتخذها إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحلة إزارها  
ورداها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٠٩.

\*\*\*\*\*

### ١١٤- حيونة : من الأهواز.

١- كانت إذا جنَّها الليل تبكي وتقول: عزَّ عليَّ أن تُعصى، أما قلبي فإنه واليه بك، وأما  
جوارحي فإنها تشكو ضميرها إليك، إلهي إلى متى تحبيني مع البطالين؟ فلا تزال كذلك حتى  
تصبح .  
٢- كانت حيونة إذا جنَّها الليل تقول: يا واحدي ثمَّعني بالليل بدرس التلاوة، ثم تقطعني عنك  
بك في ضياء النهار؟ إلهي وددت أن النهار ليل حتى أنمَّع بقربك.  
٣- عن إسماعيل بن عبد الله قال: كنت إذا نظرتُ إلى حيونة أقول إنها من أهل الآخرة.  
ورأيتها يوماً في سوق الحدادين تنظر إلى المطارق تضرب على الحديد، وهي تعدو في السوق  
وتنادي: يا مالك لا أعود، يا مالك لا أعود.

٤- صامت حيونة حتى اسودت، فعوتيت في ذلك فرفعت طرفها نحو السماء وقالت: قد لامني خلقك في خدمتك، فوعزتك وجلالك لأخدمتك حتى لا يبقى لي عصب ولا قصب.

٥- زارت رابعة حيونة، فلما كان جوف الليل حمل رابعة النوم، فقامت إليها فركلتها برجلها وهي تقول: قومي قد جاء عرس المهتدين، يا من زين عرائس الليل بنور التهجد.

٦- قال علي بن هشام الأبي: دخلت الأهواز فسألت عن حيونة فقيل: في خرابات دار الأثناني، فدخلتها فإذا أنا قد تولّيت من خوف الله، قد قتلها الحب وأضناها، روحانية الظاهر سماوية الباطن.

٧- قالت: من أحبّ الله أنيس، ومن أنيس طرب، ومن طرب اشتاق، ومن اشتاق وليه، ومن وليه خدم، ومن خدم وصل، ومن وصل اتّصل، ومن اتّصل عرف، ومن عرف قرّب، ومن قرّب لم يرقد/ وتسوّرت عليه بوارق الأحزان.

٨- قال سلام: سمعت حيونة تقول لبعض الناس: يا بطال، ألك طاقة بكلام مالك، وهو إذا غضب على النار زجرها زجرةً تدكّدت فأكل بعضها بعضاً من الفرق؟ .

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، (١، ٢، ٣) في: ص ٢٨٦، و(٤) في: ص ٢٨٧، و(٥، ٦) في: ص ٢٨٨، و(٧، ٨) في: ص ٢٨٩ منه.

\*\*\*\*\*

\*مصادر النثر النسوي الصوفي.

- أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيّات، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.
- جمال الدّين أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصّوّة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

.....

## الخاتمة

سعت التجربة الصوفية إلى تجسيد صورة الإنسان المثالي، ولكن بمنظار مختلف يندرج ضمن رؤية خاصة للوجود الإنساني، وانعكست هذه التجربة بطبيعة الحال، على الأدب النسوي الصوفي شعراً ونثراً.

إذ إنَّ العلاقة التي أقامتها النساء الصوفيات مع المعبود، تكشف عن مدى حجم العلاقة التي يحملنها بين ضلوعهن، فالعلاقة لها دلالات تُعين في معرفة حالهن، وفهم واقعهن، ومعرفة مُعانتهن، من أجل الوصول إلى رضى رب العالمين، ومدى خوفهن الكبير من عقاب الآخرة. فيغدو رضى الخالق سبحانه بالنسبة للنساء الصوفيات، كالشيء المفقود الذي يحاولن أن يبحثن عنه، فيستمتين من أجل بلوغه، وذلك من خلال تركهن لمتاع الدنا وملذاتها.

إذ يحتفظن بمبادئ التصوف التي تقوم على صفاء النفس وقصد وجه الله، والتمسك بالفقر والافتقار، وتوطين القلب على الرحمة والمحبة، وأخيراً التَّجَمُّل بمكارم الأخلاق التي بُعثَ بها النبي محمد ( عليه الصلاة والسلام ) لتمامها.

إذ شكَّلت هذه المبادئ في ذات النساء الصوفيات، وحاولن أن يتمسكن بها طوال حياتهن، من أجل نيل رضى الله سبحانه وتعالى والفوز بجائزة رؤية المحبوب، وهو الخالق جلَّ في علاه.

ونالت المرأة الصوفية، في الأدب الصوفي، حضوراً كبيراً، من حيث الشعر والنثر، وصور الشعر والنثر، أخلاقهن، وسلوكهن المشبع بالاستقامة والتأسي بالنبي ( عليه الصلاة والسلام ) على نحو يكشف عن زهدهن.

وتكشف كذلك عن دورهن في مُحيطهن، وهو دور الرّاصد للزلل والغلط، المنبّه للخير والمحدّر من الغفلة، دوراً ارتضته الشريعة للمؤمن الصادق الغيور، والمتمثل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذلك غلب على أدبهن، بناء هذه العبارات بأساليب الإنشاء من أمر ونهي واستفهام، وتحضيض وغيرها.

وتميّزت هذه العبارات ببعض التفاوت عن مثيلاتها عند الصوفيين الرجال، وتتبع من طبيعة المرأة عامة، وشدة حساسيتها للأشياء، ولين عاطفتها واندفاعها.

وعلى الرغم مما يواجه المرأة الصوفية من فقد وحرمان وفقر وقحط في الحياة الدنيا، وصدّ النفس عن الملذات، إلا أنَّهنَّ لا يقنَّعن بهذه العوائق، متحديات مصاعب الدنيا ماشيات في طريق الزهد، من أجل تحقيق المطلب والغاية.

## \* ثبت المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- ١- ابن الأثير، علي بن محمد، المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- ٢- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، تلبس إبليس، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.
- ٣- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، صفة الصفوة، تح: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢ م .
- ٤- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، روضة التعريق بالحب الشريف، تح: محمد الكتاني، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م.
- ٥- ابن المعتز، عبد الله، كتاب البديع، تح: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.
- ٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٧- ابن عربي، محي الدين محمد بن علي، الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري، الرسائل، ط١، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.
- ٩- أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
- ١٠- أبو شريفة، عبد القادر، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م.
- ١١- أدونيس، علي أحمد سعيد، الصوفية والسريالية، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٢- الأصفهاني، نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٣٨م.
- ١٣- الأطرقجي، واجدة، المرأة في أدب العصر العباسي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.
- ١٤- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر العربي، الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ١٥- بدوي، عبد الرحمن، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ١٦- بلعلي، أمّنة، تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م.

- ١٧- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين ، الزهد الكبير، حققه وخرّج أحاديثه وفهرسه: عامر أحمد حيدر، ط١، دار الجنان-ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٨- الترمذي الحكيم، نواذر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، دار عبد الرحمن عميرة، الجيل، بيروت.
- ١٩- الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٦م.
- ٢٠- التنوير، سليم، الشاعرات من النساء، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨م.
- ٢١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.
- ٢٢- الجرجاني، عبد القاه، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٩١م.
- ٢٣- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ٢٤- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٢٥- الجوزية، ابن قيم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠١م.
- ٢٦- الجويني، مصطفى الصاوي، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- ٢٧- الجبوسي، سلمى، الاتجاهات والحركات في الشعر الغربي، دار صادر بيروت، دن.
- ٢٨- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢٩- الحريش، شعيب بن عبد الله بن سعيد، الرّوض الفائق في المواعظ والرقائق، الطبعة ١، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٠٨هـ.
- ٣٠- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤م.
- ٣١- الحسون، محمد ، و مشكور، أم علي، أعلام النساء المؤمنات، ط٢، دار الأسوة، طهران ، ١٤٣١هـ .
- ٣٢- حلمي، مصطفى، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٢م.
- ٣٣- حمدي، أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- ٣٤- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، القاهرة ، ١٩٨٠م.
- ٣٥- درنيقة، محمد أحمد ، معجم شعراء الحب الإلهي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٣٦- درنيقة، محمد أحمد، أعلام العابدات الزاهدات، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٣٧- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م.
- ٣٨- ربابعة، موسى، تشكيل الخطاب الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ٣٩- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معين النعم ومبيد النقم، تح: محمد أبو العيون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٤٠- ستار، ناهضة، بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ٤١- السلمي، أبي عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تح: محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٩٣م .
- ٤٢- السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ط٢.
- ٤٣- السيروان، عبد العزيز عز الدين، الصوفيون وأرباب الأحوال مواظ وحكم وأقوال، تقديم: أحمد كفتارو، السيروان للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٥م .
- ٤٤- الشريشي، أبو العباس أحمد، شرح مقامات الحريري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٤٥- شلق، علي، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٤٦- صبح، علي، البناء الفني للصورة الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٤٧- صلاح الدين، السير والسلوك إلى ملك الملوك، الخاني، دراسة وتحقيق : سعيد عبد الفتاح، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- ٤٨- ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، الطبعة ٨، دار المعارف، القاهرة.
- ٤٩- ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، الطبعة ٢، دار المعارف، القاهرة.
- ٥٠- الطاهر، أحمد مكي، امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٥١- الطوسي، أبو نصر السراج، اللُّمَع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة بمصر، والمنثى ببغداد، ١٩٦٠م.

- ٥٢- عاشور، فهد ناصر، التكرار في شعر محمود درويش، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ط١.
- ٥٣- العاملي، زينب بنت علي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، تحقيق: منى محمد زياد الخراط، ط١، مكتبة التوبة، ومؤسسة الريان، الريان، ٢٠٠٠م.
- ٥٤- عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٥٥- عبد الدايم، صابر، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٥٦- عبد الرحمن، طه، سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٢م.
- ٥٧- عبد الرحمن، ممدوح، المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- ٥٨- عبد، مهنا، معجم الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٥٩- عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٦٠- عثمان، عبد الفتاح، شعر المرأة في العصر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ٦١- العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩م.
- ٦٢- العطار، فريد، تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام. د.ت.
- ٦٣- عمر، فائز طه، النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، الطبعة ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٤م.
- ٦٤- عون، فيصل بدير، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ٦٥- الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- ٦٦- فؤاد، فاطمة، السماع عند صوفية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- ٦٧- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ٦٨- فيود، بسيوني عبد الفتاح، دراسات بلاغية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

- ٦٩- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفجي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٠- القزويني، محمد عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٧١- القشيري، عبد الكريم هوزان، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف زريق، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
- ٧٢- القشيري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل، تح: محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧٣- القصيري، فيصل صالح، بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.
- ٧٤- القيرواني، ابن رشيقي العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، منشورات (ELGA)، د.ط، ٢٠٠١م.
- ٧٥- القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قرقران، دار المعرفة، دمشق، ١٩٩٤م.
- ٧٦- الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- ٧٧- كامل، مجدي، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي-عربية للطباعة والنشر، ط١، مصر، ١٩٩٧م.
- ٧٨- كحالة، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٧٩- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، حققه وقدم له: محمود أمين النواوي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٨٠- المبرد، أبو العباس محمد بن زيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- ٨١- محمد بن عبد الرازق كرد، خطط الشام، ط٣، ١٩٨٣م.
- ٨٢- مختار، عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٨٣- المقدسي، ابن قدامة، المتحابين في الله، تح: خيرالله شريف، ط١، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م.

- ٨٤- المكي، محمد بن علي عطية، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريـد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٨٥- مندور، محمد، في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٧٧م.
- ٨٦- النيسابوري، أبو القاسم الحسن، عقلاء المجانين، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ٨٧- هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٨٨- الهروي، عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
- ٨٩- هلال، محمد غنيمي، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار المعارف، القاهرة، د.ن.
- ٩٠- هلال، محمد غنيمي، ليلي والمجنون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٩١- الياضي، عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين، وضع حواشيه: خليل عمران منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٩٢- يونس، وضحي، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م.

#### الدوريات والمنشورات:

- ١- التصوف الاسلامي بين التأثير والتأثير، حوليات التراث مجلة علمية محكمة تعنى بالتراث، العدد ١٠، ٢٠١٠م، جامعة مستغانم - الجزائر.
- ٢- الحلبيوني، خالد، أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الثالث + الرابع، ٢٠١٠م.
- ٣- الدخيل، محمد، طقوس الحب في الشعر الصوفي، مؤتمر فيلاديفيا الدولي الثالث عشر، ٢٠٠٨م.
- ٤- الشرع، فائز، التفسير بالتغاير في النص الصوفي، ٣٨٣. مجلة البحوث والدراسات الاسلامية تصدر عن الهيئة العلمية الاستشارية، ديوان الوقف السني، ع ٢٧، ٢٠١٢.

٥- عودة، أمين يوسف، الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النسوي الصوفي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٢، ٢٠٠٨م.

٦- ناصف، مصطفى، محاورات النثر العربي، مجلة سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢١٨)، ١٩٩٧م.

٧- نهزمي، يوسف هادي بور، المرأة والخمرة رمزان في الشعر الصوفي، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس، ١٣٨٩ هـ .

### الرسائل الجامعية :

١- أدب الزهد في العصر العباسي، نشأته وتطوره وأشهر رجاله، أطروحة دكتوراه، متولي، عبد الستار ، ١٩٧٢ م.

٢- شعر الحب الإلهي في العصر العباسي-دراسة موضوعية فنية- أطروحة دكتوراه، القيسي، محمود شلال حسين ، الجامعة الإسلامية، بغداد، ٢٠١٠ م .

٣- المزيد، محمد، التشكيل الفني والموضوعي في شعر أبي دهب الجمحي ، رسالة دكتوراه ، اليرموك، ٢٠١٢م.

### \*المصادر الإلكترونية:

١- أحمد صبحي منصور، التمهيد لكتاب التصوف والحياة الدينية في مصر المملوكية، ٢٠١٤، مقال من موقع أهل القرآن، <http://www.ahl->

[http://www.alquran.com/arabic/show\\_article.php?main\\_id=12638](http://www.alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12638)

٢- أنور أحمد حسن : رابعة العدوية في التراث الإسلامي ، دراسة نقدية

<http://tawaseen.com/?p=1884>

٣- مصطفى فهمي: ما بين الحال والمقام-وجهة نظر صوفية، الموقع الفلسفي للدكتور مصطفى

<http://kenanaonline.com/users/Dr->، ٣ يونيو ٢٠١٢،

[mostafafahmy/posts/419690](http://mostafafahmy/posts/419690)

**Abstract**  
**" Sufi womens Literature of the Abbasid period**  
**Athematic, Artistic study "**

**By: -Mohammed Ayyed Saleh**  
**The supervision of Dr. Abdul Rahman Huwaidi**

This is an attempt to study the literature of Sufi women in-depth at the Abbasid era. The study comes to investigate the subjective and artistic structure of their literature; in addition to investigate the impact of the religious restrain on their psyches. Moreover, to find out the reasons behind their high asceticism that led them away from the life and its delights. The study tackled the authentic old references as "Safwat ALSafwah" which is written by Ibn ALJawzi, "Thiker ALNeswa of Sufi women" for Abdul Rahman ALSalami, in addition to many other references and resources that talked about Sufi women heritage.

The study included four chapters, the first chapter presents the subjects and topics that Sufi women tackled in their poetry; and talked about their social positions in their communities and the general conditions in the Sufi women's poetry in addition to its religious worthiness inside them. While the second chapter talks about the Sufi women prose and its types in a theoretical and practical way. The researcher here studied the features, implications, dimensions, and knowledge of some incidental effects of Sufi prose.

On the other side, in chapter three the researcher tries to highlights the artistic characteristics that have been used, in the literature of Sufi women, furthermore the study stand on the theory and application, in addition to the extent that Sufi women engaged those artistic characteristics to show that dominant emotion and its impact on them.

In the fourth chapter, the researcher presents all the collected texts of prose and poetry that were applied that concept by Sufi women in the Abbasid era.

Keywords: Abbasi Literature, Sufi Women, Feminist Poetry, Feminist Prose.